1. تمهيد:

الحمد لله حمدًا يُوَافِي نِعَمَهُ ويكافئ مَزِيدَه، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجِلَالِ وجهك وعظيمِ سلطانك، اللهم صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه ومن سار على هديهم إلى يوم الدين، وبعد.

فَإِنَّ أَعْظَمَ العلومِ ما تَعَلَّقَتْ بِدِرَاسَةِ كتاب الله المُنْزَلِ على سيد المرسلين، كيف لا والقرآن كما يقول عنه رَبُّنَا: {إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً} [الاسراء:9]، لِذَا كانت دراسةُ التفسيرِ ومناهجُ المفسرينَ مِنَ الْعُلومِ الجَلِيلَةِ والتي يَتَقَرَّبُ بها العبدُ إلى رَبِّه، وَمِنْ هنا اِنْطَلَقَتْ رَغْبَتِي لِيَكون البَحْثُ في رسالة الماجستير **بِعُنْوَان "مَنْهَجُ التَّفْسير عند البغوي وابن عادل الدمشقي"**. سورة البقرة (أنموذجًا) دراسة مقارنة.

2. خلفيات البحث:

سَيَقُومُ البَاحِثُ بالتعريف بمفردات البحث، وهي: التفسير، والمنْهَجُ، والمنْهَجُ المقَارِن، وَمَنْهَجُ المفَسّر، وتعريف التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، يتضمنه نبذة عن تاريخ التفسيرِ وَنَشْأَتِهِ وَتَطَوُّره وأنواعِه، ثم دِرَاسةُ التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي بشيء من التفصيل مع المقَارَنَةِ مِنْ حيثُ أَوْجُهِ الاِتّفاقِ والاِخْتِلافِ بين التفسيرين، يلي بعد ذلك دراسةٌ حَوْلَ حَيَاةِ الإمامين، البغوي وابنم عادل الدمشقي، وَالمقَارنَةُ بينهما من خلال دراسة المنهج الذي سارا عليه الإمامان في كتابَيْهِمَا **معالم التنزيل (للإمام البغوي) واللباب في علوم الكتاب (للإمام ابن عادل الدمشقي)**.

3. مشكلة البحث:

لقد كانتْ هذهِ الأُمَّةِ تَتِيْهُ في عَمَهِ الظَّلَامِ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَتَخَبَّطُ في أَمْوَاجٍ مُتَلَاطِمَةٍ مِنْ ضلالِ الجاهلية، وَتَسيرُ في غَمْرَةٍ مِنَ الأَهْوَاءِ والنِزَاعات والأَوْهَامِ، فَأَرَادَ اللهُ جَلَّ في عُلَاه تَبْديد هذه الغشاوة عنهم، فبعث إليهم صَفْوَةَ خَلْقِهِ محمدَ بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه، اختاره ليكونَ أمينَ وَحْيِه، فطلع عليهم محمد ذاك النبيُ الأَزْهَرُ الأَنْوَرُ وَمَعَهُ القُرآن الكريم، ليجعلَ مِنْهُ حجةً ومعجزةً باهرةً شاهدةً على صدقِ نبوتهِ ورسالتِهِ يُضِيءُ لِلْأَقْوَامِ بِسَنَاه، كيف لا والقرآن كما يقول عنه

Prince of Songkla University Pattani Campus

ربنا: {إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً} [الاسراء:9]، فما لَبِثَ القَوْمُ إِلَّا وأخذوا يستمعون إلى تلك النداء من ربهم العزيز الحكيم، وشَنفَتْ آذانُهُم ودخلت إلى قلوبِهِمْ، وَتَمَلَّكَ عليهم حسهم ومشاعرهم أن استجابوا لنداء ربهم، وأطاعوا رسوله، وعَمِلوا بما في القرآن الكريم، فوُضِعَت عنهم الإِصْرُ وَالأَغْلَالُ التي كانت عليهم، وأُخْرِجُوا من الظلمات إلى النور وَسَادُوا الأُمَم، وما أَعْرَضَ عَنْهُ إلا نفرٌ قليلٌ طُبِعَ على قلوبِهِم فهم يعمهون.

كان القومُ في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم عَرَبًا خُلصًا يفهمون القرآن الكريم، وَيُدْرِكون معانيه ومقتضى أَوَامِرِهِ وَنَهْيِهِ بسليقتهم العربية، ولم تكن هناك شائبةٌ أو عُجْمَةٌ أو ابتداعٌ في نَصْرِ الأهواء تَصُدُّهُمْ عَنْ فَهْمِ القرآن الكريم، وَثَمَّةَ كلماتٌ مِنَ القرآن قد تَخْفَى عليهم، وَتُدُقُّ عليهم معانيها ومراميها، فكانوا يرجعون إلى معلمهم الأول وهاديهم؛ لَيَكْشِفَ لهم ما دَقَّ عن أفهامهم، وَيُوضح لهم ما خَفِيَ عن إدراكهم، وما كان مِنْهُ صلى الله عليه وسلم إلا البَيَان، قال تعالى: {وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 44].

وَقَدْ حَثَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على العلم والتعلم، فقال عليه الصلاة والسلام: ((طَلَبُ العِلْمِ فريضةٌ على كُلّ مسلم))[1]؛ لِأَنَّ اللهَ – تعالى – لا يُعبَد بالجهل، بل يُعبَد بِالعِلْم، فالابتداء بالعلم لازِمٌ قبل القول أو العمل؛ قال الله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} [محمد: 19]. وقد بوَّب الإمام البخاري[2] – رحمه الله – في أول ما بوَّب به صحيحَهُ قوله: باب العلم قبل القول والعمل؛ لذلك فإِنَّ مَنْزِلَةَ العلم منزلةٌ عظيمةٌ، كَيْفَ وَإِنَّ أول ما نَزَلَ مَنَ القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 1-5]. وجاء في الشعر:

---

[1] رواه ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، الحديث رقم (224)، (81/1). والحديث صحيح.

[2] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري 13 شوال 194 هـ، أحد كبار الحفاظ الفقهاء، وصاحب أشهر كتاب في الحديث وسماه الجامع الصحيح، والذي يعد مرجعا بعد القران الكريم. توفي سنة 256 هـ. ينظر: ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. (255-252/3).

Prince of Songkla University Pattani Campus

العِلْمُ يرفع بيتًا لا عِمَادَ له والجهلُ يَهْدِمُ بَيْتَ العز والشرفِ[3]

ثم أَثْنَى رسول الله صلى الله عليه وسلم على العلماء، فقال عليه الصلاة والسلام: ((فَضْلُ العالِمِ على العابد كفضلي على أدناكُم[4])). وقد مَيَّزَ اللهُ سبحانه وتعالى العلماءَ مِنْ غَيْرِهِم في القرآن الكريم، إِذْ قَالَ: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: 9]، وَقَالَ تَعَالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ} [المجادلة: 11]، فَمِنْ أَجْلِ ذلك اسْتَبَقَ الصحابةُ رضوان الله عليهم يَعْكِفُونَ على طَلَبِ العلم لِفَهْمِ كتابِ الله والعملِ بما فيه على النهج الذي رَسَمَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في كيفية دراسةِ القرآن الكريم؛ فَرَفَعَ اللهُ درجاتِهِم وفتحوا البلاد والعباد. وهذا هو سِرُّ التَمْكينِ في الأرض، قَالَ اللهُ تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 55]، وعلى إِثْرِها دَخَلَ الناسُ في دينِ الله أفواجًا. هذا إِنْ دَلَّ على شيء فهو يُدُلُّ على أهمية دارسةِ علمِ التفسير؛ لأنه العِلْمُ الذي يَقْصِدُ به مدارسةَ كتابِ الله. فهو عِلْمٌ شريفٌ، كَثُرَ أقوالُ العلماء على أهميته، قال مجاهد[5] –رحمه الله–: "أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل[6]". وقال الشعبي[7]: رَحَلَ مسروق[8] إلى البصرة في تفسير آية فقيل له: إن الذي يفسرها رحل إلى الشام؛ فتجهز ورحل إلى الشام حتى علم

---

[3] البيت لأمير الشعراء، أحمد شوقي.

[4] رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، الحديث رقم (2685)، (50/5). والحديث صحيح.

[5] هو: مجاهد بن جَبْر، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي، روى مجاهد الكثير عن ابن عباس، توفي سنة 104 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (450/4–458).

[6] ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (26/1).

[7] هو: التابعي الجليل عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي، والمشهور بالإمام الشعبي اختلف في تاريخ ولادته، قيل: سنة 16 وقيل سنة 21، تنقل بين الأمصار لطلب العلم. توفي بالكوفة سنة 103 هـ. ينظر: المصدر السابق (311/4–319).

[8] هو: مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية، أبو عائشة الوادعي الهمداني، الكوفي. توفي سنة 62 هـ. ينظر: المصدر نفسه. (24/5–27).

Prince of Songkla University Pattani Campus

تفسيرها[9]". وقال إياس بن معاوية[10]: "مثل الذينَ يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلًا وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم روعة ولا يدرون مافي الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا مافي الكتاب[11]".

وهكذا ظل المسلمون الأوائل في زمن الخيرية على هذا النهج القويم في فَهْمِ كتاب الله تعالى وتفسيره، حتى مَا إنِ اتَّسَعَتْ رقعةُ الاسلام واعتنق الأعاجِمُ هذا الدين الحنيف ولكن لا يزالون يَحْمِلُون في أفكارهم الشوائب التي ورثوها مِنْ مِلَّتِهِم القديمة من علوم اليونان وثقافة الهند والفرس ، فحاولوا أن يَصِلُوا بينها وبين القرآن وأَنْ يَرْبِطوا بين ما عندهم مِنْ قواعدَ ونظرياتٍ وبين ما في القرآن من أصول وأحكام، منهم أراد ذلك على حسن نية وخدمةً للدين، فجاؤوا بخير وشر، وآخرون جَعَلوا معولًا لِهَدْمِ الدين، فجاءوا بتفاسير تُمُجُّهُ العقل، لا يقوم على أساسٍ مِنَ الدين، ولا يستند على أي شيء مِنْ أصل اللغة، وان اغتر بهم غَمْرٌ مِنَ الجَهَلَة لكن هيهات أن تصل تلك الأهواءُ والبِدَعُ إلى قلوب أهل العقلاء من المسلمين، أو يتلقوا منهم رواجًا أو قبولًا! بل منهم مَنْ أَلَّفُوا كُتَبًا دافعوا بها عن كتاب الله، ودحضوا شبهات أهل البدع، فوقى الله بهم تلك السيئات وجزاهم عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء.

ولذا من الأهمية بمكان أن يهتم المسلمون بدراسة كتاب ربهم، وأن يعرفوا الطريقة الصحيحة لتفسير القرآن، والتعرف على مناهج المفسرين من العلماء الأوائل؛ كي لا ينزلقوا في مهاوي الردى وخصوصا في هذه الأيام التي انتشرت فيها الوسائل المرئية والشبكة العنكبوتية (الانترنت) مع تَقُدُّم العلم وتَطَوُّر التقنية الحديثة، إذْ أصبحت متاحة بين الجميع، الصغير والكبير، الرجال والنساء، وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي التي انتشرت بين أوساط مجتمعنا، فمن طلب الشهرة عليه أن يأتى بشواذ الأمور، والإنسان بطبعه يجذبه كل غريب، وقديما قالوا: خَالِف تُعْرَف ، فأصبحت هذه الوسائل سلاحا ذو حدين، فوجب على الباحثين دحض شبهات المؤولين والمفسرين لكتاب الله من غير أهله، الذين

---

[9] المصدر السابق.

10 هو: أبو واثلة إياس بن معاوية بن قرة المزني، كان قاضيا ذكيا في البصرة وهو يعد من التابعين، توفي رحمه الله سنة 122 هـ، ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب (94/2).

[11] المصدر السابق.

ينتشرون في أوساط الوسائل الإعلامية المرئية والصوتية، بِنَشْرِ أبحاث تُبَيّن السبل القويمة في تفسير كتاب الله وتُعِيدهم وتُرْشِدهم إلى طريق الحق والصراط المستقيم، حتى لا يغتر بهم جاهل، وإنَّ تقدمَ التقنيةَ في جمع المعلومات وعرضها لا تغني عن طلب العلم الصحيح من قِبَلِ العلماء. وجاء في الشعر:

إذا رمت العلوم من غير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم[12]

ولا بد من الرجوع إلى كتب التراث والتي بسببها كانت سر تقدم النهضة الأوربية الحديثة. يقول توماس أرنولد: "كانت العلوم الإسلامية وهي في أوج عظمتها تضيء كما يضيء القمر فتُبدد غياهب الظلام الذي كان يلف أوربا في القرون الوسطى[13]". ويقول "جورج سارتون في كتابه مقدمة في تاريخ العلم: "إنّ الجانب الأكبر من مهام الفكر الإنساني اضطلع به المسلمون؛ فالمسعودي أعظم الجغرافيين، والطبري أعظم المؤرخين[14]".

وفي ذهن الباحث دراسة قد خُدِمَت مِن قِبَل الجامعات العربية، وهي دراسات متعلقة بالتفسير، ودراسات أخرى ترتبط بالبغوي وابن عادل الدمشقي ومنهجهما في التفسير، ولكن احتاج الباحث إلى أَنْ يَضُمَّ تلك الدراسات وإجراء مقارنة تقابلية بين المنهجين، وذلك مِنْ أَجْل إِظْهَارِ أَوْجَه التوافق والاختلاف بين المفَسرَيْن البغوي وابن عادل الدمشقي في تفسيرهما معالم التنزيل واللباب في علوم الكتاب.

وهذه بعض النماذج من المقارنة بين منهج البغوي وابن عادل الدمشقي:

النموذج الأول: منهج البغوي وابن عادل الدمشقي في تناولهما تفسير القرآن بالسنة:

يجد الباحث أن كلا المفسرَيْن يسلكان نفس المسلك في تفسير القرآن بالأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بَيْد أن الفرق يَكْمُن في ذِكْرِ الأسانيد وحَذْفها، فالبغوي يَذْكُر الأسانيد جَرْيًا على طريقة المتقدمين بينما ابن عادل الدمشقي يذكر الأحاديث بدون ذكْرِ السند، مثاله، في قوله تعالى: {وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ....} [البقرة: 143]:

---

[12] القائل: أبو حيان الأندلسي. ينظر: المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس (562/2).

13 مجلة حراء. https://www.moslimonline.com/print.php?id=600

[14] المصدر نفسه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

قال البغوي: "إنَّ أمةَ محمد صلى الله عليه وسلم سيكونون شهداء على الناس جميعا من الأمم الماضية يوم القيامة ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم شهيدا على أمته". واستشهد على قوله بحديثين، هما:

1- أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو معشر إبراهيم بن محمد بن الحسين الوراق، أنا أبو عبد الله محمد بن زكريا بن يحيى، أنا أبو الصلت أنا حماد بن زيد أنا علي بن زيد عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد العصر، فما ترك شيئا إلى يوم القيامة إلا ذكره في مقامه ذلك، حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحيطان ، قال: "إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا، ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة هي آخرها وأخيرها وأكرمها على الله تعالى» ، قوله تعالى: لتكونوا شهداء على الناس، يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم"، قال ابن جريج: قلت لعطاء: ما معنى قوله تعالى: لتكونوا شهداء على الناس؟ قال: أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من يترك الحق من الناس أجمعين، ويكون الرسول: محمد صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا: معدلا مزكيا لكم، وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم الماضية: ألم يأتكم نذير؟ فينكرون ويقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير، فيسأل الله الأنبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم، فيسألهم البينة- وهو أعلم بهم إقامة للحجة- فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا ذلك وإنما أتوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون: رسلت إلينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم".[15]

---

[15] ينظر: البغوي، معالم التنزيل (1/174-175).

Prince of Songkla University Pattani Campus

2-أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل البخاري، أخبرنا إسحاق بن منصور أخبرنا أبو أسامة حدثنا الأعمش: أخبرنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فيسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقال: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)).[16]

أما ابن عادل الدمشقي فإنه نقل عن البغوي مع حذف الإسناد، جاء في تفسيره: "رُوِيَ أن الأمم يجحدون تبليغ الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فيطالب الله – تعالى – الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمة محمد – صلى الله عليه وسلم – فيشهدون فتقول الأمم: من أين عرفتم فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد – عليه الصلاة والسلام – فيسأل عن حال أمته، فيزكيهم ويشهد بعدالتهم، وذلك قوله: {فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً} [النساء: 41].[17]

النموذج الثاني: مقارنة بين البغوي وابن عادل في تناولهما للآيات الكونية:

اتفق منهج البغوي وابن عادل الدمشقي في الآيات الكونية وأنها جاءت للدعوة إلى الإيمان بالله وحده والإيمان باليوم الآخر وأن هناك حشر وبعث وحساب وجزاء، وغيرها من معالم الإيمان وأركانه.

ولكن الفرق بين البغوي وابن عادل جليٌ وواضحٌ في بيان المراد من الآية، فالبغوي لا يدخل في تفاصيل المعنى المراد، وسبر أغوار أسرار الكون واستنباط خفي معانيه مما اكتشف العلماء حقيقته في

---

[16] المصدر نفسه (1/175-176).

[17] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (3/17).

العصر الحديث، بخلاف ابن عادل الدمشقي فقد أخذ يشرح ويسهب في الدلائل الكونية وأسباب وطريقة حدوثها قد يوافق مما اكتشف عليه علماء الفيزياء والفلك في العصر الحديث.

مثاله في قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة: 164]:

قال البغوي في قوله تعالى: (واختلاف الليل والنهار): "أي: تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف أحدهما صاحبه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه، أي: بعده، نظيره قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً...} [الفرقان: 62]، قال عطاء: أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان[18]".

أما ابن عادل الدمشقي فقال في قوله: (واختلاف الليل والنهار): " ذكروا للاختلاف تفسيرين: أحدهما: أنه افتعال من قولهم:» خلفه يخلفه «إذا ذهب الأول، وجاء الثاني، فاختلاف الليل والنهار تعاقبهما في الذهاب والمجيء؛ يقال: فلان يختلف إلى فلان، إذا كان يذهب إليه ويجيء من عنده، فذاهابه يخلف مجيئه، ومجيئه يخلف ذهابه، وكل شيء يجيء بعد شيء آخر، فهو خلفة، وبهذا فسروا قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً...} [الفرقان: 62]؛ ومنه قول زهير:

بها العين والأرآم يمشين خلفة ... أطلاؤها ينهضن من كل مجثم

ولها بالماطرون إذا ... أكل النمل الذي صنعا

خلفة حتى إذا ارتبعت ... سكنت من جلق بيعا

الثاني: اختلاف الليل والنهار، في الطول والقصر، والنور والظلمة، والزيادة والنقصان.

---

[18] ينظر: البغوي، معالم التنزيل (195/1).

Prince of Songkla University Pattani Campus

قال الكسائي: يقال لكل شيئين اختلفا: هما خلفان.

قال ابن الخطيب[19]: وعندي فيه وجه ثالث، وهو أن الليل والنهار كما يختلفان بالطول والقصر في الأزمنة، فهما يختلفان في الأمكنة فإن من يقول: إن الأرض كرة، فكل ساعة عنيتها، فتلك الساعة في موضع من الأرض صبح، وفي موضع آخر ظهر، وفي آخر عصر وفي آخر مغرب، وفي آخر عشاء، وهلم جرا، هذا إذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول، أما البلاد المختلفة في العرض، فكل بلد يكون عرضه الشمالي أكثر، كانت أيامه الصيفية أطول ولياليه الصيفية أقصر، وأيامه الشتوية بالضد من ذلك، فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليالي بحسب اختلاف أطوال البلاد وعروضها أمر عجيب مختلف. وأيضا: فإن إقبال الخلق في أول الليل على النوم يشبه موت الخلائق عند النفخة الأولى في الصور، ويقظتهم آخر الليل يشبه عودة الحياة إليهم عند النفخة الثانية، هذا أيضا من الآيات العظيمة. وأيضا: انشقاق ظلمة الليل بظهور الصبح المستطيل كأنه جدول ماء صاف يسيل في بحر كدر بحيث لا يتكدر الصافي بالكدر، ولا الكدر الصافي، وهو المراد بقوله: {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} [الأنعام:96] قال علماء الهيئة: إن الموضع الذي يكون القطب فيه على سمت الرأس تكون السنة فيه ستة أشهر نهارا وستة أشهر ليلا، وهناك لا يتم النضج، ولا يصلح لمسكن الحيوان ولا يتهيأ فيه سبب من أسباب المعيشة[20]".

4. **تساؤلات البحث:**

يتركز البحث عن منهج التفسير عند البغوي وفي كتابه معالم التنزيل وعند ابن عادل الدمشقي في كتاب اللباب في علوم الكتاب والمقارنة بينهما؛ لذا فإن التساؤل الرئيس للبحث هو: **ماذا يقصد**

---

[19] يقصد به الفخر الرازي رحمه الله.

[20] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (3/118-119).

بدراسة مقارنة بين منهج البغوي في تفسيره معالم التنزيل ومنهج ابن عادل الدمشقي في تفسيره اللباب في علوم الكتاب؟

ويتفرع عن هذا التساؤل أسئلة فرعية كالآتي:

1. ماذا يقصد بمنهج المفسر، وبمنهج المقارنة؟
2. التفسير أنواع أشهرها التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، فما الفرق بينهما من ناحية التعريف، وتاريخ النشأة، وأنواعهما، وما هي ضوابط كل من التفسيرين؟ مع ذكر أهم أشهر المفسرين بالمأثور والرأي وأهم كتبهم.
3. من هما المفسران البغوي وابن عادل الدمشقي؟
4. ما الفرق بين كتاب معالم التنزيل وكتاب اللباب في علوم الكتاب؟
5. ما هي أوجه الاختلاف والتشابه بين منهج البغوي وابن عادل الدمشقي في تفسيرهما؟

5. أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

1. التعريف بالتفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والمقارنة بينهما في التعريف وتاريخ النشأة وأنواعهما والضوابط التي لا بد توافرها في التفسيرين، مع الإشارة لأهم الكتب في التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.
2. التعريف بالمفسرَيْن البغوي وابن عادل الدمشقي، والتعريف بكتابيهما معالم التنزيل واللباب في علوم الكتاب.
3. تحصيل مفاهيم علمية جديدة بعد تحديد أوجه الاتفاق والاختلاف من المقارنة بين المنهجين.

6. أهمية البحث:

1. إنَّ دراسة التفسير وأنواعه، ودراسة مناهج المفسرين، والمقارنة بينهم تَعْنِي العناية بكتاب الله عز وجل، وسنة نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام، إذ القرآن فيها المجمل والمبهم، فتأتي السنة النبوية الشريفة لتوضيح الإبهام، وتفصيل المجمل، وناهيكم أن القرآن والحديث خير الكلام،

Prince of Songkla University Pattani Campus

وخير الهدي، ومعرفتهما وفهمها أساس عقيدة كل مسلم ومسلمة للتعلم والعمل، وبهما نكون أهلا للدعوة إلى الله عز وجل على بصيرة، وتبليغ الرسالة وأداء الأمانة بالحكمة والموعظة الحسنة.

2. كما أن دراسة عصر الإمامين مهم جدا لما لهما من انعكاسات في حياتهما وتكوين شخصيتهما العلمية، وكيف استفادا من إيجابيات العصر وكيف تفادا سلبياته، ومن ثم باستطاعتنا كيفية الاستفادة من إيجابيات عصرنا من توافر التقنية ومواكبة سرعة العصر وعولمته، وتفادي كل سلبياتها، وهكذا نكون قد امتثلنا بقوله تعالى: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل: 125] اللهم اجعلنا منهم.

3. هذه الدراسة سوف تسهم–بإذن الله – في تكوين سلسلة دراسية في المقارنة بين مناهج المفسرين، والغاية من الدراسات المقارنة هي تحديد أوجه الاتفاق والاختلاف ومِنْ ثَمَّ تكوين مفاهيم جديدة، وَأَبْعَدُ الأهداف والتي ستكون في المراحل المتقدمة من مرحلة الدكتوراة هي كتابة بحوث هدفها إنشاء معاهد أو مراكز تقوم على تخريج كوادر حظيت بدراسة علمية متخصصة في مجال تفسير كتاب الله في بلادنا وخصوصا في المجتمع الإسلامي في جنوب تايلاند، كوادر قادرة على استنباط مناهج المفسرين، والقدرة على المقارنة والتحليل من خلال دراسة كتبهم ومناهجهم، ومن ثم إخراج كتاب في التفسير موافق للغة العصر الحديث دون الإخلال بِرُوْحِ الشرع الأصيل.

7. أسباب البحث:

بإمكان القول: إنَّ الدراسات المتعلقة بالتفسير بشكل عام، والدراسات المتعلقة بالبغوي وابن عادل الدمشقي قد خُدِمت كثيرا، وهناك رسائل جامعية سيأتي ذكرها في الدراسات السابقة، ومع ذلك فإنَّ هناك أسبابٌ جعل الباحث يختار هذا البحث بهذا العنوان في العناصر الآتية:

1. إن دراسة مناهج المفسرين والمقارنة فيها تعطي العديد من الفوائد، منها تغذية الباحث على القدرة على التحليل والاستقراء والمقارنة والاستنباط.
2. حينما كان الباحث طالبًا في مرحلة الماجستير في كلية الشريعة بجامعة دمشق سنة 2011 م؛ قد تناول مادةً تتعلق بِدِراسةٍ حول مناهج المفسرين، وقد لفتت الدراسة انتباه الباحث إلى اثنين من

Prince of Songkla University Pattani Campus

علماء التفسير اللذان حظيا قبولًا بين أهل العلم، هما البغوي وابن عادل الدمشقي، وكلاهما لهما طريقتهما وأسلوبهما الخاص في التفسير كما سيتبين في فصول هذا البحث.

ويأمل الباحث أن يَقْطِفَ ثمارَ هذه الدراسة بالأهداف التي ذكرها وإثراء مكتبة جامعة الأمير سونكلا برسالة تطبيقية على المنهج المقارن في مجال التفسير لا تقل أهميتها عن باقي الدراسات الأخرى الغنية بالفوائد العلمية، وجميعها تعضد بعضها البعض في تشييد صرح علمي زاخر يستفيد منه طلاب الجامعة، كما يستفيد منه أيضا طلاب المعاهد الشرعية (فندق) والمدارس الاسلامية الخاصة.

8. حدود البحث:

يرتكز البحث على الحد الموضوعي وهو دراسة مقارنة بين منهج البغوي وابن عادل الدمشقي في حدود سورة البقرة تحت الموضوعات الآتية:

- مصادرهما في التفسير.
- تناولهما للتفسير بالمأثور.
- اهتمامهما بأصول الفقه.
- اهتمامها بالآيات الكونية.
- اهتمامهما بالتفسير الموضوعي.
- اهتمامهما بمسائل اللغة والبلاغة.
- روايتهما للقراءات ودرجة احتجاجهما بها.
- اهتمامهما بآيات الأحكام.
- موقفهما من الإسرائيليات.
- موقفهما من الأحاديث الموضوعة.
- عنايتهما بعلوم القرآن.
- موقفهما من مسائل علم الكلام.

Prince of Songkla University Pattani Campus

9. التعريف بمصطلحات البحث:

سيقوم الباحث بالتعريف بمصطلحات علمية المذكورة في عنوان البحث، وهي:

1. **التفسير**: "هو العلم الذي يتوقف عليه فهم كتاب الله سبحانه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حسب القدرة البشرية[21]".
2. **التفسير بالمأثور**: "تفسير القرآن[22] بالقرآن نفسه، أو ما فسره النبي[23] صلى الله عليه وسلم، أو ما نقله الصحابي[24] والتابعي[25] بيانا لما جاء في كتاب الله[26]".
3. **التفسير بالرأي**: "هو بذل الجهد في تفسير كتاب الله بعد توافر شروط معينة، مثل معرفة كلام العرب وأساليبهم، ودراسة الألفاظ القرءانية بالاستعانة بالشعر الجاهلي، والوقوف على أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وغيرها[27]".
4. **المنهج**: "سلسلة من الأفكار والنظريات والقواعد العامة المصوغة تؤدي إلى كشف الحقيقة وإثباتها في أي حقل من حقول المعرفة[28]". ويقابل هذا التعريف عند العلماء الأولين بمصطلح (علم الأصول).

---

[21] ينظر: سلامة، منهج الفرقان (6/2).

[22] القرآن نطقه مهموزا في اللغة مشتق من "قرأ" بمعنى الجمع، واصطلاحا: "كلام الله المنزل على نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز في ألفاظه، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتمة بسورة الناس". ينظر: عباس، إتقان البرهان (56/1-60).

[23] النبي في اللغة مشتق من النبأ وهو الخبر، أو من النَّبْوَة بمعنى الارتفاع، وبهذا يكون النبي مخبر عن الله جل جلاله وذو مكانة عالية عند الله سبحانه وتعالى. أما اصطلاحا: " فهو كل رجل عاقل حر أوحي إليه بشرع سواء أمر بتبليغه أم لم يؤمر". ابن منظور، لسان العرب، مادة: نبأ (302/15).

[24] الصحابي: "كل من لقي النبي محمدا صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام ولو لحظة "كما أن الصحابة كلهم عدول بتزكية الله لهم رضي الله عنهم أجمعين. ينظر: ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام. (82/2 وما بعدها). الخطيب البغدادي، الكفاية في معرفة أصول علم الرواية. (180/1-189). وينظر: ابن حجر، الإصابة (1/2-3).

[25] التابعي: "هو من لقي صحابيا مسلما، ومات على الإسلام ". ابن حجر، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (ص/83-84).

[26] وإن كان هناك خلاف بين العلماء في نقول التابعين، هل يدخل في التفسير بالمأثور أم هو من التفسير بالرأي، ولعل الباحث يذهب إلى أن نقول التابعي من المأثور؛ لعمل أهل التفسير بذلك والله أعلم. ينظر: الزركشي، البرهان (158/2-159). وينظر: الزرقاني، مناهل العرفان (12/2 وما بعدها).

[27] الذهبي، التفسير والمفسرون (183/1) وينظر: الزركشي، البرهان (156/2 وما بعدها).

[28] ينظر: بدوي، مناهج البحث العلمي ص (3-5) وينظر: رشواني، منهج التفسير الموضوعي للقرآن ص (32-33).

Prince of Songkla University Pattani Campus

5. **منهج المفسر**: "هو تلك الأفكار النظرية والقواعد التطبيقية التي سار عليها المؤلف في تفسيره، وأسلوبه في سرد مسائل علوم القرآن، ثم الأسس التي استند عليها المفسر عند اختياره وترجيحاته بين آراء وأقوال المفسرين السابقين[29]".

6. **المنهج المقارن**: "أسلوب من الأساليب المساعدة لفهم مجموعة من النصوص الدراسية من خلال الاعتماد على التأمل والتفكير والتحليل، ومن ثم القدرة على تحديد نقاط الاتفاق والاختلاف من بين ذلك من النصوص، وتكوين مفاهيم ومعرفة جديدة[30]".

7. **الدراسات السابقة:**

من خلال اطلاع الباحث على فهارس الرسائل الجامعية المتوفرة، وكذا مراكز البحث العلمي، وشبكة الإنترنت؛ لم يعثر الباحث على بحث مقدم بهذا العنوان.

وبما أن البحث يتناول موضوعات متعددة، فموضوع متعلق بالتفسير وأنواعه، وموضوع متعلق بالبغوي وابن عادل الدمشقي ومنهجهما في تفسيرهما معالم التنزيل واللباب في علوم الكتاب؛ فإنه يمكن تقسيم الدراسات السابقة إلى ثلاثة أنواع:

الدراسات المتعلقة بالتفسير:

هناك رسالة جامعية، وبحث محكم يتعلق في هذا المقام.

فأما الرسالة الجامعية فكانت رسالة ماجستير، لأنس شعيبي، 2010م، بعنوان ((**التفسير الأثري بين المفهوم والمنهج**)) في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية.

جاءت هذه الدراسة على قسمٍ من أقسام تفسير القرآن الكريم ألا وهو التفسير الأثري، فتناولت مفهومه والإشكاليات التي تعترض هذا المفهوم ومدى تأثيراتها على واقع التفسير، حيث إن تقسيمات العلماء له واعتباراتهم في هذا التقسيم تقتضي منه ما ليس فيه، فتولت الدراسة ضبط هذا المفهوم الذي

---

[29] ينظر: رشواني، منهج التفسير الموضوعي ص (33).

[30] ينظر: عبد الفتاح، حمزاوي، الوجيز في مناهج البحث العلمي وتقنياته ص (27-28).

Prince of Songkla University Pattani Campus

يعتريه كثير من الإشكاليات؛ كما تتناول الإشكالات التي عرضت لهذا النوع من التفسير من حيث المنهج، وتبرز أثر هذه الإشكالات على اتجاهات بعض المفسرين ومناهجهم في كتبهم وتأثير ذلك على منهج فهم القرآن، وعلى الفكر الإسلامي بشكل عام.

ولقد نهجت الدراسة نهجاً استقرائياً لكتب مناهج المفسرين وعلوم القرآن وغيرها، ونهجاً نقدياً تحليلياً يتبيّن من خلاله أن مفهوم التفسير الأثري الشائع في كتب التفسير ومناهجه وعلومه، والذي أصبح من المسلّمات التي لا يُناقَش فيها، محلّ قبول وردّ، بل لا بد من تصفيته مما ليس منه، كما أبرزت الدراسة إشكاليات متعددة تتعلق بالتفسير الأثري، وبيّنت الآراء فيها، وكيف ينبغي التعامل مع بعضها، كالروايات الإسرائيلية والموضوعة والضعيفة، وحصر الدلالة بالمأثور، وقضايا تتعلق بالتعارض وغيرها.

والدراسة السابقة سوف تخدم الباحث فيما يتعلق بالتفسير وأنواعه، خصوصًا التفسير بالمأثور وتطوره بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، وهل للصحابة اجتهاد في التفسير في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما كان الاجتهاد في شأن التابعين ومن جاء بعدهم؟ كما سيضيف الباحث على المنهج الاستقرائي الذي اتسم به البحث السابق المنهج المقارن.

وأما بالنسبة للبحث المحكم، فقد كان للدكتور عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الوهيبي، 2007م، بعنوان ((**التفسير بالأثر والرأي وأشهر الكتب فيهما**)) والبحث أَصْدرته: مجلة البحوث الإسلامية، واشتمل البحث على المواضيع الآتية:

-التفسير بالأثر والرأي

-معنى التفسير لغة واصطلاحاً

-معنى التأويل لغة

-التأويل في الاصطلاح والفرق بينه وبين التفسير

-التأويل في اصطلاح علماء الكلام

-اهتمام الصحابة والتابعين بالتفسير

Prince of Songkla University Pattani Campus

-المفسرون من الصحابة والتابعين

-تاريخ تدوين التفسير

-تلون التفسير بثقافة المفسرين

-التفسير الموضوعي

-أقسام التفسير

-أشهر كتب التفسير بالأثر والرأي

وهذه الدراسة تمكن للباحث مِنْ إجراء المقارنة بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وتوضيح أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

الدراسات المتعلقة بالإمام البغوي ومنهجه في معالم التنزيل:

أما عن الدراسات المتعلقة بالإمام البغوي ومنهجه في معالم التنزيل فوجدت رسائل علمية تتعلق بالإمام البغوي، فهناك:

-رسالة ماجستير، لعفاف عبد الغفور، 1400هـ بعنوان ((**البغوي ومنهجه في التفسير**))" مقدمة إلى جامعة أم القرى سنة 1400 هـ، للدكتورة عفاف عبد الغفور حميد.

جاءت هذه الدراسة القيمة لتناول تفسير معالم التنزيل للإمام العلم الحافظ – البغوي – لما لهذا التفسير من أثر بالغ بين كتب التفسير، حيث يعد –معالم التنزيل – من أمهات كتب التفسير بالمأثور بالمكتبة الإسلامية والعربية، وقد تناول الباحث هذه الدراسة في ثلاثة أبواب رئيسة. الباب الأول تكلم فيه عن الإمام الحافظ البغوي، الباب الثاني عن تفسيره – معالم التنزيل– والباب الثالث لأثر هذا المؤلف الطيب في علم التفسير والمكتبة الإسلامية.

وخلصت الباحثة بعدة نتائج، منها:

– أن البحث أبرز جوانب مهمة في حياة الإمام البغوي

– أن كتاب معالم التنزيل يعد من التفسير بالمأثور

– يعتمد الإمام البغوي على الأحاديث النبوية بالدرجة الأولى في تفسير القران وبيان معاني الكلمات.

والجديد في البحث؛ دراسة مقارنة بين منهج البغوي ومنهج ابن عادل الدمشقي

–رسالة دكتوراة، لطلحة بن محمد توفيق بن ملا حسين، 1422 هـ بعنوان: ((**منهج الإمام البغوي في عرض القراءات وأثر ذلك في تفسيره**))، إذ شملت الرسالة على الآتي:

– الباب الأول: حياة الإمام البغوي

– الباب الثاني: منهج الإمام البغوي في القراءات

– الباب الثالث: القراءات وتوجيهها في تفسير الإمام البغوي

وأبرز النتائج لهذه الدراسة:

– تنوع علوم الإمام البغوي، وسعة معارفه.

– ما عرضه الإمام البغوي من القراءات المتواترة كانت تهذيبا لكتاب الغاية والذي يعتبر من أصول النشر.

والجديد في دراسة الباحث هو مقارنة بين منهج البغوي وابن عادل الدمشقي في عرض القراءات المحددة من أول سورة البقرة حتى آخر السورة.

–رسالة ماجستير، حنان أبو طالب حمزة، 2012م بعنوان ((**منهج الإمام البغوي في تقرير مسائل العقيدة من خلال تفسيره معالم التنزيل**))

وجاءت الرسالة في تمهيد ومقدمة وخمسة فصول وخاتمة. احتوي التمهيد على المصطلحات الواردة في البحث ثم تعرضت الباحثة لدراسة حياة الإمام البغوي بذكر اسمه ونسبه ومولده ورحلاته وأهم

Prince of Songkla University Pattani Campus

شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته، وكذلك بيان أهم الأحداث السياسية والاجتماعية والدينية التي كانت في عصره. ثم تناولت الباحثة مسألة الإلهيات وما يتعلق بها كالإيمان بوجود الله ووحدانيته وأسمائه وصفاته والتحسين والتقبيح وقضايا الإيمان وما يتعلق بها. ثم تحدثت الباحثة عن النبوات بتعريف النبوة والرسالة وما يتعلق بالمعجزة والكرامة والتفاضل بين الأنبياء وغيرهم. وقد تناولت الباحثة مسائل الغيبيات كالإيمان بالملائكة والجن وأشراط الساعة وأحداث اليوم الآخر والجنة والنار والشفاعة. ثم تحدثت الباحثة عن القضاء والقدر ببيان مفهومه ومراتبه وأفعال العباد مستعرضة منهج الإمام البغوي في مقارنة بينه وبين المناهج الموافقة والمخالفة.

ويمكن للباحث الاستفادة من الدراسة السابقة من إجراء دراسة مقارنة بين منهج البغوي وابن عادل الدمشقي في تقرير مسائل علم الكلام.

الدراسات المتعلقة بالإمام ابن عادل الدمشقي ومنهجه في اللباب في علوم الكتاب:

أما عن الدراسات المتعلقة بالإمام ابن عادل الدمشقي ومنهجه في اللباب في علوم الكتاب فهناك رسائل متعلقة بها، منها:

-رسالة ماجستير، عبد الحي حسن موسى عبد المجيد، 2003م، بعنوان: ((**الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي المتوفى سنة 880 هـ ومنهجه في التفسير**)) إذ تضمنت الرسالة على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة بالشكل الآتي:

-مقدمة: ذكر فيها أهمية البحث، سبب اختيار البحث، أهدافه، مشكلات البحث، منهجية البحث، خطة البحث.

-الباب الأول: سيرة ابن عادل

-الباب الثاني: مدخل إلى دراسة منهج ابن عادل

-الباب الثالث: منهج ابن عادل في التفسير

Prince of Songkla University Pattani Campus

-الباب الرابع: مكانة ابن عادل في التفسير وأثره في المفسرين

-خاتمة البحث: وذكر فيها أهم النتائج التي توصل إليها، ومنها:

- إن علم التفسير علم واسع لن يحيطه أحد من البشر مهما أوتي من قوة في الجسد والعقل؛ لأن التفسير علم يتعلق بكتاب الله سبحانه وأنى للمخلوق أن يحيط بقدرة الخالق جل جلاله

- لا بد من ضرورة توافر شروط التفسير المعروفة عند أهل هذا الفن من العلم لمن أراد الاقبال على دراسة كتاب الله وتفسيره.

- على المقبل على دراسة التفسير التعرض للتفاسير السابقة وكتب العلوم القرانيه، من أجل أن يستفيد من علومهم وينتفع من تجاربهم.

- المفسرون لكتاب الله على نوعين:

- الأول: مفسر مجتهد محقق له طريقته الخاصة في التفسير، كالإمام الطبري والزمخشري وابن عطية وغيرهم

- الثاني: مفسر مقلد حافظ جامع ناقل، وتبين للباحث أن ابن عادل كان من النوع الثاني.

ولا يخفى أهمية الدراسة السابقة وغزارتها العلمية في دراسة منهج ابن عادل الدمشقي، وثم إنشاء مقارنة بين منهج ابن عادل الدمشقي والبغوي وتحديد النقاط المشتركة والمختلفة وما انفرد به كل من المفسرَين عن الآخر.

-رسالة ماجستير، بشار عباس المشهداني، 2009م، بعنوان "**الآراء الكلامية لابن عادل الحنبلي في الإلهيات من خلال تفسيره اللباب في علوم الكتاب**". تضمنت الرسالة على تسعة فصول وخاتمة.

وقد خرج الباحث بنتائج أذكر منها:

-إن في تفسير ابن عادل الدمشقي الكثير من مسائل علم الكلام.

Prince of Songkla University Pattani Campus

-كان ابن عادل الدمشقي من علماء أهل السنة والجماعة ويدافع عن عقيدتهم ويدحض شبهات الضالين.

-استخدم ابن عادل الدمشقي الطريقتين في الاستدلال لمسائل علم الكلام؛ الاستدلال السمعي والاستدلال العقلي، وجعل الاستدلال العقلي خادمًا للاستدلال السمعي.

والفرق بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة: المقارنة التقابلية بين منهج البغوي في تفسيره معالم التنزيل وابن عادل الدمشقي في تفسيره اللباب في علوم الكتاب، وتحديد أوجه التوافق والاختلاف بين المنهجين، والخروج بمفاهيم علمية جديدة ومنطقية تخدم مجال التفسير وعلوم القرآن ومناهج المفسرين.

8. **منهج البحث:**

إن مناهج البحوث قد تتعدد في البحث الواحد كما في هذا البحث، وقد سلكت في دراسة الموضوع الأصول البحثية والمنهجية التالية:

1. المنهج الاستقرائي: ويتحقق بتتبع وتقصي آراء البغوي وابن عادل في التفسير وعلوم القرآن، وكل ما يتصل بذلك مِنْ مواضيع تخدم البحث.
2. المنهج الوصفي: ويقوم على وصف النصوص الدراسية بطريقة علمية، ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية، يمكن وضعها في قواعد وأطر علمية صحيحة.
3. المنهج التحليلي والنقدي: ويتمثّل في دراسة الموضوعات التي تطرق لها المفسران في تفسيرهما، وبيان آرائهما في كل موضوع من هذه الموضوعات، ومن ثم نقد هذه الآراء وتقييمها بما يتسق مع أمانة البحث العلمي وموضوعيته.
4. المنهج المقَارِن: وذلك من أجل فهم مجموعة من النصوص الدراسية المتعلقة بمنهج البغوي وابن عادل الدمشقي من خلال الاعتماد على التأمل والتفكير والتحليل، ومن ثم القدرة على تحديد نقاط الاتفاق والاختلاف بين المنهجَيْن، وتكوين مفاهيم ومعرفة جديدة.

Prince of Songkla University Pattani Campus

9. خطوات البحث:

يتجلى عمل الباحث في هذا البحث في الخطوات التالية:

1- الاعتماد على المصادر الأصلية التي تحدثت عن التفسير وتعريفه وبيان أنواعه، ولا يعني ذلك الاستغناء عن المراجع الحديثة.

2- الاعتماد على الكتب التاريخية عند الحديث عن عصر الإمامين الجليلين، الإمام البغوي والإمام ابن عادل الدمشقي.

3- الاعتماد على كتب التراجم والطبقات الموثوقة التي ترجمت حياة البغوي وابن عادل الدمشقي.

4- بعد الحديث عن التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والانتهاء من المقارنة بينهما، سيبدأ الباحث بدراسة سيرة البغوي وكتابه معالم التنزيل وثم سيرة ابن عادل الدمشقي وكتابه اللباب في علوم الكتاب ، مختتمًا بفصلٍ قارنت فيه بين منهج البغوي وابن عادل الدمشقي تحت عدة موضوعات مِنْ أول سورة البقرة حتى آخر السورة.

5- الاعتماد على كتاب معالم التنزيل عند دراسة منهج الإمام البغوي، بتحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة الضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة- الرياض ، ط /الرابعة، 1417هـ.

6- الاعتماد على كتاب اللباب من علوم الكتاب عند دراسة منهج الإمام ابن عادل الدمشقي، نشر دار الكتب العلمية، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشاركهم في تحقيقه برسالته الجامعية كل من الدكتور: محمد سعد رمضان حسن، والدكتور محمد المتولي الدسوقي. الطبعة الأولى سنة 1998م.

7- ترجمة كل الأعلام التي ترد في البحث في الحاشية دون أن تتعدى السطرين بالاعتماد على كتب التراجم الموثوقة.

8- ترجمة الأماكن والبلدان دون أن تتعدى السطرين في الحاشية وذلك بالرجوع إلى معاجم البلدان الموثوقة.

Prince of Songkla University Pattani Campus

9- تخريج الآيات القرآنية برسم المصحف الشريف إلا ما كان على رواية أخرى فسوف ينبه الباحث على ذلك في موضعه.

10- عزو الآيات القرآنية الواردة، بذكر اسم السورة ورقم الآية، وجعل الباحث تخريجها في المتن؛ كي لا يكثر تقليب النظر بلا فائدة بين المتن والهامش مما يتعب العين، وجعل هذا التخريج بين قوسين هكذا مثلاً: [البقرة:4].

11- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب تخريجاً تفصيلياً بذكر من خرجها، وذكر الكتاب، والباب، ورقم الحديث، والجزء، والصفحة، مع ذكر حكم العلماء عليه، إلا إذا ورد الحديث في البخاري ومسلم أو في أحدهما اكتفى الباحث بالتخريج دون أن يتكلم على الحديث صحة أو ضعفاً؛ لأنهما مما تلقته الأمة بالقبول.

12- تخريج الأقوال وعزوها إلى مصادرها مما توفر بين يدي الباحث من مصادر، فإن لم يجد يرجع الباحث المسألة إلى كتاب سبق عصر المؤلف.

13- توثيق النصوص التي ينقلها المصنف من مصادرها؛ لمعرفة مدى دقة المؤلف.

14- توثيق المصادر والمراجع في قائمة المراجع والمصادر.

10. **جمع المعلومات:**

سيقوم الباحث بجمع المعلومات عن طريق المصادر الآتية:

- القرآن الكريم.
- كتب الأحاديث الشريفة.
- كتب التفسير وعلوم القرآن.
- مواقع الانترنت المتخصصة في التفسير وعلومه.

11. **المصادر والمراجع العلمية المتعلقة بالبحث:**

هناك مصادر في هذا البحث، ولعل كتاب البرهان للزركشي، والاتقان للسيوطي يعتبر أهم المصادر التي سوف يعتمد عليها الباحث، كما أن كتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي

Prince of Songkla University Pattani Campus

يعتبر مقدمة المراجع العلمية التي سوف يعتمد عليها الباحث في هذا البحث، وهناك مصادر ومراجع علمية أخرى سوف يتم ذكرها لاحقا.

12. **موز البحث:**

{ }	بين القوسين للآيات القرآنية
(( ))	بين القوسين للأحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم
صلى الله عليه وسلم	صلى الله عليه وسلم
" "	بين علامة التنصيص لأقوال العلماء أو النصوص المقتسبة من المراجع
ينظر	في الإحالة إلى موضوع أوسع للبحث
المصدر نفسه	في الهامش عند تكرار المصدر المذكور قبله مباشرة
المصادر السابقة	في الهامش عند تكرار المصادر المذكورة قبلها
المرجع نفسه	في الهامش عند تكرار المرجع المذكور قبله مباشرة
رحمه الله	الترحم على أهل العلم
ط	للطبعة
ج	الجزء
مج	المجلد
ص	الصفحة
ق.م	قبل الميلاد
م	السنة الميلادية
هـ	السنة الهجرية
ب	السنة البوذية
الخ	إلى آخره
=	المعلومات مترابطة بين الصفحتين في الهامش

Prince of Songkla University Pattani Campus

الفصل الثاني

مقارنة بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

ويتكون في الآتي:

المبحث الأول: المقارنة في تعريفهما

المبحث الثاني: المقارنة في تاريخ نشأتهما

المبحث الثالث: المقارنة في أنواعهما

المبحث الرابع: المقارنة في ضوابط كل منهما

المبحث الخامس: ذكر أشهر المفسرين بالتفسير بالمأثور وأهم كتبهم، وذكر أشهر المفسرين بالرأي وأهم كتبهم

** ** **

Prince of Songkla University Pattani Campus

المبحث الأول: المقارنة في تعريفهما

المطلب الأول: تعريف التفسير بالمأثور:

ويجدر على الباحث قبل التعريف بالتفسير بالمأثور توضيح معنى المأثور مِن ناحية الإفراد لغةً واصطلاحًا، ثم تعريفه مُركبًا مع التفسير.

فالمأثور لغةً: لفظ مشتق من الأثر، وهو: بقيّة ما يرى من كل شيء، وما لا يرى بعد ما يبقى علقة، وأثر السيف ضربته. وأثروا الحديث: أن يأثره قوم عن قوم، أي: يحدّث به في آثارهم، أي بعدهم[31].

ويأتي الأثر بمعنى الخبر، والجمع آثار. وسنن النبيّ صلى الله عليه وسلم: آثاره. ومن هذا قيل: حديث مأثور، أي يخبر الناس به بعضهم بعضا، أي ينقله خلف عن سلف[32].

أما تعريف الأثر اصطلاحًا، فلعله يطلق عند المحدثين: ما يروى من السنة مرفوعا[33] أو موقوفا[34] أو مقطوعا[35]، وأحيانا يفرقون بين المرفوع فيسمونه خبرا، والموقوف فيسمونه أثرا[36].

وما يعني الباحث في هذا البحث، الأثر وعلاقته بالتفسير، فيكون تعريف التفسير بالمأثور: "تفسير القرآن بالقرآن نفسه، أو ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم، أو ما نقله الصحابي والتابعي بيانًا لما جاء في كتاب الله[37]".

---

31 الفراهيدي، العين، مادة أثر (273/8).

32 ابن منظور، لسان العرب، مادة أثر (6/4).

33 الحديث المرفوع: هو ما أضيف إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة أو أخلاق. ينظر: النووي، التقريب. ص (32).

34 الحديث الموقوف: ما أضيف إلى الصحابي من قول أو فعل ونحوه. المصدر نفسه. ص (33).

35 الحديث المقطوع: ما أضيف إلى التابعي من قول أو فعل. المصدر نفسه. ص (34).

36 المصدر نفسه. ص (33) وينظر: السيوطي، تدريب الراوي (274/1).

37 ينظر: الزركشي، البرهان (158/2-159)، وينظر: الزرقاني، مناهل العرفان (12/2 وما بعدها).

Prince of Songkla University Pattani Campus

المطلب الثاني: تعريف التفسير بالرأي:

الرأي لغة: الاعتقاد، والعقل، والتدبير، والنظر والتأمل، والاجتهاد. يقال: رأيته رأي العين: حيث يقع عليه البصر. والرأي عند الأصوليين: "استنباط الأحكام الشرعية في ضوء قواعد مقررة. — ومعنى الرأي هنا: الاجتهاد، وهو الذي سيقصده الباحث عند تعريف التفسير بالرأي- والجمع آراء[38]".

وفي ضوء ما سبق؛ فإن التفسير بالرأي: "هو بذل الجهد في تفسير كتاب الله بعد توافر شروط معينة، مثل معرفة كلام العرب وأساليبهم، ودراسة الألفاظ القرآنية بالاستعانة بالشعر الجاهلي، والوقوف على أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وغيرها[39]". وسيأتي ذكر هذه الشروط عند الحديث عن ضوابط التفسير بالرأي إن شاء الله.

المطلب الثالث: المقارنة بين تعريف التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي:

مما سبق، لم يُعْطِ التعريفان فرقًا واضحًا بحيث يتميز تعريف التفسير بالمأثور عن التفسير بالرأي؛ لأنَّ في اعتماد التفسير بالرأي على الاجتهاد لا يمكن أن يتأتى دون الوقوف على صحيح الأثر، سواء اعتمد المفسِّرُ بالرأي في تفسيره على أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ أو الاستعمالات اللغوية، ويمكن القول: إنَّ الفرق بين التعريفين يَكْمُنُ في جهة النقل، بوجه آخر: كيف وصل إلينا التفسير، فالجواب حينئذ:

-ما كان طريق الوصول إليه عن طريق الأثر، فهو التفسير بالمأثور، فالمفسر بالمأثور يعتمد على صحيح المنقول والآثار الواردة في الآية فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، ويتوقف عما لا طائل تحته، ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح.

-وما كان طريق الوصول إليه عن طريق الاجتهاد، فهو التفسير بالرأي، فالمفسر هنا مَنْ يَبْذُلُ جُهْدَهُ وَوَسْعَهُ في فَهْم النص القرآني، وأصول الشريعة في الفهم والاستنباط، مع الاطلاع على المأثور في تفسير الآية. وَمِنْهُ رَأْيُ أبي بكر رضي الله عنه في الكلالة، فيعتقد إنْ كان رأيُهُ صائبًا أنه من الله، وإن كان رأيه خطأً فَمِنْهُ ومِنَ الشيطان والله منه بريء[40].

---

[38] ينظر: مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط. ص (320).

[39] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (183/1) وينظر: الزركشي، البرهان (156/2 وما بعدها).

[40] ينظر: الطبري، جامع البيان (475/4).

Prince of Songkla University Pattani Campus

فزبدة الفرق بين تعريف التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، هو الأثر والنقل؛ فالتفسير بالمأثور يعتمد على الأثر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين، فإن خلت الآية من أحد هذه النقول السابقة جاء دور التفسير بالرأي بضوابطه الذي سيأتي بيانه لاحقًا.

المبحث الثاني: المقارنة في تاريخ نشأتهما

لا بد قبل المقارنة في تاريخ نشأة التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي الحديثَ عن تاريخ تدوين التفسير، ومن هنا ينبثق هذا السؤال، متى ظهر تدوين التفسير؟ وهل كان هناك تفسيرٌ في عَهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فيقول الباحث وعلى الله معتمده:

نزل القرآن الكريم بِلِسَانٍ عربيٍ مُبينٍ على رسول الله النبي الأمي الأمين صلى الله عليه وسلم ، منجمًا حَسَبَ النوازل والوقائع والأحداث، وأحيانًا بل أغلبه كان ينزل بلا سبب، وقد تكفل الله لنبيه بحفظ القرآن حين ينزل عليه، فقال تعالى: { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ *فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة:16-18] ومن الطبيعي ألا يقتصر الأمرُ على حِفْظِ الألفاظ فقط، وإنما شمل أيضًا معرفة معانيها وأسرارها وحكمها ما لا يدركها أحدٌ سوى الله سبحانه وتعالى، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ أصحابه ما نزل عليه ويقرأ لهم على مكث؛ ليحفظوه ويفهموا معناه ويدركوا أسراره، قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:44]. وكان الصحابة رضوان الله عليهم حَرِيصِينَ أشد الحرص على حفظ القرآن، كلٌ بِحَسَب استطاعته وقوة حفظه قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ، وكانوا يعرفون الشيءَ الكثير من معاني القرآن وعلومه بمقتضى سليقتهم العربية؛ كَوْنُهُم عَرَبًا خُلَّصًا امتازوا بصفاء الذهن، وَحِدَّة الفكر، والتأني والتدبر، وسلامة الصدر، أتقياء أنقياء، شاهدوا تنزلات الوَحْيِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعه غيرهم، ورأوا أحواله عليه الصلاة والسلام، والظروف والملابسات التي كانت تصحبه مع تنزل القرآن ما لم يره أحد، ومع اجتماع تلكم الميزات فقد كان يخفى عليهم معاني بعض الآيات كقوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام:82]، فقال أحدهم: وَأَيُّنَا لا يظلم؟ فَبَيَّنَ لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن المقصود بالظلم هنا هو الشرك، لقوله تعالى: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:13]، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يُبَيِّن لهم ما خَفِيَ من المعاني ولكن كان قليل، والسبب كما ذكر الباحث أن الصحابة كانوا على دراية بالمعاني بسبب تدبرهم وعربيتهم الأصيلة ومعايشتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بعد وفاة رسول الله صلى الله

عليه وسلم بَلَّغَ الصحابةُ رضوان الله عليهم ما حملوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وتفسيره وعلومه و(اجتهادهم)- كما سيأتي الحديث عن التفسير بالرأي (المحمود) إلى مَنْ بَعْدِهِم مِنَ التَّابعين،[41] وهم بدورهم بَلَّغُوهُ إلى مَنْ جاء بعدهم مِنْ تابع التابعين، إذن فقد كان المعتمد في حفظ العلوم – أي القرآن وعلومه، إضافة إلى علم الحديث- في هذه القرون الأولى على الرواية والتلقي والمشافهة لا على الخط والكتابة، وظل الأمر كذلك حتى أَنْ جاء عصرُ التدوين، فكُتبت المعارف والعلوم في السطور بعد أن كانت محفوظةً في الصدور. ولعل السبب يعود في عدم كتابة التفسير وعلوم القرآن وغيره من العلوم في عصر الصحابة والتابعين، هو قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلا حَرَجَ...[42])) فَمِنْ أَجْلِ هذا لم يُدَون التفسير والعلوم الأخرى، فقد تحرج الصحابة من تدوين شيءٍ غير القرآن، حتى الحديث وعلومه كما ذكر الباحث، فقد كان مقتصرا على الرواية والمشافهة والتلقي[43].

والسؤال كيف دُون علم التفسير إذن؟

مما سبق عُرِف أن التدوين في العصور الأولى كان مقتصرا على القرآن فقط، ولكن عندما اتسعت رقعة الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وأسلم الكثير من العجم؛ ضعفت السليقة وفشا اللحن وخفي الكثير من المعاني فكان أَنْ أشار سيدنا علي[44] بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى أبي الأسود الدؤلي[45] بَوَضْعِ عِلْمٍ يضبط ويحفظ أصول اللغة العربية، فمن هنا كان نشأة علم النحو وكان فاتحةُ خيرٍ لتدوين اللغة العربية وبقية علوم الدين[46].

---

[41] رُوِيَ عَنْ مجاهد وهو أحد التابعين قال: "عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها". ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (10).

[42] أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم الحديث (3001) (298/4).

[43] ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (10-11) القرطبي، مقدمة الجامع لأحكام القرآن (2/1) الزركشي، البرهان (158/2-159).

[44] هو الخليفة الرابع علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ولد سنة 23 ق. هـ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره على ابنته فاطمة رضي الله عنها، أول من أسلم من الصبيان، كان يتفجر منه ينبوع الحكمة، استشهد سنة 40 هـ على يد أحد الخوارج. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (55/4).

[45] أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني، ولد سنة 16 ق. هـ، من ساداتِ التابعين، وضع علم النحو في اللغة العربية وشكّل أحرف المصحف بأمر من الإمام علي بن أبي طالب. توفي في البصرة سنة 69 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (81/4-86).

[46] ينظر: أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم. ص (31-32) وينظر: الطنطاوي، نشأة علم النحو. ص (30-31).

وفي العصر الأموي والعباسي ازدهرت الكتابة واتسعت دائرة التأليف، وَضُمَّ إلى عِلْمِ اللغة غيرها من العلوم، فأمر الخليفةُ عُمَرَ بن عبد العزيز[47] علماءَ الأمصار بجمع الأحاديث؛ خوفًا من ضياعها بذهاب العلماء، وحتى يتسنى معرفة الصحيح من السقيم، والمقبول من المردود[48].

أمَّا عِلْمُ التفسير فَأَلَّفَ أَئِمةٌ في التفسير مِنْ بينهم: مُقَاتِل بن سليمان[49] ت: 150 هـ، وشُعْبَة بن الحجاج[50] ت: 161 هـ، وسُفْيَان الثَّوْري[51] ت: 161هـ، ووَكيع بن الجراح[52] ت: 197هـ، وسُفْيَان بن عيينة[53] ت: 198 هـ، وكانت تفاسيرهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين. فكانت بذلك نشأة التفسير بالمأثور[54]. ثم تلاهم محمد بن جرير الطبري ت: 310 هـ، وجاء بتفسيره المشهور-سيأتي ذكره عند ذكر أهم كتب التفسير بالمأثور- إِذْ يُعْتَبَرُ تفسيره مِنْ أهم التفاسير بالمأثور، وبدايةً لتأليف التفسير بالرأي؛ لما اشتمل تفسيره على ترجيحات لأقوال المفسرين بعد توجيهها. ثم أخذ التفسير يتغير شيئا فشيئا فُحِذَفَ الأسانيد ودَخَلَ إليه الإسرائيليات، ثم أخذ التفسير يُؤَلَف بحسب الموضوع، كأسباب النزول، والناسخ

---

[47] أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، ولد سنة 61 هـ، ونشأ عند أخواله آل عمر بن الخطاب، ثامن خلفاء بني أمية، تولى الخلافة سنة 99 هـ. تميزت خلافته بالعدل والمساواة، قُتل مسموما سنة 101 هـ. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية (678/12).

[48] ينظر: المطيري، تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين. ص (50-53).

[49] هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، صاحب التفسير المسمى "تفسير مقاتل". أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، لكن كان متروكا أي كان متروك الحديث، توفي سنة 150 150 هـ. ينظر: المصدر السابق (201/7-202).

[50] الإمام الحافظ أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي العتكي، مولاهم الواسطي، عالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة من الصغر، ورأى الحسن، وأخذ عنه مسائل، ولد سنة 80 80 هـ وقيل سنة 82 82 هـ، وتوفي سنة 160 160 هـ. ينظر: المصدر نفسه (208/7).

[51] سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد ، مصنف كتاب " الجامع ". ولد سنة 97 هـ، طلب العلم وهو حدث باعتناء والده. توفي في البصرة سنة 161 161 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (229/7-280).

[52] وكيع بن الجراح ، بن مليح ، بن عدي بن فرس بن جمجمة، الإمام الحافظ ، محدث العراق. ولد سنة 129 129 هـ، من أشهر تلامذته أحمد بن حنبل والشافعي الذي قال فيه: شكوت إلى وكيع سوء حفظي. توفي سنة 197 197 هـ وهو قافل من الحج. ينظر: المصدر نفسه (157/9-168).

[53] سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي، إمام ومحدث شهير وعرف بالزهد والورع. ولد في الكوفة سنة 107 107 هـ. طلب العلم وهو غلام وروى الحديث عن الكبار ومنهم: الزهري. توفي سنة 198 هـ. ينظر: المصدر نفسه (458/8-475).

[54] ينظر: الزركشي، البرهان. (158/2-159) وينظر: أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم. (32/1). وينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (112/1-113).

Prince of Songkla University Pattani Campus

والمنسوخ، كما ظهر التفسير اللغوي والبلاغي، كما تَلَوَّن التفسيرُ حسب لون معتقد المؤلف– كما سيأتي في البحث عن أنواع التفسير بالرأي[55].

ومما سبق تبين للباحث أن التفسير بالمأثور كان أسبق من التفسير بالرأي في التدوين والظهور في دفة الصحف والكتب، وأيضًا مِنَ الصعب فصلُ التفسير بالرأي عن التفسير بالمأثور، وأن يقال: إنَّ التفسير بالرأي لم يكن موجودا حتى بعد عصر تدوين التفسير بالمأثور! بل يبدو للباحث والله أعلم أن في اختيار المفسر بالمأثور للروايات في أي موضوعٍ إنما اختاره مِنْ قِبَلِ نظرِهِ واجتهادِهِ ولا أَدَلَّ على ذلك ما سار عليه الإمام الطبري في تفسيره[56] ولكن هو كما ذُكر؛ سَبَق التفسير بالمأثور على تفسير بالرأي في التدوين.[57]

المبحث الثالث: المقارنة في أنواعهما

بما أن التفسير بالمأثور أسبق في التدوين من التفسير بالرأي، فمِنَ المناسِب أَنْ يبدأَ الباحث بالحديث عن أنواع التفسير بالمأثور، ويقول وبالله التوفيق:

المطلب الأول: أنواع التفسير بالمأثور:

قد تبيَّن فيما مضى تعريف التفسير بالمأثور وأنه يعتمد على النَّقْلِ بشكل أساسي، لذا لن يخرج التفسير بالمأثور عَنْ هذه الأنواع الأربعة:

– النوع الأول: تفسير القرآن بالقرآن: فما يكون مُجْمَلاً في مَوْضِعٍ فقد يُفَسر في موضِعٍ آخر، وما يكون مختصرًا فلعله قد شُرِح وبُسِط في مكانٍ آخر[58]. مثاله: قوله تعالى: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: 23]، فقد فسر قوله تعالى: {فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ...} [البقرة: 37]. وقوله تعالى: {أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ

---

[55] ينظر: المصادر نفسها.

[56] وسيأتي الكلام على منهج الإمام الطبري في تفسيره عند ذكر أهم المفسرين بالمأثور وأهم كتبهم.

[57] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/112-113).

[58] ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (39).

Prince of Songkla University Pattani Campus

..} [المائدة:1] فقد فسره قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...} [المائدة: 3].

– **النوع الثاني: تفسير القرآن بالسُّنَّة:** فإنَّ السُّنَّةَ جاءت مُبيِّنَةً للقرآن وشارحةً له، فَكَمْ مِن حُكْمٍ في القرآن لم يُذْكر تفصيلُه، وإنما اعتنى شرحَه السُّنَّةَ، مثاله: مواقيت الصلاة، وكيفية الصلاة، وعدد ركعاتها، وكذلك النِّصَاب في الزكاة وغيره. قال تعالى: {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:44]. وأَنَّ مَا حَكَمَ به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مما فَهِمَه مِنَ القرآن. قال الله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} [النساء: 105]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ...[59])) يعني السُّنَّةَ ومثالها كثير، منها: تفسير النبي صلى الله عليه وسلم الظُّلْمَ بِالشِّرْكِ، والحساب اليسير بِالْعَرْض، والقوة بِالرَّمْيِ[60].

– **النوع الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة:** وذلك لِأَنَّهُم شاهدوا تنزلات الوَحْي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَبِمَا امْتَازُوا به مِنَ الفَهْمِ الخالص والعمل الصالح، كما أَنَّهُمْ إِذَا تَلَاْ عليهِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شيئًا مِنَ القُرآن بَقَوْا عليه مُدةً يحفظونها ويتعلمونها ويعملون بها. وقد قيل: قولُ الصَّحَابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه له حكم المرفوع كأسباب النزول، ومنه ما صح عن ابن عباس[61] وغيره من الصَّحَابة مِمَّا هُوَ ثابِتٌ في كُتُبِ التفسير بالأسانيد الصحيحة كتفسير الطبري[62].

---

[59] ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (40).

[60] رواه أبو داود، سنن أبي داود،كتاب السنة، باب: في لُزُوم السنة، الحديث رقم: (4604) (200/4). وينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: ظلم دون ظلم، الحديث رقم (32) وينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي، حديث رقم (3653).

[61] عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، من صغار الصحابة، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وهو الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء المشهور: "اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل". توفي في الطائف سنة 68 هـ رضي الله عنه وأرضاه. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (3/331-359).

[62] ينظر: المصدر السابق. ص (40-44)، وينظر: سلامة، منهج الفرقان (9/2).

– النوع الرابع: تفسير التَّابِعِين للقرآن: قد ذكر الباحث فيما سبق، أن العلماء اختلفوا إن كان أقوالُ التَّابِعِينَ داخِلٌ في التفسير بالمأثور أَمْ هو مِنْ قَبِيْلِ التفسير بالرأي؟ ولعله كما قد اختار الباحث أنه مِنْ قَبِيْلِ التفسير بالمأثور؛ لِعَمَلِ أهل التفسير على ذلك، مِنْ بَيْنِهم ابن جَرِيرِ الطبري في تفسيره. وما نُقل عن شُعْبَة بن الحجاج أن أقوال التابعين في الفروع ليست بحجة، فكيف في التفسير؟! فلعله صحيح، ومعناه أنه ليس بحجة على مَنْ خالفه. بَيْد أَنَّهُمْ إذا اجْتَمَعُوا على شيئٍ فلا شَكَّ أَنَّهُ يُعْتَبرُ مِنَ الحُجَجِ القوية، وبهذا يمكن للباحث القَوْل: إِنَّ أَقْوَالَ التابعين فيما اتفقوا عليه يكون مِنْ ضِمْنِ أنواع التفسير بالمأثور والله أعلم[63].

المطلب الثاني: أنواع التفسير بالرأي:

جاء في مقدمة الراغب الأصفهاني[64] في تفسيره (37/1) عن التفسير بالرأي: "اختلف الناس في تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه؟ فبعض يشدد في ذلك وقال: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن، وَإِنْ كان عالماً أديبًا متسعًا في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة – رضي الله تعالى عنهم –، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين". ثم قال: "وذكر آخرون أَنَّ مَنْ كان ذا أدب وسيع فموسع له أن يفسره...".

التحقيق في المسألة:

تبين للباحث من خلال مقولة الراغب الأصفهاني السابق أن هناك فريقٌ مَنْ يمنع التفسير بالرأي والاكتفاء بالنَّقْل، وفريق جَوَّزُوا التفسير بالرأي زيادةً على النَّقْل، ولِكُلٍّ مِنَ الفريقَين أَدِلَّتُهُم في ذلك.

---

[63] ينظر: المصدر نفسه. ص (44–46)، وينظر: الراغب الأصفهاني، مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني (37/1).

[64] هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أصله من أصفهان وانتقل إلى بغداد. قيل إنه من علماء الشيعة، وقيل بل إنه كان معتزلا، وهو أديب وعالم. توفي سنة 502 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (120/18–121) وينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (1/1).

- **أدلة المانعين من التفسير بالرأي:**

أولا: القَوْلُ في التفسير بالرأي هو قولٌ على الله بغير عِلْم، وَحَسْبُه مِنْ قَوْلِه بالرأي الظن، والظن لا يُغْني مِنَ الحق شيئًا. وقد نهى اللهُ سبحانه وتعالى عَنِ القول بغير عِلْم، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف:33]، وقال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...} [الإسراء:36].[65]

اعْتَرَضَ المُجِيزون على هذا الاستدلال بقولهم: إنَّ في الظن إدراكٌ لِطَرَفٍ راجح، وهو نوعٌ مِنْ أنواع العلم. والظن منهي عنه إذا صادم دليلٌ نقليٌ أو عقليٌ قاطعٌ. أما إذا خلا شيءٌ مِنْ ذلك فالظن كافٍ وَحْدَهُ لاعتماده على دليلٍ قطعيٍ وهو قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...} [البقرة:286]، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ[66] حين بعثه إلى اليمن: ((كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ ؟ ، قَالَ : أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ ، قَالَ : فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ[67])).

---

[65] ينظر: الزركشي، البرهان (161/2) وينظر: سلامة، منهج الفرقان (26/2).

[66] هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل من الأنصار من بني أدّى من بني جشم بن الخزرج، أسلم وهو ابن 18 سنة، وشهد بيعة العقبة الثانية، ثم شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها، بعثه عاملاً له في اليمن بعد غزوة تبوك، توفي سنة 18 هـ بسبب طاعون عمواس. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (446/1-461).

[67] أخرجه أحمد وداود والترمذي. وضعفه جمع من أهل العلم لعلتين: جهالة الحارث بن عمرو وتفرّده به كما أشار بذلك البخاري. وانقطاع السّند بينه وبين معاذ بسبب إبهام الواسطة التي روى عنها وهي "عن الحارث بن عمرو عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل، والله أعلم. ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب: ما جاء في القاضي كيف يقضي، الحديث رقم: (1327) (616/3)، أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء، رقم الحديث (3592) (303/3). وينظر: المصادر السابقة.

Prince of Songkla University Pattani Campus

ثانيا: أن البيان في القرآن مُخْتَصٌ بالرسول صلى الله عليه وسلم، والدليل قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 44] فَعَلِمَ أنه ليس لغيره شيءٌ مِنَ البيان لمعاني القرآن[68].

وأجاب المجيزون عن هذا الاستدلال: نَعَمْ ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مأمورًا بالبيان، لكنه صلى الله عليه وسلم انتقل من الدنيا ولم يُبَين كل ما في القرآن، فما بَينه صلى الله عليه وسلم فهو لِمَنْ بعده، وما لم يبينه فهو متاحٌ لِمَن بعده مِنْ أهل العلم، ولقوله تعالى في آخر الآية السابقة: (ولعلهم يتفكرون) مضمونها تحقق الانتباه إلى ما فيها مِنْ ذكر ومواعظ ولطائف العِبَر، ومِنْ إشارات وأسرار ودقائق الحُكْم وبلاغة الحِكَم[69].

ثالثا: ورود نَهْيٍ ووعيدٌ شديدٌ لِمَنْ قال في القرآن برأيه، فعن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ[70])).

وأجاب المجيزون عن هذا؛ أن الحديث محمولٌ على النهي مَنْ قال في القرآن برأيه في نَحْوِ مشكل القرآن ومتشابهه، مِنْ كل ما لا يعلم طريقه إلا عن طريق النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة رضوان الله عليهم. كما أن النهي محمولٌ في غير مشكل القرآن ومتشابهه بِمَنْ قال برأيه الموافق لغرضه وهواه مِنْ غير دليلٍ يَقومُ عليه. أما الذي يعضد رأيَهُ البرهانُ ويُقَويه الدليلُ، ويَسيرُ وِفْقَ اقتضاء فنٍ مِنْ فنون قواعد تفسير القرآن كَعِلْمِ اللغة والنحو والصرف والبلاغة، أو الفقه وأصوله، أو الحديث، أو أصول الدين، فالقول برأيه جائزٌ مبنيٌ على اجتهادٍ استند على قوانين ونظر، وليس قائمًا على الرأي المجرد عن العلم وقواعد الاستدلال والنظر، والموافق لرأيٍ وهوىً والله أعلم[71].

---

[68] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (170/1).

[69] ينظر: الآلوسي، روح المعاني (149/14) الذهبي، التفسير والمفسرون (170/1).

[70] رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن. ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم الحديث (9512) (183/5) وينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (46) سلامة، منهج الفرقان (27/2).

[71] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (41/1)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (32/1).

رابعا: تَعْظيمُ الصحابة والتابعين تفسير القرآن، وتحرجهم عن القول بالرأي في التفسير؛ لِأَن القول في التفسير شهادة على الله على مراده مِنَ الآية. فَمِنْ ذلك: سُئِلَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تفسير حرف مِنَ القرآن فقال: "أَيُّ أَرْضٍ تقلُّني وأي سماءٍ تظلُّني إذا قلت في كتاب الله ما لَمْ أعلم[72]". وقال الشعبي: "ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت: القرآن .....[73]".

وأجاب المجيزون: بأن هذا الإحجامَ إنما عَنْ احتياطٍ وورعٍ، مخافةً لأنفسهم أن لا يجانبوا وجه الصواب فيما لم يعرفوا فيه، أو أنهم خافوا على أنفسهم أن يكونوا أئمة فيمَنْ يفسر القرآن برأيه، يُبْنَى على رأيهم ويقتفى طريقهم، فجاء مَنْ بعدهم ويخطئ ويقول: إمامي في التفسير بالرأي فلانٌ مِنَ السلف. وأما إذا عرفوا الصواب فإنهم لا يتحرجون عن إبداء رأيهم ولو كان ظنًا، فهذا سيدنا أبو بكر رضي الله عنه قال في الكلالة رأيًا؛ فإن كان صوابًا فَمِنَ الله، وإنْ كان خطأً فَمِنْه ومِنَ الشيطان والله منه بريء[74].

-أدلة المجوزين للقول في التفسير بالرأي:

أولا: استدلوا على نصوصِ آياتٍ كثيرةٍ مِنَ القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: 24]، وقوله تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: 29]، ومنه قوله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ...} [النساء: 83]، ووجه الاستدلال في الآيات السابقة: الأمرُ مِنَ الجليلِ سبحانه وتعالى بالاتعاظ والتدبر في الآيات الحكيم، وَأن في القرآن ما يمكن للعلماء استنباط منه الأحكام مِنْ خلال اجتهادهم وإعمال عقولهم، فلا يُعقل أن يكون تفسير ما لم يستأثر الله لنفسه محرمًا على العلماء، كيف وأنه طريق العلم، وسبيل المعرفة والعلم والعظة؟ ولو كان ذلك لَلَزِمَ القولُ بتدبر الآيات والاتعاظ بما لا يُفهم وَلَغَابَ الكثيرُ مِنَ الفَهْمِ لِكِتَاب الله سبحانه وتعالى[75].

---

[72] رواه إبراهيم التيمي، والحديث منقطع. ينظر: ابن حجر، الكافي الشاف. ص (311).

[73] ينظر: الطبري، جامع البيان (86/1) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (46-50).

[74] ينظر: المصادر نفسها (475/4) ، ص (50) وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (34/1),

[75] ينظر: المصدر نفسه (32/1) ، ابن عطية، المحرر الوجيز (41/1).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ثانيا: لو قيل: إن التفسير بالرأي غيرُ جائزٍ لَلَزِمَ القولُ بعدم جواز الاجتهاد، ولتعطلت الكثير مِنْ مصالح الناس، وهذا معلوم خطأ هذا القول، وأن باب الاجتهاد مفتوحٌ حتى أن تقوم الساعة، كما أن للمجتهد المصيب أجران، وللمخطئ أجرٌ واحدٌ، والنبي صلى الله عليه وسلم مات ولم يفسر كل ما في القرآن، ولم يستخرج لنا جميع ما فيه مِنْ أحكام[76].

ثالثا: وقوع الاختلاف فيما بين الصحابة في التفسير على عدة وجوه، وليس كلُ أقوالِ الصحابة مأخوذ مِنَ النبي صلى الله عليه وسلم، بل بعضها مِنْ فَهْمِ الصحابة توصلوا إليه بمعرفتهم بعقولهم واجتهادهم، ولو كان القول بالرأي غيرَ جائزٍ لتحتم القول بوقوع الصحابة في المحظور والمخالفة لأمر الله سبحانه، ونحن نُعيذ الصحابة من ذلك[77].

رابعا: قالوا: لو كان القول في التفسير بالرأي غيرَ جائزٍ، لَمَا كان في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن العباس: ((اللهمَّ فقِّههُ في الدِّين))[78] أيَ فائدةٍ ومزيةٍ، فدل على التخصيص له بالدعاء أمرٌ آخرٌ وراءَ النقل والسماع، وهو الرأي والاجتهاد، وهذا بَيِّنٌ لا إشكالَ فيه[79].

حقيقة الخلاف بين الفريقين:

في ضوء ما سبق، ظَهَرَ للباحث: أن الخلاف بين الفريقين خِلَافٌ لفظيٌ، فالسر وراء أقوال المانعين هو وَضْعُ سُورٍ حَوْلَ القرآن الكريم، وألا يتم التلاعب به مِنْ قِبَلِ أناسٍ لا هَمَّ لَهُمْ إلا اتباع الشهوات والانقياد للرغائب والنفس والهوى. أما مَنْ توافر في نفسه العلم وتملك أدوات الاستنباط والاجتهاد، مع تقوى الله تعالى في السر والعلن، فلا ينبغي الجمود والاكتفاء على النقل والسمع والله أعلم. قال الراغب الأصفهاني: "إنَّ كلا المذهبين فيهما الغلو والتقصير، فَمَنِ اقتصر على المنقول إليه فقد

---

[76] ينظر: سلامة، منهج الفرقان (29/2) الذهبي، التفسير والمفسرون (173/1).

[77] ينظر: المصادر نفسها.

[78] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء. (41/1).

[79] ينظر: المصادر السابقة. وينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (41/1).

ترك كثيراً مما يحتاج إليه، ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه، فقد عرضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى: (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)[80]".

ومما سبق فإن للتفسير بالرأي نوعان:

النوع الأول: محمود: وهو القسم الذي يجري فيه على عادة كلام العرب ومناحيهم في القول، شريطة الموافقة للكتاب والسنة، ومراعاة لضوابط التفسير بالرأي كما سيأتي – في مبحث ضوابط التفسير بالرأي – وهو الذي يمكن القول فيه بالجواز، وعليه يُحمل كلامُ المجيزين للتفسير بالرأي. قال ابن تيمية[81] في مقدمة أصول التفسير، ص (50): "فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولةٌ على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا عِلْمَ لَهُمْ به، فأما مَنْ تكلم بما يَعْلَم مِنْ ذلك لغةً وشرعًا فلا حرج عليه....".

النوع الثاني: مذموم: وهو القسم الذي خرج على عادة كلام العرب، وخرج عَنْ موافقة الشرع مِنَ الكتاب والسنة، ولم يتوافر لقائله شروط التفسير بالرأي، وهو الذي يقصد فيه بالنهي وهو محط الذم. قال ابن مسعود[82]: "سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ...."[83][84].

---

[80] ينظر: الراغب الأصفهاني، مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني (37/1).

[81] هو: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني المشهور بابن تيمية، ولد سنة 661 هـ، في مدينة حران ثم انتقل إلى دمشق، عالم مجتهد . توفي في ذي القعدة سنة 728 هـ. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله المقدسي الحنبلي، طبقات علماء الحديث (280/4).

[82] هو: الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام. قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: " من سرَّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل، فليقرأه بقراءة ابن أم عبد، توفي سنة 32 هـ رضي الله عنه وأرضاه. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (467/1-500).

[83] أخرجه ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله، باب من تأول في القرآن وتدبره، رقم الحديث (1423).

[84] مصادر البحث في أنواع التفسير بالرأي: الطبري، مقدمة جامع البيان (80/1-84) ، الراغب الأصفهاني، مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني (37/1-40) ، الزركشي، البرهان (161/2-162) ، سلامة، منهج الفرقان (32/2-35) ، الذهبي، التفسير والمفسرون (188/1 وما بعدها).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وبعد، فقد اتضح للباحث مِنْ هذا المبحث والمقارنة بين أنواع التفسير بالمأثور وبين أنواع التفسير بالرأي؛ وأن التفسير بالمأثور أنواعه لا يعدو الخروج عن أربعة أنواعٍ اعتمادًا على تعريفه، وأنه يستند في الأساس على النقل، فالتفسير بالمأثور يكون إما بالقرآن أو بالسنة أو بقول صحابيٍ أو بقول تابعيٍ فيما اتفقوا عليه ولم يكن للاجتهاد له محل.

أما التفسير بالرأي فهو نوعان؛ تفسير محمود وهو ما توافر فيه الشروط والمعايير الذي سيأتي ذكرهما لاحقا، وتفسير مذموم وهو ما خرج عن الضوابط والمعايير، أو فقد شرط من شروط التفسير بالرأي كما سيذكره الباحث في موضعه. كما لا ينسى الباحث أن ينبه إلى أن التفسير المحمود له أنواع حسب الاتجاه والميول[85].

المبحث الرابع: المقارنة في ضوابط كل منهما:

يُستحسن على الباحث أن يذكر معنى الضوابط لغةً واصطلاحًا أولًا قبل أن يشرع في ذكر الضوابط لكل مِنَ التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

- **تعريف الضوابط لغةً:** جمع ضابط، مِنْ ضبَطَ والضَبْط: لزوم الشيء وحبسه، والضبْط الحفظ بالحزم، ورجل ضابط أي حازم، قوي شديد البطش، ورجل أضبط: يعمل بيديه جميعًا[86].

- **أما الضوابط اصطلاحا:** "فهو الأمرُ الكليُ المنطبقُ على جميع جزئياته[87]".

المطلب الأول: ضوابط التفسير بالمأثور:

قد بين الباحث فيما مضى تعريف التفسير بالمأثور وأنواعه، وهو تفسير يعتمد على النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمى بالحديث المرفوع، أو النقل عن صحابي ويسمى بالحديث الموقوف، أو النقل عن التابعي ويسمى بالحديث المقطوع. فالتفسير بالمأثور شأنه شأن علم الحديث،

---

[85] سيذكر الباحث أنواع التفسير بالرأي الجائز (المحمود) في مبحث ضوابط التفسير بالرأي إن شاء الله.

[86] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: ض ب ط (340/7) الرازي، مختار الصحاح، مادة: ضبط (158/1).

[87] ينظر: الفيومي، المصباح المنير (510/2) أمير بادشاه، تيسير التحرير (15/1).

فيشترط له ما يشترط للأحاديث مِنْ صحة المتن وعدالة الرواة واتصال السند وأَنْ لا يطرأ إليه خللٌ أو علةٌ يطعن في صحة النقل كما هو مذكور في كتب علوم الحديث.

ويجدر على الباحث أَنْ يتوسع قليلًا في ذكر مراحل تطور التفسير بالمأثور والأسباب التي أدت إلى ضعفه، فيقول وعلى الله توكله:

مر التفسير بالمأثور على مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: مرحلة الرواية والتلقي والمشافهة:

إذ كان يتلقى التلاميذ العلم ما يُمْلي عليهم شيوخهم مِنْ صدورهم. وهذه المرحلة التي كانت عليها حياة الأمة الإسلامية الأولى، إذْ كان علم التفسير ناشئًا في أحضان علم الحديث حيث لم يكن ثمة علم يومئذ غير علم الحديث. وقد سبق ذكر سبب عدم وجود تدوين للعلوم غير القرآن، وذلك بسبب تحرج الصحابة عَنْ أَنْ يكتبوا شيئًا غير القرآن للحديث الوارد في ذلك: ((لا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلا حَرَجَ...[88])) هذا وإِنْ وُجِدَ بعضُ التدوين فقد وُجِدَ في حدود ضيق، وعلى وجهٍ خاص، كالمعاهدات، والكتب إلى الملوك، أو الإذن لكاتب معين معروف بالتنسيق وحسن الترتيب وجودة الخط كعبد الله بن عمرو بن العاص[89]. وهكذا ظل الامتناع عن الكتابة طبع الورعين الوجلين من الوقوع فى محظور النهي عن الكتابة واكتفى حملة العلم بنقله مشافهة مِنَ الصدور إلى الصدور حتى زمن الخليفة الأموى الراشد عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- (99 هـ- 101 هـ)[90].

---

[88] سبق تخريجه.

[89] هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي صحابي ولد سنة 616 م. هاجر إلى المدينة سنة 7 هـ، كان أحد الصحابة الذين سمح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة، تعلم القرءان، ولزم الرسول صلى الله عليه وسلم وجمع علما غزيرا، توفي رضي الله عنه 63 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (3/70-93).

[90] ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (10-11) القرطبي، مقدمة الجامع لأحكام القرآن (2/1) الزركشي، البرهان (2/158-159) الذهبي، التفسير والمفسرون (1/103-105).

والسبب الذي جعل مِنْ عُمَر بن عبد العزيز يأمر بتدوين العلوم، هو أنه خشي على الأمة ضياع العلم بموت الصحابة وكبار التابعين، كما بدأ تظهر بوادر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم نتيجة لاتساع رقعة الاسلام، واعتناق الأعاجم، ودخول بعض رؤساء الأديان فى الإسلام دَغْلًا وحِقْدًا لا إيمانًا وتصديقًا، وجعلوا مِنْ أحقادهم معاول هدم لصروح الإسلام[91].

المرحلة الثانية: وهي مرحلة التدوين والكتابة:

وهذه المرحلة بدأت منذ أن أصدر عمر بن عبد العزيز أوامره بالتدوين في أول القرن الثانى الهجري وظلت ممتدة إلى عصرنا الحاضر. وهي مرحلةٌ عظيمةٌ تميزت بظاهرتين هامتين:

الأولى: استقرار التفسير بالمأثور في بطون المدونات التفسيرية، مما حفظ لنا هذا التفسير بأسانيده، وطرقه، ومروياته، ورواته في هذه المدونات العظيمة فبقيت إلى يومنا هذا حتى أَنْ يرث الله الأرض ومَنْ عليها بحوله وقوته[92].

الثانية: إمكان ضبط أي دخيل على هذا اللون مِنْ ألوان التفسير بمجرد قراءة **المروية التفسيرية** والنظر في رجالها، ونصّها، وذلك بالرجوع إلى السجلات الضابطة لتواريخ الرجال ومعرفة أحوالهم مِنْ صحة الرواية جرحًا أو تعديلًا. وسيأتي ذكر أهم المدونات التفسيرية التى سجلت لنا المرويات التفسيرية عن الأجيال الثلاثة المباركة في – مبحث ذكر أهم كتب التفسير بالمأثور وأهم كتب التفسير بالرأي– إن شاء الله تعالى[93].

كما أنه مِنَ الجدير بالذكر؛ أن التفسير بالمأثور في مرحلة التدوين والكتابة مرت بمراحل:

المرحلة الأولى: دور التبعية لعلم الحديث: حيث بدأ التدوين لعلم الحديث، إذْ سبق القول: إنه حتى مع بداية العصر العباسى لم يكن ثمة علم يومئذ غير علم الحديث، حتى أَنَّ لفظ (العلم) في هذه الفترة

---

[91] ينظر: المطيري، تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين. ص (50-53).

[92] ينظر: المصدر السابق (1/104-105).

[93] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/104-105).

Prince of Songkla University Pattani Campus

التاريخية لم يكن يعرف إلا بعلم الحديث. فبدأ جمع الحديث مِنْ صدور الحفظة إلى سطور الكراريس. ولما انتهت مرحلة الجمع مِشنَ الصدور إلى السطور وفيها أحاديث ذات موضوعات شتى، فمنها أحاديث تتعلق بالأحكام مِنْ طهارةٍ، وصلاةٍ، وآذان، وحجٍ، وزكاةٍ، وصومٍ، وبيعٍ، وسلمٍ، وصرفٍ، ومزارعةٍ، ومصانعةٍ، وزواجٍ، وطلاقٍ.

ومنها ما يتعلق بالتفسير وبيان مراد الله تعالى من كلامه المنزل على رسوله الكريم كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وغيرها. وهكذا جُمعت الدواوين ما حفظته الصدور[94].

فلما عَرَفَ الناسُ التدوين عرفوا التبويب والتهذيب. فبدؤوا يُضَمّنُون الأحاديث ذوات الموضوع الواحد تحت باب واحد، والأبواب المتشابهة في علمٍ واحدٍ تحت كتابٍ واحدٍ، فهذا كتاب في الطهارة يحتوي على أبوابها، وهذا كتاب في التفسير يحتوي على سور القرآن وما قيل في كل سورةٍ مِنْ مأثور القول. وفي هذه المرحلة انجمع علم التفسير في بابٍ مستقلٍ داخل كتب الحديث ومصنفاته، وأشهر مَنْ أفرد أبواب التفسير في كتب المرويات الحديثة هم: يزيد[95] بن هارون السلمي ت 117هـ، شعبة بن الحجاج ت 160 هـ، وكيع بن الجراح ت 197 هـ[96].

المرحلة الثانية: دور الاستقلال عن علم الحديث:

وفى هذه المرحلة استقلت الأحاديث المنجمعة في كتب الحديث تحت عنوان (باب في التفسير) أو تحت عنوان (كتاب التفسير)، وصارت في كتبٍ مستقلةٍ، ومصنفاتٍ خاصة عرفت ب(التفسير بالمأثور)[97].

---

[94] المرجع نفسه.

[95] هو: يزيد بن هارون بن زاذان، أبو خالد الواسطي. شيخ الإسلام، الحافظ، محدث من تابعي التابعين. ولد سنة 118 هـ، قال عنه علي المديني: "هو من الثقات، وما رأيت أحفظ منه". توفي سنة 206 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (9/360-372).

[96] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/105).

[97] المرجع نفسه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

واستمر هذا الدور مِنَ الثلث الأخير للقرن الثالث الهجرى إلى العقد الأول مِنَ القرن الرابع الهجري، وأشهر مَنْ جَمَعَ تفاسير مستقلة في مصنفات في هذا الدور هم: ابن ماجه[98] ت 273 هـ، وابن جرير[99] الطبري ت 310 هـ، أبو بكر[100] النيسابوري ت 318 هـ[101].

المرحلة الثالثة: دور حذف الأسانيد، أو اختصاره:

في هذا الدور خلا التفسير بالمأثور مِنْ ذِكْرِ السند، وبقيت المتون دون عزو لقائل، وأصبح الإسناد موقوفا على أعلى راوٍ في السند دون ذكر بقية الرواة. وقد أدى هذا الدور إلى ظهور الوَضْعِ في التفسير، وظن ما ليس بصحيحٍ صحيحًا، ولم يقتصر اللبس عند هذا الحد فقط، وإنما زاد الأمر خطورة، إذ جُعلت المرويات الإسرائيلية وكأنها حقائق ثابتة مقطوع بها. وهذا ما سيأتي عليه الباحث، وهو الأسباب التي أدت إلى ضعف التفسير بالمأثور[102].

أسباب ضعف الرواية بالمأثور:

بما أن التفسير بالمأثور عبارةٌ عن مرويات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته عليهم الرضوان، والتابعين، فشأنه إذن تماما كشأن الحديث، منه الصحيح[103]، ومنه الحسن[104]، ومنه الضعيف[105]، وفيه مَنْ رُوَاتُه مَنْ هو موثوق، ومنهم مَنْ هو مشكوك فيه، ومنهم مَنْ عُرف بالوضع،[106]

---

[98] هو: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة الربعي القزويني هو إمام في علم الحديث، ولد سنة 209 هـ ، سمع من شيوخ البلاد مثل محمد بن المثنى بن دينار العنزي الملقب بالزمن وأبي بكر بن أبي شيبة وغيرهم. توفي في رمضان سنة 273 هـ. ينظر: المصدر السابق (280/13).

[99] سيأتي ترجمته.

[100] هو: الحافظ ابن المنذر أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر بن الجارود النيسابوري، ولد سنة 241 هـ في نيسابور، رحل إلى مصر طلبا للحديث والفقه، والتقى بالربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعي وتتلمذ عليه. توفي بمكة سنة 318 هـ. ينظر: المصدر السابق (490/14-492).

[101] ينظر: المرجع السابق.

[102] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (107/1).

[103] الحديث الصحيح: هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله من ابتداء السند إلى منتهاه من غير شذوذ أو علة. ينظر: سراج الدين البلقيني، مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح. ص (151).

[104] الحديث الحسن: هو ما اتصل إسناده ورواه عدل خفيف الضبط عن مثله من غير شذوذ ولا علة. المرجع نفسه.

[105] الحديث الضعيف هو ما قل عن درجة الحسن. ينظر: البيقوني، المنظومة البيقونية. ص (8).

Prince of Songkla University Pattani Campus

فمثل ذلك وُجد في مرويات التفسير. وهنا سيتطرق الباحث إلى ذكر الأسباب التي أوهنت بالرواية بالمأثور، ومِنْ خلال البحث تبين للباحث أن أسباب الضعف في التفسير بالمأثور يمكن أن يَكْمُنَ في الأسباب الآتية:

1- الوَضْع في التفسير.

2- تسلل الإسرائيليات إلى التفسير.

3- حذف الأسانيد واختصاره.

وليتناول الباحث هذه الأسباب الثلاثة بزيادة إيضاح وشيء من البيان والتفصيل:

أولا: الوضع في التفسير:

ولعل الوَضْعُ في التفسير ظَهَرَ سَنَةَ 41 للهجرة النبوية للأسباب الآتية:

1-ظهور المذاهب الدينية السياسية والتعصب لها، حيث أصبح الشيعة يكثرون مِنَ المرويات التي لا أَصْلَ لها، وينسبونها إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولكونه مِنْ بيت النبوة. وأما المتزلفون إلى الخلفاء العباسيين، فقد كانوا يتقربون إليهم بمرويات ينسبونها إلى جدهم ابن عباس رضي الله عنهما وهو منه بريء[107].

2- إن نسبة الرواية إلى أحد الصحابة توجب الثقة والقبول وتبعث إلى النفس الشعور بالاطمئنان مما لا يحصل لو نسبت إلى غيرهم، وخاصة إذا كانت منسوبة لِلْحَبْرَيْن الكبيرين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما[108].

---

[106] أي الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمى بالحديث الموضوع. ينظر: الطحان، تيسير مصطلح علم الحديث. ص (111).

[107] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/115-116).

[108] المرجع نفسه.

ثانيا: الإسرائيليات في التفسير:

وتعني الإسرائيليات: "المرويات عن مسلمي أهل الكتاب"، فقد جاء في الحديث في شأن الإسرائيليات ما نصه: ((وَحَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ...))[109] والمعنى: أنه صلى الله عليه وسلم أجاز لنا الرواية عن مسلمي أهل الكتاب فيما لا يُعلم كذبه، وإن لم يكن هناك ثمة أسانيد متصلة لتعذر ذلك، وللفترة بين زماني النبوة، والفائدة منها للاتعاظ وأخذ العبرة. أما ما يعُلم كذبه فلا يجوز؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الكذب في الحديث[110]. وما ورد نَهْيٌ في النظر إلى كتب بني إسرائيل فالنهي إما وارد في النظر إلى أحكامهم؛ لأن شرعتهم منسوخة، أو هو نَهْيٌ فيما عُلم كذبه كما ذُكر، أو أن النهي كان في صدر الإسلام قبل استقرار الأحكام الدينية والقواعد الإسلامية، فلما استقرت أُذِنَ لِأَمْنِ المحذور[111].

أما كون الإسرائيليات لها سببٌ في ضعف في التفسير بالمأثور فقد ذكر ذلك ابن خلدون[112] في مقدمته ص (279)، ولماذا أكثر المفسرون مِنَ الروايات الإسرائيلية، فقال: "وقد جمع المتقدمون في ذلك يعني التفسير النقلي وأوعوا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين، والمقبول والمردود؛ والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنها أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من (حِمْيَر)، الذين أخذوا بدين اليهودية، فلمّا أسلموا بقوا على ما

---

[109] أخرجه البخاري. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما جاء في ذكر بني إسرائيل، رقم الحديث (3274) (275/3).

[110] ينظر: ابن حجر، فتح الباري (499/6).

[111] المرجع نفسه. (498/6).

[112] هو: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ولد سنة 732 هـ في تونس وشب بها وتخرّج من جامعة الزيتونة، كانت مصنفاته من أهم المصادر للفكر العالمي وهو المسمى بتاريخ ابن خلدون. توفي سنة 808 هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام (330/3).

Prince of Songkla University Pattani Campus

كان عندهم مما لا تعلّق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة ، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم، وأمثال ذلك ، وهؤلاء مثل: (كعب الأحبار، ووهب ابن منبه، وعبد الله بن سلام) فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملؤوا الكتب بهذه المنقولات ، وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بَعُدَ صيتهم، وعظمت أقدارهم ، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة ، فتُلقيت بالقبول من يومئذ".

ثالثا: اختصار الأسانيد وحذفه:

وظهر هذا العمل إبان عصر التدوين، وهذا الأمر لعله يعتبر مِنْ أهم أسباب الضعف تأثيرًا على التفسير بالمأثور؛ لأنه مؤدي إلى الخلط بين الصحيح بالعليل، وأصبح كل مَنْ سَنَحَ له قولٌ يورده، ومَنْ يطرأ على باله شيءٌ يعتمده، فيأتي مَنْ بعده ينقل عنه ظانًا أن له أصلًا غير منتبهٍ إلى تحرير ما يورده عن السلف الصالح ومَنْ يرجع إليهم في التفسير[113].

تلكم كانت الأسباب الثلاثة في ضعف الرواية في التفسير بالمأثور، لكن بقي على الباحث أن يذكر قيمة التفسير بالمأثور بعد أَثَرِ الوضع عليه، فيقول وعلى الله معتمده:

قيمة التفسير بالمأثور:

جاء في المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ص (78-82) لمؤلفه جولد زيهر[114] ما نصه: "وإنما لمما يلفت النظر في هذا المحيط، هذه الظاهرة الغريبة، وهي أن التعاليم المنسوبة إلى ابن عباس تحمل طابع التصديق بشكل متساو ، وهي في نفسها تظهر في تضاد شديد بينها وبين بعضها، مما لا يقبل التوسط أو التوفيق".

---

[113] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/135-136).

[114] إجناتس جولدتسيهر، مستشرق يهودي مجري عُرف بنقده للإسلام وبجدية كتاباته، وهو أبرز من قام بمحاولة واسعة وشاملة لنسف السيرة النبوية، توفي سنة 1917 م. ينظر: بخيت، الإسلام في مواجهة الغزو الفكري الإستشراقي والتبشيري. ص (102-103).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ثم يسوق بعد ذلك مثالاً لهذا التضاد، فيذكر ما قام حول تعيين الذبيح من خلاف أسنده مثيروه إلى أقوال مأثورة عن السلَفَ، ويذكر فى ضمن كلامه: "أن كل فريق يعتمد فى رأيه على إسناد متصل بابن عباس يدعم به رأيه .....".

ثم يقول بعد كلام ساقه في هذا الموضوع: "ويمكن أن يُرى من ذلك إلى أى حد يكون مقدار صحة الرأي المستند إلى ابن عباس، وإلى أى حد يمكن الاعتراف به. وما نعتبره بالنسبة له وللآراء المأثورة عنه، يمكن أن يُعتبر إلى أقصى حد بالنسبة للتفسير المأثور، فالأقوال المتناقضة يمكن أن ترجع دائماً إلى قائل واحد، معتمدة فى الوقت نفسه على أسانيد مرضية موثوق بها ...".

ثم يقول بعد كلام ساقه عن الإسناد وما قع فيه مِنَ اللعب والخداع: "ومن الملاحظات التى أبديناها، يمكن أن نخلص بهذه النتيجة: وهى أنه لا يوجد بالنسبة لتفسير مأثور للقرآن ما نستطيع أن نسميه وحدة تامة أو كياناً قائماً، فإنه قد تُروى عن الصحابة فى تفسير الموضوع الواحد آراء متخالفة وفي أغلب الأحيان يناقض بعضها بعضاً من جهة، ومن جهة أخرى فقد تُنسب للصحابي الواحد فى معنى الكلمة الواحدة أو الجملة كلها آراء مختلفة، وبناء على ذلك، يُعتبر التفسير الذي يخالف بعضه بعضاً، والمناقض بعضه بعضاً، مساوياً للتفسير بالعلم".

والسؤال هنا: هل صحيح ما ذكره الأستاذ جولد زيهر مِنْ وجود تناقض في المرويات، كما أورده في شأن قصة الذبيح، وأن الروايتين إحداها تحدد أنه نبي الله إسماعيل، والرواية الأخرى تذكر أنه نبي الله إسحاق، وكلا الروايتين مِنْ راوٍ واحدٍ وهو ابن عباس رضي الله عنهما، وأن التفسير بالمأثور– بالوَضْعِ– مساوي للتفسير بالعلم؟

مِنْ خلال تحليل كلام الأستاذ جولد زيهر يتبين أنه لا يعدو أن يكون أكثر مِنْ محاولةٍ فاشلةٍ تريد النيل مِنْ هذا الكتاب الكريم، ومحاولة التنقيص مِنْ قيمة التفسير بالمأثور، والتقليل مِنَ الثروة الضخمة التي خلفها علماؤنا السلف رضوان الله عليهم.

فما أورده جولد زيهر مِنْ وجود مشكلات في التفسير بالمأثور فيمكن حله كما يأتي:

- **ما كان شأنه اختلاف في التفسير بين السلف:**

فذلك سهلٌ وميسورٌ حله؛ ذاك أن العلماء قالوا: إن معظم الاختلاف بين المفسرين هو اختلاف عبارةٍ وتنوعٍ، لا اختلاف تناقضٍ وتضادٍ، فما أمكن جمعه جُمع بين الأقوال، وما كان متعذرًا جمعه، المتأخرُ مِنَ القولين عن الشخص الواحد مقدَّم إن استويا في الصحة عنه، وإلا فالصحيح المقدَّم[115].

أما إذا تعارضت أقوال جماعة من الصحابة وتعذَّر الجمع أو الترجيح، فيُقدَّم ابن عباس على غيره؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بشَّره بذلك حيث قال: ((اللَّهم علِّمه التأويل[116]))، وقد رجح الشافعي[117] قول زيد[118] في الفرائض لحديث: ((أفرضكم زيد[119])).

- **أما الإشكال الذي أورده في اختلاف الرواية عن ابن عباس في تحديد هوية الذبيح:**

فعند رجوع الباحث إلى تفسير الطبري[120] وجد أن هناك روايتين مختلفتين عن ابن عباس وقد ساق كل رواية منها بأسانيد تتصل إلى ابن عباس، بعضها يرفعه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعضها موقوف عليه.

والجواب على هذا الإشكال: أن ابن جرير الطبري رحمه الله لم يلتزم الصحة في كل ما يرويه، ولو أننا عرضنا هاتين الروايتين على قواعد المحدِثين في نقد الرواية والترجيح، لتبين لنا بكل وضوح وجلاء، أن الرواية القائلة بأن الذبيح هو إسماعيل، أصح مِنْ غيرها وأرجح مما يخالفها، لأنها مؤيَّدةٌ بأدلة كثيرة يطول ذكرها، وأيضًا فإن الرواية التي يذكرها ابن جرير عن ابن عباس مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه

---

[115] ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (11) السيوطي، الإتقان (4/208-209).

[116] ينظر: المصدر نفسه. (4/221).

[117] هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطَّلبيّ القرشيّ، صاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه. ولد سنة 150 هـ وتوفي سنة 204 هـ رحمه الله تعالى. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (14/10-99).

[118] هو: الصحابي الجليل زيد بن ثابت بن الضّحاك بن زيد الخزرجي، أمره النبي صلى الله عليه وسلم بتعلم العبرية، وهو الذي جمع القرآن الكريم في مصحف واحد بأمر من الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. توفي رضي الله عنه سنة 45 هـ. ينظر: المرجع نفسه. (2/439-442).

[119] أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب: ما جاء في مناقب معاذ بن جبل، رقم الحديث (3790) (5/623).

[120] ينظر: الطبري، جامع البيان (19/587-605).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وسلم ومقيدة أن الذبيح هو إسحاق، في سندها الحسن[121] بن دينار عن عليّ[122] بن زيد، والحسن بن دينار متروك، وعليّ بن زيد منكر الحديث، كما ذكره الحافظ ابن كثير[123] في تفسيره[124].

أما باقي الروايات الموقوفة على ابن عباس، والتي تفيد أن الذبيح هو إسحاق، فهي – وإن كانت صحيحة الأسانيد – محمولةٌ على أن ما تضمنته مِنْ أن الذبيح هو إسحاق، كان رأى ابن عباس في أول الأمر، لأنه سمع ذلك مِنْ بعض الصحابة الذين كانوا يحدِّثون في مثل هذا بما سمعوه مِنْ كعب[125] وغيره مِنْ مسلمي اليهود، ثم علم بعد: أن ذلك قول اليهود فرجع عنه وصرَّح بنقيضه، كما قال ابن جرير: "حدَّثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمر بن قيس، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عباس أنه قال: المفدَّى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود[126]"، وهذا الأثر صحيح عن ابن عباس، إسناده على شرط الصحيح، وهو كما ترى صريحٌ في تكذيب اليهود فيما زعموه، وهو يقضي على كل أثر بخلافه، وبهذا الطريق تنتظم الآثار الواردة عن ابن عباس في هذا الباب كما أشار بذلك ابن كثير في تفسيره[127].

– **أما عن الإشكال الثالث:**

وهو جعله التفسير بالمأثور–بالوضع– مساويًا للتفسير بالعلم، وعدم وجود وحدةٍ تامةٍ أو كيانٍ قائم، فدعواه مردودٌ ليس له شيءٌ مِنَ الصحة؛ ذلك أن المأثور الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم له مكانته وقيمته، ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يوحى﴾ [النجم: 4]. وأما ما صح عن الصحابة فغالبه مما تَلَقَوْه عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وقليل منه قالوه عن نظر منهم واجتهاد وحتى هذا القليل – عند مَنْ لا

---

[121] هو: الحسن بن دينار هو الحسن بن واصل كان ربيب دينار وهو مولى بني سليط، قال الفلاس: أجمع أهل العلم بالحديث أنه لا يروى عن الحسن بن دينار. ينظر: ابن حجر ، لسان الميزان (2/203–205).

[122] هو: علي بن زيد بن جدعان وكنيته أبو الحسن القرشي، من بني تيم، مكي الأصل، وُلد مكفوفًا، وكان من الفقهاء الذين يُؤخذ عنهم العلم في البصرة، تركه أهل الحديث لسوء حفظه. مات سنة 131 هـ، في الطاعون. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (5/206–208).

[123] سيأتي ترجمته.

[124] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (7/7–31).

[125] هو: كعب بن ماتع الحِميَري ويكنى بأبي إسحق كان عالماً بالإسرائيليات وتفسير آيات القرآن كان كاتباً ويسمى بالـ"حبر" وهو من أشهر اليهود الذين أسلموا.توفي سنة 32 هـ. ينظر: المصدر السابق. (3/489–494).

[126] ينظر: الطبري، جامع البيان (21/83).

[127] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. (7/28–31).

Prince of Songkla University Pattani Campus

يرى أن له حكم المرفوع – له أيضاً قيمته ومكانته، ولا يجوز العدول عنه إذا صح إلى غيره، لأنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه مِنَ القرائن والأحوال التي اختُصوا بها، وَلِمَا لَهُم مِنَ الفَهْمِ التام والعلم الصحيح[128].

وخلاصة القول: إن التفسير بالمأثور له قيمته العلمية، بِغَض النظر إلى قيمته الإسنادية؛ ذلك أن المفسر بالمأثور غير ما ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن صحابته أو عن التابعين لا بد له مِنْ فِكْرٍ يراه ورأيٍ يعتمد عليه، وله اجتهادٌ أتعب فيه نفسه وأعمل فيه عقله في تبيين معنى الآية. وَإِنْ أشرك فهمه واجتهاده بنقل عن ابن عباس أو عن غيره؛ فإن ذلك لم يفقد شيئاً مِنْ قيمته العلمية غالباً، وإنما الشيءُ الذي لا قيمة له فيه هو نسبته إلى عليّ أو ابن عباس[129].

المطلب الثاني: ثانيا: ضوابط التفسير بالرأي:

سبق بيان معنى التفسير بالرأي وأنه ينقسم إلى نوعين، أحدهما ما وافق لسان العرب وتوافر شروط التفسير وقواعد الشريعة ومسلماتها وهو النوع المحمود، وهذا لا بد منه بل هو ضروري، قال الشاطبي[130]: "إن الكتاب لا بد مِنَ القول فيه ببيان معنى، واستنباط حكم، وتفسير لفظ وفهم مراد، ولم يأت جميع ذلك عمن تقدم، فأما أن يتوقف ذلك فتتعطل الأحكام كلها ....[131]".

ونوع سار على غير قوانين العربية أو لم يوافق الشريعة ولم يستوف شروط التفسير، وهو مذموم ومنهي عنه.

وقبل أن يشرع الباحث في بيان ضوابط التفسير بالرأي المحمود، لا بد مِنَ التنويه إلى أنه كما أن للتفسير بالمأثور أنواع فكذلك التفسير بالرأي المحمود له أنواعٌ عديدةٌ باعتبار المجال الذي يتناوله، وإِنْ كان يجمعها جميعًا الاجتهاد والبحث العميق في دلالة النص القرآني، وكل مفسر يهتم بالمجال الذي يهمه أو هو متخصص فيه فيبرز ذلك الاهتمام وذلك الاختصاص في تفسيره، مع الأخذ بعين الاعتبار أن

---

128 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (111/1).

129 ينظر: أمين، فجر الإسلام. ص (251) ، ضحى الإسلام (143/2).

130 هو إبراهيم بن موسى بن محمد أبو إسحاق اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، وكنيته التي عرف بها أبو إسحاق من علماء الأندلس له مصنفات عديدة لا يستغني عنها طالب العلم، توفي رحمه الله سنة 790 هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام (75/1).

131 ينظر: الشاطبي، الموافقات (421/3).

هناك قدرًا مشتركًا يجمع كل التفاسير دون أن يتجاوزه أحد، وهذه الأنواع جميعًا تهدف إلى تحقيق بعض الأهداف على حسب درجة التفاوت في كل واحد وهي:

1- أن يفهم القرآن الكريم مِنْ خلال إيضاح معانيه، عن طريق تفسير غريب القرآن، وبيان المجمل واستنباط المعاني للآيات القرآنية إجمالًا وتفصيلًا، مع إيضاح علاقة النظم المجيد بعضه ببعض، مِنْ سابقٍ ولاحقٍ، وكذلك أسباب النزول، ومتى يكون العبرة بعموم اللفظ وخصوصه، وغيرها مِنَ الدلالات الأصولية لألفاظ القرآن الكريم[132].

2- أن يستفرغ وسعه في استنباط أسرار القرآن الكريم الكونية والبلاغية والتشريعية، كل حسب تخصصه، وطلب الهداية العامة والخاصة، حسب القدرة البشرية، وإظهار عظمة هذا الكتاب والذي هو آخر الكتب السماوية نزولًا وأعظمها جلالًا، وهي المعجزة الكبرى الخالدة، واتخاذ شتى السبل في دعوة الناس إليه، والائتمار بأمره واجتناب نواهيه، والمسارعة إلى ما ندبنا إليه، مِنْ أَجْلِ الوصول إلى اللتي هي أقوم في الدين والدنيا[133].

3- أن يستثمر قصص القرآن الكريم مِنْ أجل العبرة، والاتعاظ بالسنن الكونية فيه، وقطع حجج الخصوم معتمدًا على براهين القرآن وحججه القاطعة، إذْ ليس كل ما في التفسير بالرأي صحيح، فهناك اجتهاد صحيح، وهناك اجتهاد خطأ على حسب الالتزام بضوابط التفسير والامتثال لقواعده[134].

وسيذكر الباحث هنا تعريفا موجزا لأهم أنواع التفسير بالرأي، وبعده سيذكر الضوابط الواجب اتباعها والمعايير المحكمة في قبول تلك الأنواع، ثم يأتي فك التعارض الحادث من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي (قانون الترجيح).

---

[132] ينظر: الحسين، معايير القبول والرد في النص القرآني. ص (332).

[133] ينظر: الحسين، معايير القبول والرد في النص القرآني. ص (332).

[134] المرجع نفسه.

التعريف بأهم أنواع التفسير بالرأي، وهي:

1- **التفسير العقدي**: وهو تفسير يهتم بجانب العقيدة وهو قائم على بيان حجج القرآن الكريم، وإيضاح أصول الدين والرد على الأديان الباطلة والفرق الضالة؛ دفاعا عن عقيدة المسلمين وتجلية لكبرى اليقينيات الدينية[135].

2- **التفسير الفقهي**: وهو التفسير الذي يهتم به الفقهاء، ويهتم ببيان الأحكام الشرعية وأحكام الحلال والحرام، والمناسبات الفقهية، واختلاف الفقهاء، ومناقشة أقوالهم والترجيح فيما بينها إنْ كان مِنْ أهل الترجيح، وقد يستعين مِنْ أَجْلِ ذلك بالمباحث الأصولية في دلالات الألفاظ ونحوها[136].

3- **التفسير اللغوي**: وهو تفسير يهتم به علماء اللغة العربية، ويتركز عملهم على مناحي اللغة مِنْ نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ، وهدفهم إبراز الجمال اللغوي للقرآن الكريم وجوانب الإعجاز اللغوي فيه[137].

4- **التفسير الإشاري**: وهو التفسير الذي يُظهر المعنى الخفي للآيات القرآنية، ومثاله تفسير ابن عباس لقوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: 1] بعد أَنْ سأله أمير المؤمنين[138] أمام كبار القوم مِنَ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فقال: "هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعلمه إياه. فقال له سيدنا عمر ابن الخطاب: ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم[139]".

هذه كانت أشهر التفاسير القديمة بالرأي المحمود السائغ المقبول الملتزم بضوابط التفسير.

---

135 المرجع نفسه.

136 المرجع نفسه.

137 ينظر: الحسين، معايير القبول والرد في النص القرآني. ص (332).

138 هو: عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي، ثاني خلفاء الراشدين، ولد بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة، أعز الله المسلمين بإسلامه، لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالفاروق. استشهد بعد أن طعنه أبو لولؤة المجوسي سنة 23 هـ رضي الله عنه وأرضاه. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (1/83-149).

139 الطبري، جامع البيان (24/708) وينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (2/250 وما بعدها).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ثم بعد ذلك أفرز لنا العصر الحديث، ولا سيما في القرن الماضي أنواعًا جديدة مِنَ التفسير بالرأي، ولا يزال المجال مفتوحًا أمامَ المجتهدين، وِفْقَ الضوابط العلمية المعروفة عند أصحاب هذا الفن، ومِنَ هذه الأنواع الجديدة:

1- **التفسير الكوني**: أو ما يُعْرف بالتفسير العلمي، وهو النوع الذي يهتم بإبراز خفايا الأسرار التي تضمنها القرآن العظيم عند حديثه عن الكون وآياته في الآفاق، فالحقائق التي تُكتشف نوع مِنْ كلمات الله الواقعة تبين أن آيات القرآن الكريم هي كلمات الله سبحانه وتعالى الصادقة ولا تعارض فيما بينهما.

فالناظر في حديث القرآن عن الكائنات يرى في ألفاظ عباراته فوق معانيها الظاهرة معاني أخرى دقيقة، تنطوي على أصول وجوامع من العلم الواسع الدقيق عن الكائنات الذي لم يكن معروفًا مِنْ قبل، ولم يتعرف إليه إلا بعد انتشار العلم الحديث، وتنكشف هذه المعاني الدقيقة للمتأملين مِنْ أصحاب العقول على ضوء علمهم الخاص، إما حِينًا مِنْ صريح النص، أو تارةً مِنْ إشاراتٍ ورموزٍ فيه[140].

وإذا ثبت ثبوتًا قاطعًا أن كثيرا مِنَ الحقائق الكونية والمكتشفات العصرية تتفق مع إشارات القرآن الكريم في محكم آياته، فإن مِنَ الواجب أَنْ يتم التعاون في تفسير القرآن الكريم بين العالِمين بأسرار التشريع ودقائق اللغة وبين علماء الكون المتخصصين في شتى العلوم، حتى يتم الاستفادة فيما بينهما في الكشف عن أسرار هذا الكتاب القيم المعجز[141].

2- **التفسير الأدبي**[142]: يعتمد أصحاب هذا التفسير على إظهار وجوه إعجاز القرآن الكريم في التصوير الفني ومظاهره، ووسائله والأمثال القرآنية والقصة وأساليبها، والمنهج التربوي القرآني، وفلسفة القرآن الكريم والنزعة الانسانية فيه، ويمكن القول: إن أصحاب هذا التفسير يسعون في إبراز الجمال الفني في التعبير القرآني و تأثيره على النفس البشرية،

---

[140] ينظر: شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين. ص (656-657).

[141] المرجع نفسه. وينظر: الحسين، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني. ص (335-336).

[142] جعل الباحث التفسير الأدبي من التفسير المعاصر على الرغم من وجود كتب قديمة اهتمت بالجانب الأدبي والبلاغي في القرآن الكريم كَكُتُب عبد القادر الجرجاني؛ ذاك أن مقصد الباحث تفسير أدبي جاء بلغة العصر الحديث والله أعلم.

Prince of Songkla University Pattani Campus

والاستفادة مِنَ التعبير القرآني في الساحة الأدبية والفنية والجمالية، والدراسات النفسية في استنباط روائع القرآن الكريم[143].

3- **التفسير الاجتماعي**: ويكون اعتماده على إظهار الهداية القرآنية التي هي أساس نزوله وأصل أصوله، ومنها تفرعت سننه وتشريعاته، وإليها قَصَد القرآن، كما يعتمد هذا النوع مِنَ التفسير على إظهار السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، كما ركز هؤلاء على ضرورة معرفة أحوال البشر، العلم الذي عدوه ضرورة لمعرفة التفسير وإنزاله على وقائع الناس، كما يدعو أصحاب هذا المنهج إلى تحرير الفكر وتجميد العقل والدعوة إلى نبذ التقليد، والسعي إلى التغيير والنهضة بالأمة الإسلامية[144].

4- **التفسير الموضوعي: وهو تفسير** يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر[145].

كانت تلك أهم أنواع التفسير بالرأي الحديث وقد سبقه أنواع التفسير بالرأي القديم، ولن يتعرض الباحث في هذا المقام نقد تلك الأنواع بالتفصيل والحديث عن كل نوع، فهذا ليس مقام بسطه، ولكن سيتعرض الباحث على ذكر أهم الضوابط الواجب اتباعها في التفسير بالرأي عموما، مع التنويه أنه ليس بالامكان رد نوع مِنْ تلك الأنواع برمته، إضافة لا بد مِنْ بيان الأخطاء العلمية التي تنتج مِنْ تلك الأنواع مِنَ التفسير؛ فالرأي يتبع الاجتهاد، والاجتهاد يتبعه الاختلاف، والاختلاف لا بد أن يصاحبه الخطأ، والخطأ قد يكون مغفورًا بل مأجورًا إنِ اعتمد صاحبه على الضوابط العلمية والقواعد الشرعية المتبعة، وكان المفسر قبل ذلك أهلًا للاجتهاد.

---

[143] ينظر: المراجع السابق. ص (579-583)، ص. (336) وينظر: البوطي، من روائع القرآن. ص (168-181-191).

[144] ينظر: شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر. ص (309 وما بعدها).

[145] وسيأتي الحديث بشكل مفصل في الفصل الرابع.

Prince of Songkla University Pattani Campus

ومن أهم ضوابط التفسير بالرأي عموما على شتى أنواعه القديم والحديث:

1- أن يتدبر في آيات القرآن الكريم، ولا يضرب بعضها ببعض، وأن يفهم مقصود تلك الآيات على هَدْيِ الأخرى، وأن يبذل جهده ووسعه حسب الطاقة البشرية في تنزيل الآيات في منازلها، وَوِفْقًا للترتيب الذي رتبه المولى الجليل سبحانه، والإخلال بذلك يكون مجانبًا للصواب وموافقا لِدَيْدَنِ غُلَاة المتكلمين والفرق الضالة، فكل منهم يحمل ظواهر القرآن كما يشاء، فالجبرية يتمسكون بالآيات التي أسندت الهداية والإضلال إلى الله سبحانه، والقدرية يتمسكون بالآيات التي أسندت الأفعال إلى العبد، وأهل الحق يأخذون بالجميع، ويفسرون القرآن بفك التعارض الظاهري برد المتشابه إلى المحكم والعودة إلى مسلمات الشرع[146].

2- عدم مخالفة النقل الثابت المستقر عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو أساس الأساس، وعليه المعول في التفسير بالرأي، مع التنبه والحذر مِنَ الضعيف والموضوع في التفسير؛ فإنه كثير[147].

3- التزام الأخذ بقول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه؛ فإن تفسيره عند العلماء بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم والقضايا التي لا مجال للرأي فيها كبيان مجمل، وإيضاح مبهم، وسبب النزول، والمتشابه وقضايا الغيب والآخرة، وثواب الأعمال ونحو ذلك، أما في القضايا الاجتهادية وما للرأي مجال فيه فالأمر فيه سعة، وَمَنْ يُخالف الصحابي لا بد له مِنْ بينة وحجة قوية حتى يُقبل خلافه[148].

4- الالتزام بقواعد أصول الفقه في الفهم والاستنباط والاجتهاد، كالمفهوم والفحوى، ودلالة العام والخاص والمطلق والمقيد، وكذلك مراعاة الإجماع والخلاف، وهي بمجموعها تعد ملكة

---

[146] ينظر: أبو بكر الباقلاني، الانتصار للقرآن (660/2).

[147] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (156/2) السيوطي، الإتقان (472/2) الزرقاني، مناهل العرفان (37/2) البوطي، من روائع القرآن. ص (37).

[148] المصادر والمراجع نفسها.

Prince of Songkla University Pattani Campus

علمية تؤهل صاحبها لاستنباط المعاني والأحكام مِنْ كتاب الله عز وجل، وهي مِنْ أعظم الطرق في استثمار الأحكام مِنَ الآيات، فهي قواعد التفسير للنصوص[149].

5- ضرورة التقيد والالتزام بقواعد اللغة العربية؛ إذْ إنَّ القرآن الكريم نزل بلسان العرب، وكان مالك[150] بن أنس رضي الله عنه يقول: "لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا"[151].

6- التفسير بالمقتضى مِنْ معنى الكلام والمقتضب مِنْ قوة الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله: ((اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل....))[152]. وعن أبي جحيفة[153] رضي الله عنه أنه قال: قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: "لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن ....[154]".

قال الزركشي[155]: "وعلى هذا قال بعض أهل الذوق: للقرآن نزول وتنزل، فالنزول قد مضى والتنزل باق....[156]".

فلا يجوز حينئذٍ التفسير بالرأي مِنْ غير حجةٍ ولا برهانٍ، وإلا كان تَشهيًا واتباعًا للهوى والنفس وقولًا على الله سبحانه وتعالى مِنْ غير عِلْم.

---

149 المصادر والمراجع نفسها.

150 أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني، ولد سنة 93 هـ، فقيه ومحدِّث، وقد أثنى عليه كثيرٌ من العلماء، ويُعدُّ كتابه "الموطأ" من أوائل كتب الحديث النبوي وأشهرها وأصحِّها، توفي سنة 179 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء. (74/8-135).

151 ينظر: المصدر السابق. (292/1) (160/2).

152 الحديث سبق تخريجه. ينظر: الزركشي، البرهان (161/2) السيوطي، الإتقان (474/2).

153 هو: أبو جحيفة السوائي واسمه وهب بن عبد الله بن مسلم، من صغار الصحابة، لم يكن قد بلغ الحلم حين توفي النبي، روى عدة أحاديث، كان على شرطة علي بن أبي طالب وبيت المال. توفي سنة 74هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (202/3-203).

154 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: فكاك الأسير، رقم الحديث (2911).

155 هو: بدر الدين الزركشي أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بهادر بن عبد الله الزَّرْكَشِيّ المصري، فقيه شافعي، أصولي ومحدث، له مؤلفات في علوم كثيرة. وُلد في القاهرة سنة 745 هـ، وتُوفي سنة 794هـ. ينظر: ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية (183/1).

156 المصدر السابق.

Prince of Songkla University Pattani Campus

7- عدم القطع بأن مراد الله كذا مِنْ غير دليل قاطع مِنْ نص أو إجماع، أما إذا كان الدليل ظنيًا ظنًا راجحا فلا بأس مِنَ الأخذ به، بل الأخذ به واجبٌ، ولكن لا يجزم أن هذا هو مراد الله[157].

8- عدم الخوض فيما ليس للرأي فيه مجال، مما لم يُطلع الله عليه أحدًا مِنْ خلقه بل استأثر به وحده ولا يعلمها إلا هو.

قال الإمام السيوطي[158]: "وأما ما لا يعلمه إلا الله تعالى فهو ما يجري مجرى الغيوب، نحو الآي المتضمنة قيام الساعة .....، فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص مِنَ القرآن أو الحديث أو إجماع الأمة على تأويله"[159].

9- أن يكون القرآن العظيم هو الحاكم والمهيمن على أقوال الناس، فلا يُحمل النص القرآني على مذاهب الناس؛ بل تُعدل مذاهب الناس لتوافق القرآن؛ فلا يجوز أن يعتقد الإنسان المعنى أولا ثم يحمل ألفاظ القرآن عليه[160].

10- عدم حمل ألفاظ القرآن على غير معانيها إبان نزول الوحي، ويجب أخذ الحذر مما طرأ على معانيها مِنْ تطور في الاستعمال، وذلك لأن نصوص القرآن العظيم تحمل على معهود الأميين في الخطاب ، أشار بذلك الشاطبي: "لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم؛ فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن.... [161]".

---

157 ينظر: المصادر والمراجع السابقة.

158 سيأتي ترجمته.

159 ينظر: السيوطي، الإتقان (481/2)

160 المصدر نفسه.

161 ينظر: الشاطبي، الموافقات (82/2) شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم. ص (678).

ولا يعني هذا أن نقتصر على أفهامهم، بل المراد أن نسير وفق مناهجهم في فهم الخطاب وأساليبه ومعاني المفردات التي كانت شائعة عندهم[162].

11- في حين تفسير القرآن الكريم بما استجد مِنَ العلوم يجب أن تكون تلك القضايا حقائق يقينية مقطوعا بها عند أهل الاختصاص؛ فلا يجوز تفسير القرآن بافتراضات ونظريات غير ثابتة، أو لا تزال رهن التجربة والبحث[163].

كما لا يجوز الإعراض عن حقائق الكون والعلم المقطوع بها، فالقرآن يستحيل أن يعارض العلم؛ لأن مصدرهما واحد، وجميع التصورات السابقة كان النص القرآني يستوعبها دون أن يخالف الحقيقة العلمية، وهذه مِنْ أعظم وجوه الإعجاز القرآني[164].

وفي حال وجود تعارض بين ظاهر القرآن وحقائق العلم الثابتة تُطبق قانون التعارض والترجيح الذي سيأتي ذكره بعد مبحث ضوابط التفسير بالرأي.

كانت تلك أهم الضوابط التي استخلصها الباحث مِنْ كلام أهل العلم، ويبدو أن هناك تداخل مع بعضها البعض، أو بعضها مندرج في الآخر، وعلى كل فإن الخلل في هذه الضوابط يؤدي إلى الإخلال في المعاني والتفسير وحمله على غير مراده والله أعلم.

مسألة التعارض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي:

كيف يتم فك التعارض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وأيهما يرجح على الآخر؟

لا بد مِنْ تقرير في بداية الأمر أن المقصود بالتفسير بالرأي هو الرأي المحمود، إذ الرأي المذموم وهو المخالف للقواعد العلمية والضوابط الشرعية ساقط مِنْ أول الأمر، لا يَقوى على معارضة المأثور، ثم إن التعارض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود يعني التنافي بينهما بأن يدل أحدهما على إثباتٍ

---

162 ينظر: الحسين، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني. ص (341).

163 ينظر: الحسين، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني. ص (341).

164 المرجع نفسه.

Private of Songkla University Pattani Campus

والآخر على نفيٍ مثلًا، أما إذا لم يكن هناك تنافٍ فلا تعارض وإن تغايرا، كتفسيرهم الصراط المستقيم بالقرآن أو بالسنة أو بطريق العبودية أو طاعة الله ورسوله؛ فهذه المعاني غير متنافية وإنْ تغايرت، فهذا مِنَ الاختلاف الذي يكون مرده إلى الاجتهاد، وبالامكان الجمع بين كثير مِنَ الأقوال؛ إذْ لا تنافي بينهما والاختلاف يكون في التعبير عنها، أو أَنْ يكون النص عامًا فيقوم كل مفسرٍ بِذِكْر فردٍ مِنْ أفراد ذلك العام، أو غير ذلك، مما يعد اختلاف تنوعٍ لا اختلاف تضاد[165].

وإنِ امتنع الجمع بحث عن المرجحات الأخرى مِنْ موافقةٍ للسياق أو لظاهر القرآن الكريم أو لصريح سُنة[166].

أما التفسير بالمأثور الثابت بالنص القطعي لا يمكن أن يعارض التفسير بالرأي؛ لأن الرأي إما ظني وإما قطعي أي مستندٌ إلى دليلٍ قطعي مِنْ عقلٍ أو نقلٍ، فإن كان قطعيًا فلا تعارض بين قَطْعِيَّيْن؛ بل يُؤول المأثور ليرجع إلى الرأي المستند القطعي جمعًا بين الدليلين[167].

أما إذا كان الرأي ظنيًا بأَنْ خلا مِنَ الدليل القاطع واستند إلى الأمارات والقرائن الظاهرة فقط، فإن المأثور القطعي يقدم على الرأي الظني؛ ضرورة أن اليقين أقوى مِنَ الظن، هذا كله فيما إذا كان المأثور قَطْعِيًا أما إذا كان المأثور غير قَطْعي في دلالته لكونه ليس نصًا أو غير قَطْعي في ثبوته لكونه خبر آحاد ثم عارضه التفسير بالرأي، فلا يخلو الحال إما أن يكون حصل فيه التعارض مما لا مجال للرأي فيه، فالمعول عليه حينئذٍ المأثورُ فقط، ولا يقبل الرأي، وإن كان للرأي فيه مجال، فإن أمكن الجمع وجب المصير إليه؛ لأن الجمع أولى مِنَ الترجيح وإعمال كلا الدليلين أولى مِنْ إهمال أحدهما، وإن لم يكن فعليه تقديم المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة؛ لأنهم شاهدوا الوحي وعاصروا التنزيل إضافة إلى أنهم أهل العربية[168].

---

165 ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (11).

166 المصدر نفسه.

167 ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان (47/2).

168 المرجع نفسه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

وليس المعنى في اعتماد التفسير بالرأي بأن يكون استبدال الرأي البشري بالرواية الصحيحة والأحاديث الشريفة الثابتة في تفسير الآية، فهذا لا يَجْسُر على فعله مسلم؛ إذ هو عملٌ مُحرمٌ بالاتفاق، ولكن الرأي هو الفَهْمُ الثاقب عن الله سبحانه معتمدًا على العقل والنقل معًا[169].

أما المأثور عمن دون الصحابة والتابعين فالعبرة لا بقول القائل بل بحجته عقلًا أو نقلًا، فما وافق الدليل قُبل وإلا كان مردودًا.

بناءً على القاعدة العلمية الذهبية التي أسسها علماء البحث والمناظرة المسلمون: "إذا كنت ناقلًا فالصحة أو مُدعيًا فالدليل[170]".

وبعد، فإن مما سبق مِنَ المقارنة بين ضوابط التفسير بالمأثور وبين ضوابط التفسير بالرأي؛ علم أن التفسير بالمأثور شأنه شأن علم الحديث وضوابطه مثل ضوابط علم الحديث، ولا بد مِنْ تحقق الشروط المطلوبة في المتن والإسْناد، وأن التفسير بالرأي المحمود بكلا أنواعه القديم والحديث، لا بد له أولًا التقيد بالمأثور، ولا يجوز للمفسر بالرأي أن يغمض العين عن الآثار الواردة الصحيحة، وأما ما لم يرد فيه أثر فلا يحق للمفسر أن يفسر برأيه حتى تتوافر فيه الشروط والضوابط والمعايير مِنْ عِلْم اللغة والنحو والصرف ، والبلاغة والبيان والبديع، وأصول اللغة والدين، وأصول الفقه وعلم الفقه، وعلم الحديث وأصوله كما ذكره الباحث سابقًا.

المبحث الخامس: ذكر أشهر المفسرين بالتفسير بالمأثور وأهم كتبهم، وذكر أشهر المفسرين بالرأي وأهم كتبهم:

المطلب الأول: أشهر المفسرين بالتفسير بالمأثور وأهم كتبهم

من الطبيعي أن الباحث لن يتعرض لِذِكْر جميع الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور؛ إذ لا يتسع المقام لذلك، ولو أخذ الباحث في تناول تلك الكتب كتابًا كتابًا لشق عليه الأمر ولأصبح كالمنبت فلا

---

169 ينظر: البوطي، من روائع القرآن. ص (78).

170 ينظر: الآمدي، شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة. ص (117).

أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، وحَسْب الباحث أن يذكر أهم المفسرين بالمأثور، وأهم كتبهم المتداولة في الوقت الحالي.

لذا سيتعرض الباحث لأهم سبعة مفسرين وكتبهم التي اشتهرت بالمأثور، مع نبذة مختصرة عن المفسر، وبيان أهم السمات التي تميزت في تفسيره، وطريقة عرضه في التفسير، ومن هذه الكتب التي وقع عليها اختيار الباحث هي ما يأتي[171]:

1- محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن.
2- أبو الليث السمرقندي: بحر العلوم.
3- أبو إسحاق الثعالبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن.
4- ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.
5- الحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم.
6- عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن.
7- جلال الدين السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

وسوف يتناول الباحث في الكلام عن كل واحد منهم حسب الترتيب السابق فيقول وَمِنَ الله المعونة:

1- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري

- **نبذة عن المؤلف:**

اسمه أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام الجليل، المجتهد المطلق، صاحب التصانيف المشهورة، وهو مِنْ أهل آمل طبرستان، ولد بها سنة 224هـ، ورحل مِنْ بلده

---

171 قام الباحث باستطلاع المراجع في بيان ذكر أهم المفسرين بالمأثور، واستقر به الأمر على ما كتبه الدكتور محمد حسين الذهبي- رحمه الله- في كتابه التفسير والمفسرون (136/1 وما بعدها).

Prince of Songkla University Pattani Campus

لطلب العلم وطاف الأقاليم، فسمع بمصر والشام والعراق، إلى أَنِ استقر به المقام في بغداد حتى توفي بها سنة 310 هـ.

كان ابن جرير أحد الأئمة الأعلام، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، كان حافظًا لكتاب الله، بصيرًا عارفًا بالمعاني فقيهًا بأحكام القرآن، عالمًا بالسُنن وطرقها، وعارفًا لأقوال الصحابة والتابعين، وعارفًا لكلام العرب وأساليبهم، كما جمع كثيرًا مِنَ العلوم كأيام الناس وأخبارهم، فألف كتابه المشهور في التاريخ المشهور (بتاريخ الأمم والملوك) كما ألف في القراءات والعد والتنزيل، وكتاب النصر في أصول الدين ما يدل على سعة علمه وغزارة فضله[172].

- **طريقة ابن جرير في تفسيره جامع البيان:**

يتجلى بوضوح لِمَنْ نظر في كتاب جامع البيان هو قول ابن جرير: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا. إذ بعد ذلك يقوم ابن جرير بتفسير الآية ويتسشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين مِنَ التفسير، ولا يقتصر على مجرد الرواية، بل يتعدى إلى توجيه الأقوال، ويرجح بعضها على بعض، كما يتعرض لناحية الإعراب إِنْ دعت الحاجة، كما يستنبط الأحكام التي يمكن أخذها مِنَ الآية، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار.

- **أبرز السمات في تفسير ابن جرير:**

– **ذِكْر الأسانيد:**

وابن جرير وإن التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها، إلا أنه في الأغلب لا يتعقبها بتصحيح ولا تضعيف، وهو بذلك خرج مِنَ العهدة لأن مَنْ أسند فقد حمل القارئ على البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم مِنَ العدالة أو الجرح، وأحيانًا يقف مِنَ السند موقف الناقد البصير، فَيُعدل

---

[172] ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (14/267-282).

مِنْ رجال الإسناد، ويجرح مَنْ يجرح منهم، ويرد الرواية التي لا تثق بصحتها، ويذكر رأيه فيها بما يناسبها[173].

- **تقديره للإجماع.**
- **روايته للإسرائيليات:** يأتي ابن جرير في تفسيره بأخبار مأخوذة مِنَ القَصَصِ الإسرائيلي، يرويها بسنده إلى كعب الأحبار، ووهب بن منبه،[174] وابن جريج،[175] وغيرهم[176]، ولعل هذا راجعٌ إلى ما تأثر به مِنَ الروايات التاريخية التي عالجها في بحوثه التاريخية الواسعة[177].
- **خوضه في مسائل الكلام:**

فابن جرير بارعٌ في مناقشة بعض الآراء الكلامية مُوَافِقٌ لأهل السنة والجماعة في آرائهم ويظهر ذلك جليًا في رده على القدرية في مسألة الاختيار[178].

كما يُكْثر ابن جرير مِنَ التصدي والرد على المعتزلة؛ إذْ يُجادلهم مجادلةً حادةً في تفسيرهم العقلي التنزيهي للآيات التي تثبت رؤية الله عند أهل السنة[179].

- **قيمة كتاب جامع البيان في تفسير القرآن:**

يعتبر تفسير ابن جرير مِنْ أنفس التفاسير وأشهرها، وبإمكان اعتباره المرجع الأول عند المفسرين الذين عَنَوْا بالتفسير بالمأثور، وإنْ كان في نفس الوقت يعتبر مرجعًا لا تقل أهمية مِنْ مراجع

---

[173] ينظر: الطبري، جامع البيان (13/16).

[174] هو: وهب بن منبّه بن كامل بن سيج بن ذي كبار ولد سنة 34 هـ وهو تابعي جليل، له معرفة بكتب الأوائل وإخباري قصصي يُعد أقدم من كتب في الإسلام. توفي سنة 114 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (4/544-557).

[175] هو: أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، ولد سنة 80 هـ، أحد العلماء الفقهاء وقرّاء القرآن ورواة الحديث عند أهل السنة والجماعة. وهو من تابعي التابعين، توفي سنة 150 هـ. ينظر: المصدر نفسه. (6/328-336).

[176]( ) ينظر: المصدر السابق. (15-33-35).

[177]( ) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/143).

[178] ينظر: الطبري، جامع البيان (14/58-67).

[179] المصدر نفسه. (23/510 وما بعدها).

التفسير بالعقل والرأي؛ لما فيه مِنَ الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحا يستند على النظر والاجتهاد العقلي، والبحث الدقيق، يقع كتابه في ثلاثين مجلدًا مِنَ الحجم الكبير[180].

وإنَ ما جَمَعَهُ ابن جرير في كتابه مِنْ أقوال المفسرين الذين تقدموا عليه، وما نقله مِنَ الصحابة والتابعين جعله بحقٍ مِنْ أعظم الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور، كما جاء به ابن جرير مِنَ الإعراب والمسائل النحوية وتعدد الأقوال والترجيح فيما بينها، كان نقطةً في التحول في التفسير، ونواةً لما وجد بعد مِنَ التفسير بالرأي.

2- بحر العلوم للسمرقندي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي. المعروف بإمام الهدى. شيخه أبو جعفر الهنداوي، اشتهر بكثرة الأقوال المفيدة، والتصانيف المشهورة. ومِن أهم تصانيفه تفسير القرآن المسمى (ببحر العلوم)، والمعروف بتفسير أبي الليث السمرقندي، وله كتاب (النوازل في الفقه). توفي رحمه الله سنة 373 هـ[181].

- **طريقة السمرقندي في كتابه بحر العلوم:**

قدم المؤلف بحثًا في أول الكتاب يحث فيه على طلب التفسير وبيان فضله، واستشهد بذلك بروايات عن السلف، رواها بإسنادها إليهم، وأحوال التنزيل، واستدل على حرمة التفسير بالرأي بغير دليل ولا نقل ولا تضلع بمعرفة أحوال العرب ولغتهم[182].

---

[180] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (148/1).

[181] ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (322/16-323).

[182] ينظر: أبو الليث السمرقندي، بحر العلوم (11/1-13).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ثم أغلب طريقته في التفسير بالمأثور عن السلف، دون ذكر إسناد إلى مَنْ يروي عنهم، ولا يحكم على الرواية التي يرويها بصحةٍ أو ضعفٍ، ويكاد يخلو تفسيره مِنَ الترجيح والتعقيب عند تعدد الأقوال، ولم يكثر مِنْ روايات الإسرائيليات.

- **قيمة كتاب بحر العلوم في علوم القرآن:**

هو كتابٌ لطيفٌ قَيِّمٌ مُفيدٌ، يغلب جانب الرواية على جانب الدراية[183].

3- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي

- نبذة عن المؤلف:

هو أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المقرئ المفسر. الحافظ الواعظ، كان رأسًا في التفسير والعربية، متن الديانة، قال عنه ابن خلكان: "كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنف التفسير الكبير الذي فاق...."[184]. توفي رحمه الله تعالى سنة 427 هـ.

- **طريقة الثعلبي في كتابه الكشف والبيان عن تفسير القرآن:**

بدأ المفسر في كتابه بمقدمةٍ ذَكَر فيها أصناف المفسرين لكتاب الله، كما ذكر في أول الكتاب أسانيده إلى مَنْ يروي عنهم التفسير مِنْ علماء السلف، وكتب الغريب والمشكل والقراءات ثم ذَكَر بابًا في فضل القرآن وأهله، وبابا في معنى التفسير والتأويل، ثم شرع في التفسير[185].

- **أبرز السمات في كتاب الكشف والبيان:**

- التفسير بما جاء مِنَ السلف، مع الاختصار للأسانيد.
- التوسع في المسائل النحوية.
- الاستعانة بالشعر الجاهلي في توضيح الكلمات اللغوية وذِكْر أصولها وتصاريفها.

---

183 ينظر: خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (234/1).

184 ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (37/1-38).

185 ينظر: الثعلبي، تفسير الثعلبي (73/1-89).

Prince of Songkla University Pattani Campus

- التوسع في الأحكام الفقهية إلى درجة الخروج عن المراد من الآية.
- التوسع في ذكر الإسرائيليات بدون تعقيبٍ أو تنبيهٍ ولو كان في نهاية الغرابة.
- عدم تحري الصحة في نقل الرواية، بل وُجد عليه الإكثار مِنَ النقل عن السدي الصغير[186] عن الكلبي[187] عن أبي صالح[188] عن ابن عباس[189].
- الإكثار من الأحاديث الموضوعة وخاصة التي جاءت في بيان فضل السورة[190].

- **قيمة كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن:**

قال ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير: "والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل"[191].

ومَنْ يقرأ تفسير الثعلبي يعلم أن ابن تيمية لم يتقول عليه، ولم يَصِفه إلا بما هو فيه.

4- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي الحافظ القاضي. ولد سنة 481 هـ، وتربى في بيت علمٍ وفضلٍ؛ فأبوه أبو بكر غالب بن عطية إمامٌ حافظٌ وجليلٌ، ورَحَل في

---

186 هو: محمد بن مروان الكوفي من أتباع التابعين وهو متهم بالكذب في الحديث كما قال الحافظ، لذلك لم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة وهو مجمع على تركه، توفي سنة 127 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (265/5).

187 هو: أبو المنذر هشام بن الأخباري الباهر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي الشيعي أحد المتروكين، توفي سنة 204 هـ. المصدر نفسه. (101/10-103).

188 هو: أبو صالح باذان مولى أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها تابعي كبير، سمع من علي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وأم هانيء، واختلف في سماعه عن ابن عباس، ويرجح د. حاتم الشريف سماعه من ابن عباس. ينظر: الشريف، منتدى الدراسات الحديثية- القول المحرر لترجمة أبي صالح باذام المفسر (70/14-86).

189 وهو ما يعرف عند أهل الحديث بسلسلة الكذب. ينظر: السيوطي، تدريب الراوي (1814/1) وينظر: السيوطي، الإتقان (189/2).

190 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (152/1-155).

191 ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (19).

Prince of Songkla University Pattani Campus

طلب العلم وتفقه على العلماء، إلى أَنْ وَلِيَ القضاء بمدينة المرية بالأندلس، وكان متوخيًا الحق في قضائه عادلًا في الحكم، وتوفي بالرقة سنة 546 هـ رحمه الله تعالى[192].

- **طريقة ابن عطية في كتابه المحرر الوجيز:**

يذكر المؤلف الآية أولا ثم يقوم بتفسيرها بطريقة سهلة عذبة، يورد مِنَ التفسير بالمأثور ويختار منه مِنْ غير إكثار، ويكثر النقل مِنْ ابن جرير الطبري رحمه الله، ويناقش المنقول عنه أحيانا، كما يناقش ما ينقله عن غير ابن جرير ويرد عليه، كما يستشهد بالشعر العربي وهو كثير في تفسيره، ويأتي بالمعاني الأدبية للعبارات، ويتعرض للقراءات وتوجيهها[193].

- **قيمته كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:**

يعتبر كتابه مِنْ أعز كتب التفسير بالمأثور؛ وذلك لما أضفى عليه مؤلفه مِنْ روحه العلمية الباهرة، فقد لخص ودقق ونقح، مما أكسبه رونقًا ورواجًا وقبولًا. قال ابن خلدون: "من كتاب التفاسير كلها- أي تفاسير المنقول- وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها،...."[194].

وقال ابن تيمية عن تفسير ابن عطية: "وكتاب ابن عطية أنقل، وأجمع، وأخلص[195]".

5- **تفسير القرآن العظيم لابن كثير**

- **نبذة عن المؤلف:**

هو الإمام الجليل الحافظ، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء البصري ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي، قدم دمشق مع أخيه وله سبع سنين بعد موت أبيه. سَمِع مِنْ ابن الشحنة،

---

192 ينظر: ابن حيان، البحر المحيط (9/1).

193 ينظر: المرجع السابق. (159/1).

194 ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون. ص (491).

195 ابن تيمية، فتاوى ابن تيمية (194/2).

Prince of Songkla University Pattani Campus

والآمدي، وابن عساكر، وأخذ مِن ابن تيمية وولع بحبه حتى امتحن بسبب ذلك وأوذي. ولد سنة 700 هـ وتوفي في شعبان سنة 774 هـ ودفن عند شيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى[196].

- **طريقة ابن كثير في كتابه تفسير القرآن العظيم:**

جاء بمقدمة طويلة ذكر فيها أشياء كثيرة هامة ما لها اتصال بالقرآن وتفسيره، ولعلها مأخوذة من كتاب شيخه ابن تيمية (مقدمة في أصول التفسير). وأهم السمات البارزة[197] في تفسير ابن كثير:

- تفسير القرآن بالقرآن.
- إثبات الأحاديث المرفوعة مع الوقوف عليها جرحا وتعديلا، ولا ريب فهو إمام في هذا الفن.
- التنبيه على الروايات الإسرائيلية وأنها لا تصدق ولا تكذب فيما لا يتعلق بالعقيدة وأصول الدين.
- التعرض لآيات الأحكام والخوض في اختلاف الفقهاء ولكن دون توسع.

- **قيمة تفسير القرآن العظيم:**

يعتبر مِنْ أشهر ما دون في التفسير المأثور، ويعتبر الكتاب الثاني بعد كتاب ابن جرير الطبري، والكتاب مطبوع في أربعة أجزاء. قال عنه السيوطي: "إنه لم يؤلف على نمطه مثله[198]".

6- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي**

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجزائري، المغربي، المالكي، الإمام الحجة، العالم العامل، الزاهد الورع، كان مُعْرِضًا عن الدنيا وأهلها، وَلِيًّا مِنْ خيار عباد الله الصالحين. شهد له

---

[196] ينظر: ابن حجر ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (1/445-446).

[197] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/161-162).

[198] ينظر: الكتاني، الرسالة المستطرفة. ص (146).

Prince of Songkla University Pattani Campus

الناس بذلك وأثنى عليه جماعة مِنْ شيوخه بالعلم والدين والصلاح. توفي في الجزائر سنة 876 هـ رحمه الله تعالى[199].

- **طريقة الثعالبي في كتابه جواهر الحسان:**

لقد ذكر المؤلف في بداية كتابه أن تفسيره عبارة عن تلخيص ابن عطية الأندلسي، وأنه أضاف إليه زيادات ذات فوائد جمة، وكل مَنْ ينقل عنهم يشير إليه برمزٍ مُعينٍ[200] ويتعرض للإسرائيليات ولكن لا يستطرد ويعقب عليها وينبه فيما ليس فيها شيءٌ مِنَ الصحة[201].

- **قيمة كتاب جواهر الحسان في تفسير القرآن:**

يُعتبر كتاب جواهر الحسان تلخيصًا لتفسير ابن عطية، مع زيادة نقول عمن سبقه من المفسرين، وزبدة القول، إن الكتاب مفيدٌ، جامعٌ لخلاصات كتبٍ مفيدةٍ، وليس ما في غيره مِنَ الحَشْو المخِل، والاستطراد المِمل[202].

7- **الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي**

- **نبذة عن المؤلف:**

هو الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطي الشافعي، المسند المحقق البارع، صاحب التصانيف الفائقة النافعة، ولد في رجب سنة 849 هـ، نشأ يتيمًا إذْ توفي والده وهو في العمر الخامس، فرعاه الكمال بن الهمام، فقرره في وظيفة الشيخونية ولحظه بنظره، وختم القرآن وله من العمر ثمان سنين، تتلمذ على كثير مِنَ الشيوخ حتى أصبح آيةً في التأليف والتحرير، ولما بلغ الأربعين تجرد للعبادة، وانقطع إلى الله تعالى، وأعرض عن الدنيا وأهلها، وترك الافتاء والتدريس،

---

[199] ينظر: شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع (152/4) وينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج. ص (173-175).

[200] ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان (117/1).

[201] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (166/1).

[202] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (166/1).

Prince of Songkla University Pattani Campus

واعتذر عن ذلك في مؤلف سماه بالتنفيس، وأقام في روضة المقياس ولم يتحول عنها إلى أَنْ مات سنة 911 هـ، رحمه الله تعالى[203].

- **طريقة السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير المأثور:**

لعله الكتاب الوحيد الذي اكتفى بالمأثور دون محاولةٍ لإعمال رأيٍ، والكتاب مِنْ أوله حتى آخره سَرْدُ الروايات عن السلف في التفسير دون تعقيبٍ عليها، بجرحٍ أو تعديلٍ، أو تضعيفٍ وتصحيحٍ، أخذ الروايات مِنَ البخاري، ومسلم، والنسائي، والترمذي، وأحمد وغيرهم[204].

- **قيمة كتاب الدر المنثور في التفسير المأثور:**

كتابٌ مطبوعٌ في ست مجلدات، متداولٌ بين أهل العلم، مع التنبيه إلى أن الكتاب يحتاج إلى تصفيةٍ، فقد خلط الإمام في تفسيره الدر المنثور بالصحيح والعليل كما ذكر الباحث أعلاه في طريقته في التفسير[205].

وإلى هنا يمسك الباحث عما دُوِنَ في التفسير بالمأثور، وما ذكره كافيًا في هذا المقام، كي لا يَخْرُج كثيرًا عن حدود البحث، ومخافة التطويل والسآمة والملل.

المطلب الثاني: أشهر المفسرين بالرأي وأهم كتبهم:

بَيَّنَ الباحثُ سابقًا بأن التدوين قد عُرف مِنْ عهدٍ قديمٍ، وأن التفسير بالرأي الجائز قد حظي كغيره مِنْ سائر العلوم في التدوين، وهي مؤلفاتٌ كثيرةٌ ضخمةٌ أُلفت على مر العصور، إلا أن تلك المؤلفات بعضها درس رسمها وعفي أثرها، وبعضها لا زالت محفوظة في المكتبات الإسلامية أو غير إسلامية على شكل مخطوطات، ومِنْ هذه المخطوطات هيأ الله لها رجال أخرجوها مِنْ حَيز عالم المخطوطات إلى حَيز عالم الكتب الحديثة وقواعد إملائها المشهورة.

---

[203] ينظر: ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهلب في أخبار من ذهب (10-74-79).

[204] ينظر: المرجع السابق. (168/1).

[205] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (168/1).

Prince of Songkla University Pattani Campus

كما كان في مسألة أشهر المفسرين بالمأثور وأهم كتبهم بأَنِ اقتصر الباحث على ذِكْر بعضٍ منها، كان عليه هنا أيضا أن يقتصر في ذكر بعض كتب التفسير بالرأي الجائز، مع التنويه أن هذه الكتب مختلفةُ الاتجاهات والنزاعات؛ فمنها ما يميزها الصناعة النحوية، والأخرى فلسفية، وتلك كلامية، وَثَم إشارية، إلا أن جميعها تندرج تحت التفسير بالرأي في الإجمال، ومِنْ بين هذه الكتب التي وقع على الباحث اختيارها:

1- مفاتيح الغيب: للفخر الرازي.
2- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي.
3- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي.
4- البحر المحيط: لأبي حيان.
5- تفسير الجلالين: للجلال المحلي، والجلال السيوطي.
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود.

هذه الكتب التي سيتكلم عنها الباحث حسب الترتيب المذكور إن شاء الله.

Prince of Songkla University Pattani Campus

1- مفاتيح الغيب للرازي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، التميمي، البكري، الطبرستاني، الرازي، الملقب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي، ولد سنة 544 هـ. كان رحمه الله فريد عصره وأعجوبة زمانه، جمع الكثير مِنَ العلوم وبرع فيها، فكان إمامًا في التفسير والكلام، والعلوم العقلية، وعلوم اللغة، وغيرها مِنَ العلوم حتى أَنْ قصده العلماء يرتحلون إليه لطلب العلم منه، وهو مع غزارة علمه كان واعظًا تقيًا، يَبكي ويُبكي مَنْ حوله، ترك الكثير مِنَ العلوم النافعة ومِنْ بينها كتابه التفسير المسمى بمفاتيح الغيب والمشهور بتفسير الرازي. توفي رحمه الله في الري سنة 606 هـ[206].

---

[206] ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (40/7).

- **طريقة الرازي في كتابه: مفاتيح الغيب**

يهتم الفخر الرازي في تفسيره ببيان المناسبات بَيْن آيات القرآن وسوره، كما يهتم بالعلوم الرياضية والكونية والفلسفية ويستطرد فيها أيما استطراد حتى ليظن القارئ أنه خرج مِنَ التفسير وإليه أشار أبو حيان في قوله: "جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير...."[207].

أما بالنسبة للمسائل الكلامية فهو يستوقف المعتزلة ويقرر مسألتهم ويرد عليه ردًا لا يراه البعض كافيًا وشافيًا، ولعل السبب يرجع إلى أنه كان يستفرغ أقوالًا في دليل الخصم، فإذا انتهى إلى تقرير دليل نفسه لا يبقى عنده شيء مِنَ القوى، ولا شك أن القوى النفسية تتبع القوى البدنية، وقد صرح في مقدمة نهاية العقول: أنه مقرر مذهب خصمه تقريرًا لو أراد خصمه تقريره لم يقدر على الزيادة على ذلك[208].

وفي علوم الفقه وآيات الأحكام فإنه يذكر مذاهب الفقهاء فيها، مع انتصاره للمذهب الشافعي– الذي يقلده– بالأدلة والبراهين[209].

ويستطرد في المسائل الأصولية وعلوم اللغة، وإن كان لا يتوسع في ذلك توسعه في مسائل العلوم الكونية والرياضية[210].

- **قيمة كتاب مفاتيح الغيب:**

انتشر كتاب مفاتيح الغيب وهو كتابٌ مطبوعٌ في ثماني مجلدات، ومتداولٌ بين أهل العلم، ولعله يحظى النصيب الأكبر في التفسير بالرأي نظرًا لكثرة استنباطه واستطراده للمسائل، حتى أنه في سورة الفاتحة قد ذكر لها عشرة آلاف مسألة!

---

[207] ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (230/1–231) الذهبي، التفسير والمفسرون (194/1).

[208] المرجع نفسه. وينظر: ابن حجر، لسان الميزان (427/4–428).

[209] المرجع نفسه.

[210] المرجع نفسه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

2- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو قاضي القضاة، ناصر الدين أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، البيضاوي الشافعي، مِنْ بلاد فارس، صاحب المصنفات، مِنْ ضِمْنه (المنهاج) وشرحه في أصول الفقه، (وأنوار التنزيل وأسرار التأويل) في التفسير. ولي قضاء بشيراز، وتوفي بمدينة تبريز سنة 691 هـ وقيل غير ذلك[211].

- **طريقة البيضاوي في كتابه أنوار التنزيل وأسرار التأويل:**

يُمْكن القول: إن تفسير البيضاوي جاء مختصرًا لتفسير الكشاف والزمخشري، وتجريده مِنَ المعتقدات المعتزلية، كما يستمد تفسيره مِنْ مفاتيح الغيب للرازي، وتفسير الراغب الأصفهاني وأضاف عليهما رأيه وكلامه مما يدل على سعة علمه وحدة عقله مِنْ خلال نكته البارعة، واستنباطات دقيقة، كل هذا بعبارة سهلة موجزة[212].

تعرض البيضاوي في تفسيره للقراءات ولكنه اقتصر على الشواذ منها، كما يذكر المسائل الأصولية والفقهية والنحوية دون توسع وإكثار، ومما يؤخذ عليه ذكره فضائل التي تذكر في أواخر السور، وقد علم أن أكثرها لا تصح، ولعله ذكرها كونها جليًا له ضعفها ووهنها. وهو مقل للإسرائيليات وهو يرويها يرويها بصيغة التضعيف[213].

- **قيمة كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل:**

يعتبر كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل متوسط الحجم ولكنه حوى علمًا كثيرًا، حتى كثر عليه الحواشي والتعليقات، وإنْ دل دل على قيمة التفسير وما منح الله له القبول بين أهل العلم[214].

---

211 ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (7/685-686).

212 ينظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون (1/211-214).

213 المرجع نفسه. (1/215-216).

214 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/215-216).

Prince of Songkla University Pattani Campus

3- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، أحد الزهاد المتأخرين، والأئمة المعتبرين. كان إمامًا مختلف النظير في زمانه، عالمًا أصوليًا، بارعًا في الحديث ومعانيه، له مصنفات كثيرة في الأصول والفقه، توفي رحمه الله سنة 701 هـ ودفن ببلدة أيذج فرحمه الله رحمة واسعة[215].

- **طريقة النسفي في كتابه مدارك التنزيل وحقائق التأويل:**

هذا التفسير جاء مختصرًا لتفسير البيضاوي ومن الكشاف للزمخشري، وترك ما فيه من الاعتزالات، ويمكن معرفة طريقة تفسيره من خلال مقدمته التي ذكرها في أول تفسيره ما نصه: "قد سألني مَنْ تتعين إجابته، كتابا وسطا في التأويلات، جامعا لوجوه الإعراب والقراءات، متضمنا لدقائق علمي البديع والإشارات حاليا بأقاويل أهل السنة والجماعة، خاليا عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، وكنت أقدم فيه رجلا وأؤخر أخرى، استقصارا لقوة البشر عن درك هذا الوطر، وأخذا لسبيل الحذر عن ركوب متن الخطر، حتى شرعت فيه بتوفيق الله .....، وسميته، (بمدارك التنزيل وحقائق التأويل)[216]".

وقد ضمن النسفي في تفسيره الخوض في المسائل النحوية ولكن دون إكثار واستطراد، كما أنه ملتزم بالقراءات المتواترة وينسب كل قراءة لقارئها[217].

كما يذكر الأحكام الفقهية المتعلقة بالآية، ويذكر الأقوال دون توسع. كما يتنصر لمذهبه الحنفي[218].

---

[215] ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (17/3).

[216] ينظر: النسفي، مدارك التنزيل (24/1).

[217] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (218/1).

[218] مثال: تفسيره في قوله تعالى: {والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء}[البقرة:228]. ينظر: النسفي، مدارك التنزيل (84/1-85).

- **قيمة كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل:**

هذا وإن كتاب مدارك التنزيل حاز الفضل بين أهل العلم، وهو مطبوعٌ في أربع مجلدات متوسط الحجم، وانتفع به كثيرًا مِنَ الناس كما انتفعوا بغيره مِنْ مؤلفاته رحمه الله تعالى[219].

4- البحر المحيط: لأبي حيان

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الغرناطي، الحياني، الشهير بأبي حيان الأندلسي، ولد سنة 654 هـ. كان مُلمًا بالقراءات الصحيح منها والشاذ، قرأ القرآن على الخطيب عبد الحق بن علي إفرادًا وجمعًا، وغيره مِنَ القُراء المشهورين، وسمع الكثير مِنَ العلماء ببلاد الأندلس وإفريقية، وكانت حياته في طلب العلم إما نظرًا واطلاعًا أو تدوينًا وكتابةً. توفي بمصر سنة 745 هـ رحمه الله تعالى[220].

- **طريقة أبي حيان في تفسيره البحر المحيط:**

يتميز تفسير البحر المحيط في التوسع في مسائل اللغة ووجوه الإعراب، ويعد المرجع الأول في ذلك، ومع ذلك مع توسعه في المسائل النحوية لم يُهْمل رحمه الله مِنْ ذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقِراءات مع توجيهها، والبلاغة القرآنية، كما لم يغفل عن ذكر الأحكام الفقهية عند مروره بآيات الأحكام جَرْيًا على ترتيبٍ خاصٍ ذَكَره في مقدمته: "وترتيبي في هذا الكتاب، أني أبتدئ أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه مِنَ اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان، ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة، لينظر ما يناسب لها مِنْ تلك المعاني في كل موضع تقع فيه، فيحمل عليه، ثم أشرع في تفسير الآية، ذاكرا سبب نزولها، إذا كان لها سبب، ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشدا فيها

---

219 ينظر: المرجع السابق. (220/1).

220 ينظر: ابن حجر ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (58/6-65).

Prince of Songkla University Pattani Campus

القراءات، شاذها ومستعملها، ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية، ناقلا أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متكلما على جليها وخفيها، .... ثم أختتم الكلام في جملة مِنَ الآيات التي فسرتها إفرادا وتركيبا بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع، .....، وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى وعلى علي كرم الله وجهه وعلى ذريته، ويسمونه علم التأويل[221]".

- **قيمة كتاب البحر المحيط:**

يعتبر البحر المحيط المرجع الأول في التفسير الحاوي للمسائل النحوية ووجوه الإعراب، وهو مطبوعٌ في ثماني مجلدات ومتداولٌ بين أهل العلم[222].

5- **تفسير الجلالين: للجلال المحلي، والجلال السيوطي**

- **نبذة عن المؤلف:**

قام بتفسير الجلالين الإمامان الجليلان، جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، وقد سبق ترجمة جلال الدين السيوطي عند الحديث عن كتاب الدر المنثور في التفسير المأثور.

أما جلال الدين المحلي فهو جلال الدين، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي، تفتازاني العرب، كان عابدًصا زاهدًا ورعًا، حاد الذكاء كأنما ذكاءه يثقب الماس، وقافًا عند حدود الله، لا يأبه للظلمة يصدع أمامهم بكلمة الحق ولا تأخذه في ذلك لومة لائم، صنف الكثير مِنَ المصنفات الرائعة انتفع به الكثير مِنَ الناس. فسر في كتاب الجلالين الفاتحة ثم شرع في تفسير سورة الكهف حتى آخر سورة الناس ثم وافته المنية سنة 864 هـ. رحمه الله رحمة واسعة[223].

---

221 ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط (12/1-13).

222 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (228/1).

223 ينظر: ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (447/9-448).

Prince of Songkla University Pattani Campus

- **طريقة تفسير الجلالين:**

مَنْ يَقرأ تفسير الجلالين لا يَلْحظ الفرق الشاسع بين طريقة المؤلفَين، فكلاها سارا على نسق معين مِنْ ذِكْر ما يُفهم مِن كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، والتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة، على وجهٍ لطيفٍ، وتعبيرٍ وجيزٍ، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعاريب محلها الكتب العربية[224].

- **قيمة كتاب تفسير الجلالين:**

والكتاب مع اختصاره إلا أنه قَيِّمٌ في بابه، وهو مِنْ أعظم التفاسير انتشارًا، وأكثرها تداولًا وانتفاعًا، وقد طبع مرارًا، وحظي بكثير مِنْ تعليق العلماء، وحواشيهم، كحاشية الصاوي، وحاشية الجمل، وهما متداولان بين أهل العلم[225].

6- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود**

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الحنفي، ولد سنة 893 هـ بقريةٍ قريبةٍ مِنَ القسطنطنية، في بَيْت علمٍ وفضلٍ، قرأ كثيرًا مِنْ كُتُب العلم على والده، وتتلمذ لكثير مِنَ العلماء، فاستفاد منهم، حتى طارت سمعته، وفاضت شهرته، وعظم صيته، دَرَّس في كثير مِن المدارس التركية، وتقلد القضاء، له كثيرٌ مِن المصنفات النافعة.

توفي رحمه الله بمدينة القسطنطنية، ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه سنة 982 هـ[226].

---

224 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (239/1).

225 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون. (240/1).

226 ينظر: الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (261/1).

- **طريقة أبي السعود في تفسيره:**

عنى أبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم بالكشف عن بلاغة القرآن وسر إعجازه، كما يهتم بذكر المناسبات والتعرض لذكر القراءات في حدود ما يوضح به المعنى[227].

كما لم يُكثر أبو السعود في ذكر الإسرائيليات، وإنْ روى عمن اشتهر عنهم بالكذب فيعقبها بقوله والله أعلم، يرد بذلك أنه شاك في صحة روايتها[228].

ولم يُكثر أبو السعود في تفسيره مِنْ ذكر المسائل الفقهية، ويتناول ذكر وجوه الإعراب إذا كانت الآية تحتملها، ويُنزل الآية على اختلاف الأعاريب، ويرجح واحدا منها ويدل على رجحانه[229].

- **قيمة كتاب إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:**

يُعتبر الكتاب على ما فيه من الغاية من الدقة، وعدم خلط التفسير بما لا يتصل به؛ مرجعًا مُهمًا اعتمد عليه مَنْ جاء بعده مِن المفسرين، والكتاب طبع مرارًا وهو يقع في خمسة أجزاء متوسطة الحجم[230].

Prince of Songkla University Pattani Campus

المطلب الثالث: مفسرين جمعوا بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي:

هناك مفسرين جمعوا بين التفسير بالمأثور وبين التفسير بالرأي، ومن ضمنهم:

1- ابن الجوزي وتفسيره زاد المسير.
2- الإمام الآلوسي وتفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم.
3- القاسمي وتفسيره محاسن التأويل.

---

227 ينظر: المرجع السابق. (248/1).

228 مثاله في تفسيره لقوله تعالى: {وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون}[النمل: 35]. ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل (229/4).

229 المصدر نفسه. (224/1).

230 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (250/1).

1- زاد المسير المسير في عِلْم التفسير: لابن الجوزي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري، فقيه حنبلي، محدث ومؤرخ ومتكلم، ولد وتوفي في بغداد سنة 597 هـ. حظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون.

عُرف بابن الجوزي لشجرة جوز كانت في داره ببلدة واسط، ولم تكن بالبلدة شجرة جوز سواها، وقيل: نسبة إلى (فرضة الجوز) وهي مرفأ نهر البصرة231.

- **طريقة ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير:**

جمع ابن الجوزي في تفسيره أقوال المفسرين من المتقدمين وغيرهم، وأحيانا لا يذكر صاحب القول وإنما يقول وفي قوله تعالى (ثم يذكر الآية) قولان أو ثلاثة ثم يسردها، وأحيانا يرجح وأحيانا لا يرجح، ويتعرض كذلك للقراءات، ويتعرض كذلك للمسائل الفقهية واللغوية.

- **قيمة تفسير زاد المسير:**

يُعد الكتاب أحد أهم الكتب التي صنفها ابن الجوزي ، ويُعد أيضًا واحد من أهم كتب التفسير للقرآن الكريم الذي جمع بين المأثور والرأي، فقد عمد ابن الجوزي حين عقد النية على تأليفه إلى كتب الذين سبقوه في التفسير فقرأها وأشبعها دراسة، وإلى العلوم المساعدة للمفسر ليلم بموضوعه تمام الإلمام ورأى مَنْ خلا هذه الدراسة لمؤلفات السلف أن المفسرين قبله قد وقعوا في كثير التطويل تارة، والتقصير تارة، فاستفاد من الثغرات التي كانت في تفاسيرهم وألف تفسيره هذا مخلصا إياه في التطويل الممل ومِن الاختصار المخل وقال في خطبة الكتاب: "فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منطويا على العلم الغزير، ووسمته بزاد المسير في علم التفسير وزاد المسير ببالغ عناية المؤلف في إخراجه[232]".

---

231 ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (21/366-385).

232 ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير (1/11).

Prince of Songkla University Pattani Campus

2- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للآلوسي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو الثناء، شهاب الدين، السيد محمود أفندي الآلوسي- نسبة إلى قرية آلوس في جزيرة وسط الفرات- البغدادي، ولد سنة 1217 هـ في الكرخ مِنْ بغداد. كان شيخ علماء العراق، جمع كثيرًا مِنَ العلوم حتى كان عَلَمًا في المنقول والمعقول، شارحًا للأصول والفروع، محدثا لا يجارى، ومفسرًا لا يبارى، كل وقته في تحصيل العلوم و تأليفه وتنقيحه وتدريسه، قصد إليه الكثير مِن طلبة العلم مِن شتى أقاصي البلاد، وكان يواسيهم مِن ملبسه ومأكله، ويسكنهم مِن منازله الرفيعة، لا يجحد له فضل، وإليه انتهت الرياسة. له مصنفات كثيرة معظمها درس وعفت آثاره، وما حفظ انتفع الناس به كثيرًا كتفسيره روح المعاني. توفي رحمه الله سنة 1270 هـ، ودفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في الكرخ، رحمه الله تعالى[233].

- **طريقة الآلوسي في تفسيره روح المعاني:**

مَن يقرأ تفسير الآلوسي يرى فيه أن مؤلفه قد بذل جهده وأفرغ وسعه في إخراج مثل هذا الكتاب للناس، فقد جمع كل ما سبق مِن التفسير المأثور والرأي، منقحًا ومحررًا ومصوبًا بدقةٍ وعنايةٍ، وهو إذا نقل عن أبي السعود يشير إليه بقوله - قال شيخ الإسلام — وإذا نقل عن البيضاوي أشار إليه بقوله- قال القاضي- وإذا نقل عن الرازي أشار إليه بقوله-قال الإمام. وقد نقل أيضا مِن تفسير ابن عطية، وأبي حيان الأندلسي[234].

والآلوسي سُني المعتقد على طريقة أهل السنة والجماعة، فهو كثيرًا ما يفند آراء الشيعة والمعتزلة وغيرها مِن المذاهب المخالفة[235].

---

233 ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام (7/176-177).

234 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/251-252).

235 مثال: تفسيره لقوله تعالى: {الله يستهزأ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون}[البقرة:15]، وتفسيره لقوله تعالى: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما}[الجمعة:11]. ينظر: الآلوسي، روح المعاني (1/160) (28/94).

Prince of Songkla University Pattani Campus

كما يُضمن في تفسير الآلوسي المسائل الكونية والنحوية وكثرة استطراده فيهما، ويستوفي جميع مذاهب الفقهاء عند المرور بآيات الأحكام دون تعصب لمذهب معين[236].

كما كان شديد النقد للإسرائيليات والأخبار المكذوبة التي حوت التفاسير السابقة التي ربما ظنوا أنها صحيحة، ويسخر منه أحيانا[237].

ولم يفت على الآلوسي ذكر القراءات ولكنه لم يتقيد بالمتواتر منها، كما أنه لم يغفل عن بيان وجه المناسبة بين الآيات والسور، وذكر أسباب النزول، وهو كثير الاستشهاد بأشعار العرب ليستدل على ما يذهب إليه من اختيار المعاني اللغوية[238].

- **قيمة كتاب روح المعاني:**

يُعد كتاب روحُ المعاني موسوعةً تفسيريةً قيمةً، جمعت معظم ما قاله علماء التفسير المتقدمين، مع النقد والتحرير والترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة، وهو مع توسعه في مختلف النواحي العلمية إلا أنه متزن في كلامه، مما يشهد له غزارة علمه[239].

Prince of Songkla University Pattani Campus

3-محاسن التأويل للقاسمي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ولد سنة 1866م، حد رواد النهضة العلمية الدِّينية الحديثة ببلاد الشام في العصر الحديث، وأحد رجال العلم الكبار مِن المسلمين في النصف

---

[236] مثال: في استطراده للآيات الكونية كتفسيره لقوله تعالى: {والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم} [يس:38]. ومثال: استعراضه الأحكام الفقهية دون تعصب تفسيره لقوله تعالى: {ومتعهون على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين}[البقرة:236]. المصدر نفسه (12/12-19) (246/1).

[237] مثال: تفسيره لقوله تعالى: {ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا} [المائدة:12]. المصدر نفسه. (258/3-259).

[238] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (256/1).

[239] المصدر نفسه.

الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وصاحب المؤلّفات القيّمة الكثيرة التي انتفع بها العلماء وطلاب العلم من المسلمين. توفي سنة 1914م[240].

- **طريقة القاسمي في تفسيره محاسن التأويل:**

اعتمد القاسمي في مصنفه على الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف وكثيرا من أقوال أئمة المسلمين الغابرين، ولم يقتصر في نقوله عن الأئمة الأربعة المعروفين بل كان يعتمد الرأي الحسن أين ما وجده سواء عند زيدي أو معتزلي أو خارجي أو حتى عند علماء الإفرنج لأن الحكمة ضالة المؤمن وهو يضفي على كتابه هذا وجميع كتبه اللون الأدبي البليغ الجميل.

- **قيمة تفسير محاسن التأويل:**

يُعد تفسير علامة الشام القاسمي موسوعة حديثة في التفسير، لأنه كان من المتأخرين، فاطلع على تفاسير السابقين، وعرف ما تخللها من غث وثمين، فضمن تفسير الكثير من نوادر الفوائد والفرائد، واختار أصح الآراء وأدقها، وعرضها بلغة العصر وأسلوبه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

---

240 ينظر: الإستانبولي، شيخ الشام جمال الدين القاسمي. ص (39).

خلاصة الفصل الثاني

وبعد فبحمد الله انتهى الباحث مِن الفصل الثاني ، ويليه الفصل الثالث وهو ترجمة الامام البغوي والتعريف بكتابه معالم التنزيل ومنهجه الذي سار في تفسيره. وقبل ذلك يأتي ملخص للفصل الثاني وهو كما في النقاط الآتية:

1- إن التفسير له أنواعٌ بحسب وصوله إلينا؛ فإما تفسير بالأثر أو تفسير بالاجتهاد.

2- تعريف التفسير بالمأثور: " تفسير القرآن بالقرآن نفسه، أو ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم، أو ما نقله الصحابي والتابعي بيانًا لما جاء في كتاب الله".

3- تعريف التفسير بالرأي: "هو بذل الجهد في تفسير كتاب الله بعد توافر شروط معينة، مثل معرفة كلام العرب وأساليبهم، ودراسة الألفاظ القرآنية بالاستعانة بالشعر الجاهلي، والوقوف على أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وغيرها".

4- إن التفسير بالمأثور ضوابطه كضوابط عِلم الحديث.

5- إن التفسير بالرأي إما محمود وإما مذموم، والمحمود هو ما اكتمل فيه شروط التفسير بالرأي مِن توافر علوم اللغة العربية وعلوم القرآن وأصول الفقه وكافة أدوات الاستنباط والاجتهاد، والتفسير بالرأي المذموم ما فقدت تلك الشروط والضوابط.

6- مِن أهم المفسرين بالمأثور: الطبري، ابن كثير، والسيوطي في كتابه الدر المنثور.

7- مِن أهم المفسرين بالرأي المحمود: الرازي، والبيضاوي، وأبي حيان الأندلسي.

8- مِن أهم المفسرين الذين جمعوا بين التفسير بالمأثور والرأي: الآلوسي.

الفصل الثالث

الإمام البغوي ومنهجه في معالم التنزيل

ويتضمن هذا الفصل على خمسة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: دراسة الحالة العامة لعصر الإمام البغوي

المبحث الثاني: ترجمة الإمام البغوي

المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام البغوي "معالم التنزيل"

المبحث الرابع: منهج الإمام البغوي في تفسيره معالم التنزيل

المبحث الخامس: معالم التنزيل في الميزان

*** *** ***

Prince of Songkla University Pattani Campus

المبحث الأول: دراسة الحالة العامة لعصر الامام البغوي:

بادئ بدء يقول الباحث: إن معرفة شخصية لعالمٍ ما، لا بد مِنْ معرفة طبيعة عصره وبيئته التي عاش فيها؛ إذ إن للبيئة تأثيرًا في أفرادها. وقد خلق الله سبحانه وتعالى الناس جميعًا وجعلهم أُمَمًا وقبائل؛ ليتعارفوا، وتكون بينهم علاقات شتى، وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، فإذن لا بد مِن التأثر والتأثير بين أفراد المجتمع الواحد والمجتمعات المتعددة إذا وجدت الصلة والعلاقات المتبادلة. وإذا أراد الباحث أن يقوم بوصف عصر الإمام البغوي، فينبغي أولاً تحديد الزمن الذي عاش فيه.

فقد عاش الإمام البغوي في القرن الخامس الهجري؛ أي في العصر العباسي، ولذا سيتعرض الباحث في وصف عصر الإمام البغوي مِنْ ثلاث نواحٍ:

المطلب الأول: الحالة السياسية

كم العباسيون[241] في الفترة الواقعة بين (132هـ – 656هـ) وهي فترة تميزت بتعدد الأنظمة السياسية وتنوعها، وذلك بسبب تنوع ميول الخلفاء واتجاهاتهم فيما يتعلق بعناصر وأقسام السكان مِن عربٍ وفُرْسٍ وأتراكٍ، وبناءً على ذلك ظهر التنافس بين هذه العناصر مما أدى إلى تردي الأوضاع في أواخر العهد العباسي، أما فيما يتعلق بالحالة السائدة في الفترة التي عاش فيها الإمام البغوي فقد تميزت

---

[241] نسبة إلى جدهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

بسيطرة البويهيين[242] على السلطة في بغداد وإحكام قبضتهم عليها إلى أن برزت دولة السلاجقة[243] في أوائل القرن الخامس الهجري التي وسعت سيطرتها على الدولة وانتزعتها مِن الدولة البويهية[244].

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية

عاشت الدولة العباسية حياةَ ترفٍ ونَعيمٍ حتى أنَ بغداد كانت أعظم بلاد العالم حضارةً واحتواءً لأشكال التطور مِن جسورٍ ومستشفياتٍ ومراصد، وبدأت مظاهر العناية بالجماليات والزخارف، مما أضفى على الدور والأزقة والأماكن العامة طابع الغنى والأناقة[245].

كما انتشرت دور العلم والعبادة، وحظيت بعناية فائقة مِن حيث العمران والمساحة والخدمة، كما ظهر الاهتمام بالشعر والشعراء الذين تغنوا بالترف الحضاري والاجتماعي السائد مِن حولهم[246].

المطلب الثالث: الناحية العلمية والثقافية

بلغ الاهتمام بالعلم ذروته في العصر العباسي وشمل ذلك كافة المجالات وأنواع العلوم المختلفة، كما اتسعت حركة التأليف والكتابة. ففي العلوم الشرعية لوحظ توسع لافت في التأليف في علم التفسير حيث تطور إلى الاستشهاد بالشعر العربي وبيان وجوه القراءات والإعراب ثم تنوع التفسير إلى تفسير بالمأثور وآخر بالرأي ونشأت لذلك مدارس كان لها أسسها ومبادئها العلمية[247].

---

242 هم بنو بويه، سلالة من الديلم (جنوب بحر الخزر) حكمت غرب فارس والعراق سنوات تزامنا مع العصر العباسي، استمدوا اسمهم من أبي شجاع بويه، والذي لمع اسمه أثناء عهد الدولتين السامانية ثم الزيارية. استطاع ثلاثة من أبنائه الاستيلاء على السلطة في العراق وفارس. خلع عليهم الخليفة العباسي ألقاب السلطنة.ينظر: إلهامي، العباسيون الضعفاء. ص (306-307).

243 هم مجموعة من قبائل الأتراك المعروفة بإسم الأغوز (الغز) التركية، سمو بالسلاجقة نسبة الى جدهم سلجوق بن دقاق، وكانت تركستان الموطن الأول لهم، ونظراً لأحترافهم الرعي فكانوا ينتقلون من مكان الى آخر. ينظر: ابن كثير. البداية والنهاية (12-48-49) أيوب، آخر أيام العباسيين. ص (9-10).

244 ينظر: حسنين، دولة السلاجقة. ص (14-15).

245 المرجع نفسه. ص (17).

246 المرجع نفسه.

247 المرجع نفسه. ص (153) (170) وينظر: حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة. ص (215) (376)

أما فيما يتعلق بالحديث فقد تنوعت علومه وظهر علم مصطلح الحديث والجرح والتعديل والدراسات المختلفة المتعلقة به[248].

كما ظهرت المذاهب الفقهية المختلفة وتَبَلْوَرَت وتوسعت في مبادئها واستنتاجاتها[249].

أما عِلْم النحو واللغة العربية فقد بدأ العلماء بتأليف رسائل صغيرة ثم توسعوا حتى وصلوا إلى إنتاج المعاجم والكتب الضخمة في اللغة، ثم نشأت المدارس النحوية كالمدرسة البصرية والمدرسة الكوفية وشاع فيهما التأليف في النحو والأدب[250].

وفي مجال التاريخ توسعت حركة التأليف وظهرت كتب المغازي والسير وانتشرت كتب الطبقات[251].

إضافة إلى ذلك توسعت حركة الترجمة بين اللغة العربية وعدة لغات مما أدى إلى ترجمة الكتب في عدة مجالات وفنون[252].

المبحث الثاني: ترجمة الامام البغوي

المطلب الأول: السيرة الشخصية للامام البغوي

اسمه ونسبه: هو أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء[253] البغوي،[254] الفقيه، الشافعي، المحدث، المفسر، الملقب بمحيي السنة وركن الدين، تفقه على القاضي حسين وسمع منه الحديث، وكان تقيًا، ورعًا زاهدًا، قانعًا، إذا ألقى الدرس لا يلقيه إلا على طهارة، وإذا أكل لا يأكل إلا

---

248 ينظر: حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة. ص (215) (376)

249 المرجع نفسه.

250 المرجع نفسه.

251 المرجع نفسه.

252 المرجع نفسه.

253 نسبة إلى خياطة الفراء وبيعها. ينظر: السمعاني، الأنساب (153/10).

254 نسبة إلى بلدة بخراسان بين مرو وهراة يقال لها بغ وبغشور، والبغوي نسبة شاذة على خلاف الأصل، ينظر: السمعاني، الأنساب (273/2).

Prince of Songkla University Pattani Campus

الخبز وحده، فلما عوتب في ذلك أصبح يضيف عليه البعض مِن الزيت. توفي رحمه الله في شوال سنة 510 هـ عشر وخمسمئة مِن الهجرة بمروروز وقد جاوز الثمانين ودفن عند شيخه القاضي حسين بمقبرة الطالقاني[255].

المطلب الثاني: السيرة العلمية للامام البغوي

كان البغوي إمامًا في التفسير، إمامًا في الحديث، إمامًا في الفقه، عده التاج السبكي مِنْ علماء الشافعية الأعلام، وقال: كان إمامًا جليلًا، ورعًا، زاهدًا فقيهًا، مُحدثًا مفسرًا، جامعًا بين العلم والعمل، سالكًا سبيل السلف وصنف في تفسير كلام الله تعالى، وأوضح المشكلات مِن قول النبي صلى الله عليه وسلم وروى الحديث واعتنى به....[256]".

ولعله من المفيد في هذا البحث أن يذكر الباحث شيوخ الإمام البغوي الذين تلقى عنهم العلم، وتلامذته الذين تلقوا منه، ومصنفاته التي تركها، وثناء العلماء عليه؛ حتى تكتمل صورة الإمام البغوي العلمية.

Prince of Songkla University Pattani Campus

فمن شيوخ الإمام البغوي:

1- **أبو عمر عبد الواحد المليحي:**

عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم، الشيخ الصدوق، مسند هراة، سمع أبا محمد المخلدي وأبا الحسين الخَفاف وابن أبي شريح، وروى صحيح البخاري عن النعيمي. روى عنه الإمام البغوي وخلف بن عطاء الماوردي وإسماعيل بن منصور المقرئ وغيرهم. توفي سنة 463هـ، وعمره 96 سنة رحمه الله[257].

2- **الشيخ الثقة المسند أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد النيسابوري:**

---

255 ينظر: السيوطي، طبقات المفسرين. ص. (13) ابن خلكان، وفيات الأعيان (145/1-146) ابن السبكي، الطبقات الكبرى (214/4-215).

256 المصادر نفسها.

257 ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (234/35).

سمع أبا محمد المخلدي وأبا الحسين الخَفاف وأبا نعيم الأزهري، وحدث عنه محمد بن الفضل وغيره. كان صحيح الأصول محتشماً. توفي سنة 466هـ[258].

3- **أبو الحسن علي بن يوسف الجويني:**

علي بن محمد بن علي بن عاصم الجويني المعروف بالرهبان، سكن نيسابور، كان فاضلاً حافظاً للأدب والشعر وأخبار الناس، صحب الأكابر وخدمهم ثم ضعف فترك أهل الدنيا واشتغل بالعبادة، كان له شعر حسن. سمع الحديث على كبر السن مِن أبي القاسم الفرائضي والحسن بن يعقوب الأديب، ولد سنة 450هـ وتوفي سنة 544هـ[259].

ومن تلاميذ الإمام البغوي:

1- **أبو منصور محمد بن أسعد العطاردي:**

محمد بن أسعد بن محمد بن الحسين الطوسي العطاردي المعروف بِحَفَدَة، مِنْ أهل نيسابور وأصله مِن طُوس، كان فقهياً فاضلاً واعظاً فصيحاً أصولياً، سمع أبا بكر عبد الغفار الشيروي، وأبا الفتيان عمر بن عبد الكريم الرواس، ومحمد بن منصور السمعاني، والبغوي. روى عنه: أبو أحمد بن سكينة وأبو المجد القزويني، توفي سنة 571هـ[260].

2- **أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي الهمذاني:**

واعظٌ عالمٌ بالحديث، سمع فَيْدَ بن عبد الرحمن الشعراني، وإسماعيل الفرائضي، له الأربعون حديثاً الطائية، توفي سنة 555هـ[261].

3- **أبو المكارم فضل الله بن محمد بن أحمد النوقاني الشافعي:**

---

[258] المصدر نفسه. (224/35).

[259] ينظر: السمعاني، التحبير في المعجم الكبير (585/1).

[260] ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (20-539-540).

[261] ينظر: الزركلي، الأعلام (24/7).

ولد سنة 513هـ، وبادر أبوه فأخذ له الإجازة مِن محيي السنة البغوي بمروياته، وسمع الأربعين الصغرى للبيهقي مِن عبد الجبار الخواري وتفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالي. روى عنه أبو رشيد الغزال وغيره، توفي في نوقان سنة 600هـ.[262] وغيرهم مِن التلاميذ الذين انتفعوا بعلمه الغزير المبارك.

أهم مصنفاته:

لقد قام الإمام البغوي رحمه الله، بتصنيف كُتُبٍ كثيرةٍ وفي فنونٍ مختلفةٍ، وسيقتصر الباحث ذكر مصنفاته في الحديث والتفسير؛ كَوْن البحثِ دائرٌ في التفسير.

فمن مصنفاته في الحديث:

1- الأنوار في شمائل النبي المختار: ورتبه على واحد ومائة بابٍ على طريقة المحدثين بالأسانيد[263].

2- مصابيح السنة: وهو كتاب قسم فيه الأحاديث إلى صحاحٍ وحسانٍ، مريداً بالصحاح ما أخرجه البخاري ومسلم[264] أو أحدهما، وبالحسان ما أخرجه أرباب السنن الأربعة[265] مع الدارمي[266] أو بعضهم، إلا أنه لم يعين فيه مَن أخرج كل حديث على انفراده، ولا

---

[262] ينظر: المصدر السابق. (391/41).

[263] ينظر: محمد بن جعفر الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة. ص (111).

[264] هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، ولد سنة 206 هـ، مصنف كتاب صحيح مسلم الذي يعتبر ثاني أصح كتب الحديث بعد صحيح البخاري. توفي سنة 261 هـ. ينظر: ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (580-579/12).

[265] أي سنن النسائي، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن ابن ماجه.

[266] هو: عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي الدارمي السجستاني أحد رواة الحديث، ولد قبل سنة 200هـ، تتلمذ على يحي بن معين، وعلي المديني، واحمد بن حنبل. توفي سنة 280 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (326-319/13).

Prince of Songkla University Pattani Campus

الصحابي الذي رواه، ثم عين ذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب العمري التبريزي في كتاب سماه مشكاة المصابيح[267].

3- الأربعون حديثاً[268].

ومن مؤلفاته في التفسير:

1- كتاب معالم التنزيل والمشهور بتفسير البغوي، وهو موضوع الباحث.

2- الكفاية في القراءة[269].

ثناء العلماء عليه:

جاءت أقوال عديدة تثني على الإمام البغوي رحمه الله، وتشهد على ورعه وتقواه ومِن ذلك: ما جاء في طبقات الشافعية الكبرى (75/7): "كان إماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً جامعاً بين العلم والعمل سالكاً سبيل السلف له في الفقه اليد الباسطة .... ".

وفي سير أعلام النبلاء (44/19): "الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ شيخ الإسلام محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر صاحب التصانيف، وكان البغوي يلقب بمحي السنة وركن الدين، وكان سيداً إماماً، عالماً علامةً، زاهداً قانعاً باليسير، بورك له في تصانيفه، .....".

أثر الإمام البغوي في عصره:

وبعد، فقد تبين للباحث الصورة المشرقة للعالم الجليل، والمفسر العظيم الإمام البغوي رحمه الله تعالى، وأنه كان بعيدًا عن الحياة السياسية، ولم يختلط بالملوك والحكام، ولكنه حظي بمكانٍ مرموق، وهذه الصورة المشرقة تبعث في النفوس اطمئنانها وفخرها واعتزازها لوجود أمثال هؤلاء العمالقة الذين لم يتوانوا

---

267 ينظر: المرجع السابق. ص (179).

268 ينظر: المرجع السابق. (440/19).

269 ينظر: البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (312/1).

لحظة في خدمة الدين والقرآن الكريم والسنة المطهرة، وإفناء آجالهم ومرخصا لأعمارهم مِن أجل ذلك. رحمهم الله أجمعين.

المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام البغوي "معالم التنزيل"

المطلب الأول: أسماء كتاب معالم التنزيل

ليس لِكتاب معالم التنزيل بعد البحث أسماء أخرى، وإنما يعرف بتفسير البغوي. وبعد، فكتاب معالم التنزيل هو كتاب متوسط، نقل فيه مصنفه عن مفسري الصحابة والتابعين ومَن بعدهم، وهو مِن الكُتُب الجليلة التي حوت الصحيح مِن الأقوال، مجرد مِن الغموض والتكلف في توضيح النص القرآني، مُحلى بالأحاديث النبوية والآثار الغالب عليها الصحة كما جاء ذلك في مقدمته[270].

وسبب تأليفه:

وهو إجابته لبعض طلاب العلم الذين سألوه أن يصنف لهم كتاباً في تفسير كتاب الله تعالى، وكذلك أيضا اقتداؤه بالسلف الصالح الذين حرصوا على تدوين العلم خوفًا مِن دروسه حتى يصل إلى الخلف فيعلموه ويعملوا به، ذكر ذلك في مقدمته أيضا[271].

المطلب الثاني: الجهود السابقة[272]

حسب اطلاع الباحث مما توفر لديه مِن مصادر المعلومات، فبعد البحث تبين أنه ليس ثَمة دراسة منهج وتحقيق كامل لكتاب معالم التنزيل، وإنما وُجدت رسالتين جامعيتين لنيل الدكتوراة في منهج الإمام البغوي، وكلتا الرسالتين مطبوعة وهما:

1- منهج البغوي في تفسيره للدكتورة عفاف عبد الغفور حميد، وقد سبق الحديث عنه في مقدمة البحث.

---

270 ينظر: البغوي، تفسير البغوي (34/1).

271 المصدر نفسه.

272 https://al-maktaba.org/book/31871/33055 مكتبة ملتقى أهل التفسير.

Prince of Songkla University Pattani Campus

2- منهج الامام البغوي في عرض القراءات وأثر ذلك في تفسيره: دراسه نظريه تطبيقيه، طلحة محمد توفيق ملا حسين.

وهناك رسائل بعد اطلاع الباحث على قاعدة الملك فيصل للدراسات والأبحاث، ولا يُعلم إن كانت الرسائل مكتوبة، أم فقط مقتصرة على العنوان وهي:

1- الإمام البغوي وكتابه التفسير، محمد علي محمود عثمان، رسالة دكتوراه.

2- البغوي الفراء وتفسيره للقرآن الكريم، محمد ابراهيم شريف، رسالة ماجستير.

3- البغوي وابن كثير ومنهجهما في التفسير: دراسة وتحقيق، زينب عبد الرحمن الدخيل، كلية التربية للبنات بالرياض، رسالة دكتوراه.

4- الإيضاح في التفسير لأبي القاسم الأصفهاني: تحقيق ودراسة من أول سورة الأنعام إلى نهاية سورة يونس ومقارنته بتفسير معالم التنزيل للبغوي، راشد بن حمد الصبحي، الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير.

5- الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري: من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس: جمعا ودراسة مع موازنتها بتفسير البغوي، مأمون عبد الرحمن محمد أحمد، الجامعة الإسلامية.

المطلب الثالث: طبعات الكتاب

لقد وقع في يد الباحث اثنان مِن طبعات كتاب معالم التنزيل:

1- معالم التنزيل، بتحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى/1420هـ، عدد الأجزاء/5.

2- معالم التنزيل، بتحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة الضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة – الرياض، ط/الرابعة، 1417هـ. عدد الأجزاء/8.

والكتاب الثاني هو ما اعتمده الباحث في دراسة منهج الإمام البغوي في تفسيره.

Prince of Songkla University Pattani Campus

وهناك طبعاتٌ كثيرةٌ منها طُبعت بفارس في أربع مجلدات ولم يذكر مكان الطبع أو تاريخه، وطبع أيضاً في بومباي في مجلدين سنة 1309هـ – 1891م، وطبع على هامش تفسير الإمام ابن كثير، كما طبع على هامش تفسير الخازن، وتقع الطبعة الأخيرة في سبعة أجزاء وفي أربعة مجلدا[273].

المبحث الرابع: منهج الإمام البغوي في تفسيره معالم التنزيل

سيتناول الباحث في بيان منهج الإمام البغوي في تفسيره معالم التنزيل بشكل عام، أما تناول المنهج بشكل تفصيلي فسيتطرق أثناء عقد المقارنة بين منهج الإمام البغوي وبين منهج الإمام ابن عادل الدمشقي في الفصل الرابع بحول الله.

فيقول الباحث: افتتح الإمام البغوي تفسيره بالمقدمة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم تحدث بعد ذلك عن الهدف الأكبر مِن نزول القرآن وهو إنقاذ البشرية مِن الضلالة إلى الهداية، ومِن الجهل إلى العلم، وأنه لا يمكن تحقيق هذا الهدف إلا بفهم القرآن وتدبره، ولا يمكن فهمه إلا بالوقوف على تفسيره والتضلع بالعلوم المتصلة به.

وبعد أن بين سبب تأليفه؛ بيَّن بعد ذلك الأسانيد التي نقل بها عن السلف الصلح أقوالهم في تفسير آيات القرآن، حيث ذكر إسناده عن معظم الصحابة والتابعين الذين روى عنهم.

وبعد ذلك عرض لموضوع القراءات ، فبين التزامه بالقراءات المتواترة، ثم بين أخيراً التزامه بالصحيح مِن السنة فيما يذكره وابتعاده عن المناكير وما لا علاقة له بتفسير القرآن.

ثم بعد ذلك شرع بعقد ثلاثة فصول قبل أن يبدأ بتفسير القرآن:

- **الفصل الأول**: في فضائل القران والعمل به.
- **الفصل الثاني**: في فضائل تلاوة القران.

---

273 ينظر: حميد، البغوي ومنهجه في التفسير. ص (63).

- **الفصل الثالث:** في وعيد من قال في القران برأيه.

ثم شرع في تفسير القرآن سورة سورة، مبتدئا بسورة الفاتحة، وختم بسورة الناس[274].

المبحث الخامس: معالم التنزيل في الميزان

المطلب الأول: مصادر الإمام البغوي في تفسيره معالم التنزيل:

ذكر الإمام البغوي في مقدمته مصادره في تفسيره (47/1)؛ وأنه قد أخذ مَن سبقه مِن المفسرين بالمأثور عن طريق شيوخه. قال البغوي في مقدمة تفسيره: "وما نقلت فيه مِن التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حبر هذه الأمة، ومَن بعده مِن التابعين، وأئمة السلف مثل: مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح..... ". وإسناده المباشر عن أستاذه أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه رحمهم الله.

ثم شرع يورد طرق تلقيه عنهم، مثاله: تفسير ابن عباس، قال البغوي في تفسيره: " تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما- ترجمان القرآن- الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((اللهم علمه الكتاب))، وقال: ((اللهم فقهه في الدين)). قال أبو إسحاق: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا عبد الله بن صالح، أن معاوية بن صالح، حدثه عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن عبد الله بن عباس".

بعد ذلك أخذ الإمام يكمل بقية طرق تلقيه في التفسير.

المطلب الثاني: مميزات كتاب معالم التنزيل:

---

274 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (33/1-48).

Prince of Songkla University Pattani Campus

لقد نال كتاب معالم التنزيل قبولًا لدى العلماء، حيث اعتمد في تفسيره على الأثر مِن القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين اعتمادًا كبيراً، كما أنه اعتمد على بعض مَن سبقه مِن المفسرين وخصوصًا الإمام الثعلبي في تفسيره كشف البيان حتى أن بعض العلماء عدّ تفسير البغوي اختصارا لتفسير الثعلبي مع أفضلية تفسير البغوي مِن حيث صيانته عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة كما قال شيخ الإ سلام ابن تيمية: "والبغوي تفسيره مختصر من تفسير الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة....[275]".

وقال الخازن[276] في مقدمة كتابه لباب التأويل في معاني التنزيل (3/1) واصفًا تفسير البغوي: "من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلاها وأنباها وأسناها، جامعا للصحيح من الأقاويل، عارياً عن الشبه والتصحيف والتبديل، محلى الأحاديث النبوية، مطرزاً بالأحكام الشرعية.....، مفرغا في قالب الجمال بأفصح مقال.....".

المطلب الثالث: المآخذ على كتاب معالم التنزيل:

مع مميزات كتاب معالم التنزيل، وثناء العلماء عليه كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله والخازن إلا أن كتاب معالم التنزيل قد اعتوره بعض المآخذ، ويظهر هذا في قول الكتاني: "وقد يوجد فيه من المعاني والحكايات ما يحكم بضعفه أو وضعه[277]".

وقال الشيخ محمد أبو شهبة: "فإن أراد الحديث الطويل في فضائل القرآن سورة سورة فمسلم، وإن أراد غير ذلك فلست موافقا لشيخ الإسلام-أي ابن تيمية فيما أثنى على معالم التنزيل سابقا-؛ لأنه

---

[275] ينظر: ابن تيمية، مجموعة الفتاوى (190/13).

[276] هو: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن. كان الخازن عالم بالتفسير والحديث، ومن فقهاء الشافعية، ولد سنة 678 هـ ببغداد، وتوفي في حلب سنة 741 هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (116-115/4).

[277] ينظر: الكتاني، الرسالة المستطرفة (45/5).

ذكر في كتابه بعض الموضوعات والإسرائيليات بكثرة، اللهم إلا أن يقال إنه أقل من تفسير الثعلبي في الموضوعات والإسرائيليات....[278]".

ولعل الباحث يرى أنه وإن وُجِد بعض المآخذ فإنه كتاب معالم التنزيل يبقى تفسيرا جليلا، وقد نال القبول لدى الكثير مِن العلماء، حتى إنه أفضل مِنْ تفسير الثعلبي لخلوه مِن الكثير مِن الأحاديث الموضوعة، كما صرح بذلك الشيخ محمد أبو شهبه في مقولته السابقة والله أعلم.

Prince of Songkla University
Pattani Campus

[278] ينظر: أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. ص (128).

خلاصة الفصل الثالث

خلص الباحث في الفصل الثالث عدة أمور كالآتي:

1- كان الإمام البغوي عَلَمًا مِنْ عُلماء الشافعية في القرن الخامس الهجري والذي ازدهر فيه العلم، واتسعت فيه حركة التأليف.

2- يُعتبر كتاب معالم التنزيل مُختصرًا لتفسير الثعلبي، ولم يَخْل الكتاب مِن الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات المصادمة للعقيدة الإسلامية.

3- ومع ذلك لم تقلل تلك المآخذ مِن قيمة الكتاب ، فقد حَظِي كتاب معالم التنزيل مكانةً وحظوظاً في نفوس أهل العلم، ويُعتبر كتابه مِن أهم كُتُب التفسير بالمأثور، ولا زال الكتاب إلى اليوم مِن المراجع المهمة لا يستغني عنها المفسر.

Prince of Songkla University Pattani Campus

الفصل الرابع

الإمام ابن عادل الدمشقي وتفسيره اللباب في علوم الكتاب

ويتضمن هذا الفصل على خمسة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: دراسة الحالة العامة لعصر الإمام ابن عادل الدمشقي

المبحث الثاني: ترجمة الإمام ابن عادل الدمشقي

المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام ابن عادل الدمشقي "معالم اللباب في علوم الكتاب"

المبحث الرابع: منهج ابن عادل الدمشقي في تفسيره معالم اللباب في علوم الكتاب

المبحث الخامس: اللباب في علوم الكتاب في الميزان

** ** **

Prince of Songkla University Pattani Campus

المبحث الأول: دراسة الحالة العامة لعصر الإمام ابن عادل الدمشقي

المطلب الأول: الحالة السياسية:

نشأ ابن عادل في عصر المماليك، حيث كانت لهم السيادة الكاملة آنذاك على العالم العربي والإسلامي، وتتألف أقطارها مِن الشام ومصر والحجاز واليمن، والمماليك وَرِثوا السيادة عن الدولة العباسية إثر سقوطها على أيدي المغول التتار[279].

ويمكن تقسيم المماليك إلى قسمين، أو إلى دولتين بالأصح، المماليك "البحرية"، وسميت بالبحرية، لإقامة مماليكها في جزيرة الروضة في مصر[280].

1- **المماليك البحرية:**

هم طائفة من الأرقاء جلبهم الملك الصالح نجم الدين أيوب [281]، ودربهم على فنون القتال والسلاح والرماية وغيرها مِن الفنون، وقد تميز هذا العصر بالتقدم والقوة والحضارة، وكانت فترة حكمهم مِن سنة 648هـ حتى سنة 784هـ، وقد حكم في هذه الفترة خمسة وعشرون سلطانا[282].

2- **المماليك البرجية"الجراكسة":**

وهم المماليك الذين اشتراهم السلطان "قلاوون"[283] وسموا بالجراكسة نسبة إلى موطنهم الأصلي الذي أتوا منه "جورجيا" أو بلاد الشركس. واتسم هذا العصر بالضعف والانحطاط، وكانت فترة حكمهم من سنة 784هـ حتى سنة 923هـ، وحكم خلال هذه الفترة ثمانية عشر سلطاناً[284].

---

[279] ينظر: حسن، مصر في العصور الوسطى. ص (228).

[280] المرجع نفسه.

[281] هو: نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب لقب بـ أبي الفتوح، مؤسس المماليك البحرية ولد في القاهرة سنة 603 هـ، وتوفي أثناء الحملة الصليبية السابعة واحتلالها دمياط سنة 647 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (187/23-193).

[282] ينظر: عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك. ص (214).

وقد عاش الإمام ابن عادل في ظل المماليك البحرية، وامتاز عصره بما امتاز به العصر المملوكي عامةً، مِن كثرة الخلافات السياسية والنزاع على السلطة، مما أدى إلى نشوب حروب داخلية[285] ولكن رغم الخلافات، إلا أنهم يتحدون أمام الخطر الخارجي، وقد أكسبهم هذا الاحترام مِنْ قِبَلِ المسلمين، خصوصًا أنهم استطاعوا وقف الزحف المغولي وانتصر عليهم سنة 658هـ، وطَرْدِهم الصليبين مِن الشام ومصر، وذلك في نهاية القرن السابع الهجري[286].

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

اتسمت الحالة الاجتماعية في عصر المماليك بالنشاط والحركة المستمرة، إلا أن سمتها لم تكن ذات طابع عام في المجتمع، فلقد عاش المماليك حياة ترف وثراء فاحش، مما كانت حياة الفلاحين والعوام أقرب إلى الفقر والحاجة والمعاناة، وأما التجار والعلماء، فقد تبوؤوا المرموق من المكان في المجتمع[287] وأما الطوائف الأخرى فقد كان للدولة اهتمام بالغ بهم، وكان لكل طائفة من أهل الذمة رئيس يعينه السلطان[288].

المطلب الثالث: الحالة العلمية والثقافية:

ازدهرت الحياة العلمية في عصر المماليك، رغم الخلافات التي سبقت ذكرها، وكان هناك اهتمام كبير بالعلماء وبِمَكان العِلْم، حيث أُنشئت العديد مِن المدارس، وكَثُرت حلقات العلم والمناظرات، والجمع والتأليف[289]، ويعود هذا الازدهار للأسباب التالية:

---

283 هو: المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي أحد أشهر سلاطين المماليك البحرية ورأس أسرة حكمت مصر والمشرق العربي مايزيد على قرن من الزمان. بويع له بالخلافة سنة 678 هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 689 هـ. ينظر: حداد، السلطان المنصور قلاوون. ص (9) (15-16).

284 ينظر: الأديب المصري، بدائع الزهور في وقائع الزهور (288/1)..

285 ينظر: حسن ، مصر في العصور الوسطى. ص (320).

286 ينظر: عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك. ص (229).

287 المرجع نفسه. ص (270).

288 ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (203/2).

289 ينظر: الأديب المصري، بدائع الزهور في وقائع الزهور (358/2).

Prince of Songkla University Pattani Campus

1- احتكار المماليك لجميع الوظائف السياسية والعسكرية، وتركهم للوظائف الدينية، حيث كانوا رجال سيف، مما دفع أهل البلاد الأصليين إلى الاهتمام بالعلم والتعلم والتعليم[290].

2- انتقال مراكز العلم مِنْ بغداد والكوفة والبصرة إلى مصر ودمشق وحلب وحماة بعد غزو المغول والتتار، مما له أثرٌ في تنشيط الحركة الفكرية في البلدان والإبداع دون الخروج على روح النص، ولعل تفسير الإمام ابن عادل يمثل أنموذجا لطبيعة العلم السائد آنذاك[291].

ولقد أنشئت في هذا العصر العديد مِن المدارس، فقد أنشئت ثلاث وستون مدرسة للمذهب الشافعي، واثنتان وخمسون مدرسة للمذهب الحنفي، وإحدى عشرة مدرسة للمذهب الحنبلي، وأربع مدارس للمذهب المالكي، ومِن أشهر هذه المدارس:

1- دار الحديث الظاهرية.

2- دار الحديث الأشرفية بسفح قاسيون.

3- دار الناصرية البرّانية والجوّانية.

4- دار القرآن الدلامية في الجسر الأبيض على نهر تورا.

5- الجامع الأموي الكبير.

ولا شك أن كثرة المدارس ودور التعليم دليلٌ صريحٌ على بروز العلم وازدهاره في ذلك العصر[292].

ومِن الطبيعي أن يَبرز علماء أجلاء بعد توفر هذا الجو المناسب للتعلم والتعليم، فقد برز علماء في مختلف الفنون، وسيقتصر الباحث على ذكر بعض العلماء الذين برعوا في عِلْم التفسير وعلوم القرآن:

1- بدر الدين الزركشي، المتوفى سنة 794هـ، صاحب البرهان في علوم القرآن.

---

[290] ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (44).

[291] المرجع نفسه. ص (45).

[292] ينظر: العلمي، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين. ص (91-93) (171-178).

Prince of Songkla University Pattani Campus

2- أبو حيان الأندلسي المتوفى سنة 745 هـ، صاحب تفسير البحر المحيط.

3- أحمد يوسف بن عبد الدايم المعروف بالسمين الحلبي[293] المتوفى سنة 756هـ صاحب تفسير الدر المصون. وغيرهم مِن العلماء[294].

المبحث الثاني: ترجمة الإمام ابن عادل الدمشقي

المطلب الأول: السيرة الشخصية للإمام ابن عادل الدمشقي:

اسمه ونسبه:

هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي، النُّعماني ، الدمشقي، أبو حفص الملقب بسراج الدين[295]. أما نسبته بالحنبلي فَنِسبةٌ إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، والدمشقي فَنِسبةٌ إلى موضعٍ في الشام، أما بالنسبة للنُّعماني، ففيه قولان:

أ- إنه نسبة إلى بلدة اسمها نُعمان:

وهي بلدة بوادٍ قريب مِن الفرات على أرض الشام، قريب مِن الرَّحْبة، والدليل على ذلك، جميع شيوخ ابن عادل مِن الشام، وما يقوى على أنه بلدة، ما ورد في آخر الجزء الأول مِن النسخة الموجودة في المكتبة الأحمدية بحلب: "جمعه وعلقه لنفسه عمر بن علي بن عادل النُعماني منشأً الحنبلي مذهباً[296]".

---

293 هو: أحمد بن يوسف بن عبد الدايم، شهاب الدين أبو العباس، رحل إلى مصر وبرع في علوم النحو والقراءات أخذ النحو عن أبي حيان، والقراءات على التقي الصائغ، وهو صاحب كتاب الدر المصون في الكتاب المكنون، توفي سنة 756 هـ. ينظر: السيوطي، طبقات المفسرين (100/1).

294 ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (47 وما بعدها).

295 ينظر: كحالة، معجم المؤلفين (568/2) ، الزركلي، الأعلام (58/5).

296 ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (57).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ب- وإما أن تكون منسوبة إلى شخص:

فيكون أحد أجداده، وما يقوي هذا القول ما ورد في النسخة الأحمدية في الصفحة الأخيرة مِن الجزء الأول (الورقة 297/آ) وعلى غلاف الجزء الثالث مِن نسخة تشستربتي (الورقة 1/ب) أنه" النِّعماني نسباً الحنبلي مذهباً[297]".

وأما مَنْ نَسب ابنَ عادل إلى الصحابي الجليل النعمان بن بشير[298] رضي الله عنه، فلا دليل على ذلك[299].

مولده ونشأته ووفاته:

لقد شحت المصادر في ترجمة ابن عادل، ولم يجد الباحث خلال اطلاعه في كتب التراجم حسبما اطلع مَن ترجم له وحدد تاريخ ولادته ووفاته والحديث عن سيرته، وقد ذكر صاحب طبقات المفسرين " أحمد الأدنروي" ابن عادل في فصل الأئمة الذين لا يوجد لهم تاريخ لوفاتهم ولا لمولدهم في الطبقات والتواريخ[300]. حتى إن المؤرخ الشيخ محمد راغب الطباخ[301] كتب عنه مقالة باسم (ترجمة مفقودة)[302].

ولكن مِن الممكن معرفة تاريخ تقريبي لمولده ووفاته مِن خلال استقراء شيوخه وتلامذته، ومعرفة تراجمهم. مِن خلال دراسة تراجم شيوخ ابن عادل؛ يتبين أنه ولد في أواخر القرن السابع، وعلى أوجه أقرب بعد سنة 675 هـ على الأقل، وبيان هذا في استعراض مولد ووفاة شيوخه:

---

297 المرجع نفسه.

298 هو: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري أبو عبد الله، خطيب وشاعر من أجلاء الصحابة، من أهل المدينة ورحل إلى الشام وتوفي في معرة النعمان سنة 62 هـ. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة (1065/1).

299 ينظر: المرجع السابق. ص (58).

300 ينظر: الأدنه وي، طبقات المفسرين. ص (418).

301 هو: محمد بن راغب بن محمود بن هاشم الطباخ، من أهل حلب ومن كبار فضلائها قرآ كثيرا على علماء حلب وحفظ المتون، درس في كلية الشريعة بحلب ثم اختير مديرا لها، وانتخب عضوا في مجمع العلمي العربي بدمشق، له مصنفات منها المطالب العلية في الدروس الدينية. ينظر: الزركلي، الأعلام (123/6).

302 ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (381/20).

Prince of Songkla University Pattani Campus

-شيخه محمد بن علي بن ساعد، ولد سنة 637 هـ وتوفي سنة 714 هـ في القاهرة.

-شيخته وزيرة بنت عمر بن المنجا، ولدت سنة 624 هـ، وتوفيت سنة 716 هـ في دمشق.

-شيخه أحمد بن أبي طالب المعروف بابن الشحنة الحجار توفي سنة 730 هـ.

فَمِن خلال عرض وفيات شيوخ ابن عادل يتبين أنه كان أهلاً لسماع الحديث في بداية القرن الثامن وعليه فتكون ولادته في آخر القرن السابع، وبما أن المسندة وزيرة توفيت في دمشق سنة 716 هـ، والحافظ ابن الشحنة توفي في دمشق سنة 730 هـ، فإن ذلك يدل على أن ابن عادل كانت نشأته ونشاطه العلمي في دمشق.

وأما ابن ساعد؛ فيرى الباحث أن ابن عادل سمع منه في دمشق؛ لأن ولادة ابن ساعد كانت في حلب كما سيأتي ووفاته في القاهرة، فيكون ابن عادل سَمِع معجم الطبراني الكبير مِنْ ابن ساعد أثناء طريق رحلته إلى القاهرة ومروره بدمشق، وهذا يعني أيضاً أن ابن ساعد مكث في دمشق مدة، مما يدل على بعد خروج ابن عادل مِن دمشق والله أعلم[303].

أما عن وفاته فالأغلب أنها بعد 780 هـ، وذلك لأن الحافظ الهيثمي[304] سَمِع منه بعض المرويات.

وأما ما جاء في بعض النسخ، أنه تم الفراغ مِن نسخها كان في سنة 860 هـ في تشستربتي، أو 876 هـ في الأحمدية، لا دلالة أنه توفي بعد 800 هـ، لأن هذه التواريخ للنسخ، والدليل على ذلك تعارض تواريخ انتهاء النسخ مع بعضها البعض[305].

---

[303] ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (59-60).

[304] هو: علي بن أبي بكر بن سليمان، نور الدين أبو الحسن الهيثمي القاهري الشافعي صهر الزين العراقي صحبه ولم يفارقه حتى مات، ولد سنة 735 هـ وتوفي سنة 807 هـ من آثاره مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. ينظر: الزركلي، الأعلام (266/4).

[305] ينظر: المرجع السابق. ص (61).

المطلب الثاني: السيرة العلمية للإمام ابن عادل الدمشقي:

لقد نشأ الإمام ابن عادل الدمشقي في بيئة علمية جعلت منه واحدًا مِن الأئمة الذين ساروا على المذهب الحنبلي، وواحدًا ممن خلد تفسيره حتى يومنا هذا، ولقد سبق للباحث ذكر أسماء شيوخه أثناء تحديد ولادة ووفاة الإمام ابن عادل الدمشقي، وسيعيد الباحث ذكرهم إتماما للفائدة، وهم:

1- محمد بن علي ساعد الحلبي[306].
2- وزيرة بنت عمر[307].
3- أحمد الحجار.

أما تلامذته فلم يصرح أحدٌ منهم بسماعه من الإمام ابن عادل الدمشقي حسب اطلاع الباحث على كتب التراجم سوى تلميذ واحد وهو الحافظ الهيثمي الذي سَمِع مِن ابن عادل جزءا مِن معجم الطبراني، فقال:"وأخبرني عبد القادر أيضا بقراءتي عليه من أول الجزء الثاني والثمانين. وأوله حدثنا أبو يزيد القراطيسي، فذكر النعمان بن بشير أن أباه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني نحلت ابني هذا غلاما....الحديث). وينتهي إلى تفسير حديث هند ابن أبي هالة."وأخبرني من هنا إلى باب اللام ألف أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الحنبلي بقراءتي أيضا[308]".

ومع عصر الازدهار وانتعاش حركة التأليف الذي عاش فيه الإمام ابن عادل الدمشقي، فقد ترك لمن بعده مؤلفين هامين وهما:

1- اللباب من علوم الكتاب. كتاب في التفسير وهو بصدد الباحث دراسته.
2- حاشية على المحرر في الفقه الحنبلي لابن تيمية.

---

306 ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (153/1-154).
307 ينظر: التقي الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (248/2).
308 ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (153/1).

ثناء العلماء عليه:

أثنى العلماء على ابن عادل مِن خلال ثنائهم على تفسيره، فالمحبي[309] صاحب (نفح الريحانة) يذكر أبياتًا في ترجمته لمفتي الشافعية في حلب، أبي الوفا: محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضي[310] ومدح فيها، منها:

له الباع في التفسير ضاهى ابن عادل وحيث روى الأخبار تدعوه يحصب[311]

أثر الإمام ابن عادل الدمشقي في عصره:

وبعد، فإن مع قلة المصادر المترجمة للإمام ابن عادل الدمشقي إلا أنه مع ما ورثه لمن بعده مِن كتبه المصنفة؛ يتبين للباحث أنه كان يحتل مكانًا مرموقًا في وقته، وأنه كان مِن المفسرين العظام وإن كان ناقلًا جامعًا كما سيأتي، وأنه كان بعيدًا عن الحياة السياسية، ولم يختلط بالملوك والحكام، وهذه الصورة المشرقة تبعث في النفوس اطمئنانها وفخرها واعتزازها لوجود أمثال هؤلاء العمالقة الذين لم يتوانوا لحظة في خدمة الدين والقرآن الكريم والسنة المطهرة وإفناء آجالهم ومرخصا لأعمارهم مِن أجل ذلك. رحمهم الله أجمعين.

المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام ابن عادل الدمشقي "اللباب في علوم الكتاب"

المطلب الأول: أسماء كتاب اللباب في علوم الكتاب:

اختلفت المصادر في شيءٍ مِن اسمه، ففي نسخة الأحمدية وآيا صوفيا والرباط وكوبريلي اسمه "اللباب مِن علوم الكتاب[312]"، وفي المصادر الحديثة التي ترجمت لابن عادل "اللباب في علوم

---

[309] هو: محمد أمين بن فضل الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر بن داود المحبي الحموي الأصل الدمشقي الحنفي، مؤرخ أديب وشاعر، لغوي مشارك في بعض العلوم ولد بدمشق 1061هـ وتوفي فيها سنة 1111 هـ. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين (78/9).

[310] هو: محمد بن عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود العريضي الحلبي أبو الوفاء الشافعي القادري المتوفى سنة 1071 هـ، اشتغل بالتاريخ والأدب، له كتب منها حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي. ينظر: الزركلي، الأعلام (317/6).

[311] المحبي، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة (215/2).

[312] ينظر: خرمندي، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، سورة الأنبياء والحج والمؤمنون، دارسة وتحقيق. ص (34).

Prince of Songkla University Pattani Campus

الكتاب[313]"، أما في طبقات المفسرين للأدنروي فقال: "اللباب مِن علم الكتاب[314]"، وأما محمد الطباخ فقال: "اللباب مِن علم الكتاب[315]".

المطلب الثاني: الجهود السابقة:

لقد تولى الباحثون الاهتمام بابن عادل ومنهجه في تفسيره، فغير ما ذكر الباحث في مقدمة البحث وهي رسالة ماجستير التي تقدم بها الطالب عبد الحي حسن موسى عبد المجيد إلى جامعة نابلس بفلسطين بعنوان: **"الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي المتوفى سنة 880 هـ ومنهجه في التفسير"، فقد تقدم أيضا** الباحث مناع القرني عام 1414هـ ببحث بعنوان " منهج ابن عادل في تفسيره اللباب في علوم الكتاب" بالإضافة إلى تحقيق سورة الفاتحة، وهي رسالة أعدت لنيل الدكتوراه، مِن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، ولعله مما يؤخذ على الباحث أنه لم يستطع تحديد مصادر التفسير، فجعل كل عالم ذكر اسمه في التفسير مِن مصادره، وأغفل عن ذكر الدر المصون الذي هو أحد مصادر ابن عادل في تفسيره[316].

وقام الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع[317] مِن قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بالرياض، بكتابة مقالة في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود[318]، دَرَس في هذا المقال شخصية ابن عادل وتفسيره اللباب، ولعله لم يستطع تحديد المصادر أيضًا التي نقل منها ابن عادل في تفسيره.

بالإضافة أنه أشار في آخر مقاله إلى دراسات في هذا التفسير، قدمت على شكل أطروحات جامعية لكلية اللغة العربية، ففي جامعة الأزهر بمصر، ذكر منها:

---

313 ينظر: كحالة، معجم المؤلفين (468/2) الزركلي، الأعلام (58/5).

314 ينظر: الأدنه وي، طبقات المفسرين. ص (418).

315 ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية- 1945 م. (318/20).

316 ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (182).

317 هو: محمد بن عبد الرحمن الشائع، باحث سعودي، له كتب منها أسباب اختلاف المفسرين، ونزول القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. المرجع نفسه.

318 ينظر: مجلة الإمام محمد بن سعود، العدد 17، الصادر في رجب 1417 هـ.

Prince of Songkla University Pattani Campus

1- دراسة أحمد الزين[319] ، علي العزاوي، بعنوان "اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن عادل الدمشقي من أول الاستعاذة إلى قوله ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾ دراسة وتحقيق.

2- دراسة إبراهيم السيد إبراهيم بدوي، بعنوان "دراسة وتحقيق المسائل النحوية واللغوية من كتاب اللباب" وذلك لنهاية سورة البقرة[320].

وهناك رسائل عديدة[321] مِن جامعة أم درمان – كلية أصول الدين، أعدت لنيل درجة الماجستير، في دراسة وتحقيق مِن كتاب تفسير ابن عادل اللباب مِن علوم الكتاب، يذكر الباحث منها:

1- أحمد محمد الفاضل، سورة البقرة من الآية (102) إلى الآية (152) –1999م.

2- محمد بسام الشوكي، سورة الفاتحة، وسورة البقرة إلى قوله تعالى: ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير1999–﴾م.

3- خديجة محمد المحمود، سورة الشورى إلى سورة الأحقاف–2000م.

4- محمد عمار أحمد الشوى، سورة الكهف إلى سورة طه–2004م.

5- إيمان وجيه بشار، سورة الأعراف من الآية (1) إلى الآية (103)–2005م.

6- محمد عدنان أفيوني، سورة النساء إلى قوله تعالى ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾– 2009م.

المطلب الثالث: طبعات الكتاب:

طُبع كتاب اللباب كاملًا، ونشرته دار الكتب العلمية، حيث قام بتحقيقه الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشاركهم في تحقيقه برسالته الجامعية كلٌ مِن الدكتور: محمد سعد رمضان حسن، والدكتور محمد المتولي الدسوقي حرب، وهذا الكتاب لم يَخْلُ مِنْ أخطاء، وقد حرر

---

319 أحمد الزين شاعر مصري كفيف، ولد سنة 1318 هـ، توفي سنة 1366 هـ، من مؤلفاته القطوف الدانية، قلائد الحكمة. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين. (228/1).

320 ينظر: مجلة الإمام محمد بن سعود، العدد 17، الصادر في رجب 1417 هـ.

321 لقد سبق للباحث الاطلاع على هذه الرسائل حينما كان طالبًا في جامعة دمشق سنة 2011 م، فقد سُمح له بالاطلاع على هذه الرسائل بكلية أصول الدين التابعة لجامعة أم درمان– فرع دمشق.

Prince of Songkla University Pattani Campus

محمد عدنان أفيوني هذه الأخطاء في رسالته لنيل درجة الماجستير- كلية أصول الدين بجامعة أم درمان، يذكر الباحث مِن هذه الأخطاء التي ذكرها:

أ- في المقدمة:

ذكر في التعريف بابن عادل في الصفحة (21)، أنه مِن أعلام القرن التاسع الهجري، نقلًا مِن كُتب الأعلام الحديثة، ولم يتكلفوا بعناء البحث لمعرفة عصره، وتوسعوا كثيرًا في ذكر عصر المماليك، مِن الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، بينما ذكروا ابن عادل مختصرًا.

ب- في التحقيق:

وقعوا في أخطاء علمية كثيرة، لا يمكن السكوت عنها، منها:

أخطاء في النقل مِن النسخ: فقد أسقط المحققون في الصفحة (8) جملةً مِن كلام الواحدي، غيرت المعنى وقلبته رأسًا على عقب، فعبارتهم: "قال الواحدي:[322] هذا معنى وليس بتفسير، وذلك أن الاستحياء مِن الناس هو نفس الاستخفاء، فليس الأمر كذلك". وهو كلام مضطرب، والعبارة كما في النسخ، بما فيها الظاهرية التي هي بمثابة النسخة الأم لهم: " قال الواحدي: هذا معنى وليس بتفسير، وذلك لأن الاستحياء مِن الناس يوجب الاستتار مِن الناس والاستخفاء، فأما أن يقال: الاستحياء هو نفس الاستخفاء، فليس الأمر كذلك". وبالمقارنة بين العبارتين نجد كيف قلب المعنى بسبب السقط[323] وغير ذلك مِن الأخطاء.

المبحث الرابع: منهج الإمام ابن عادل الدمشقي في تفسيره معالم اللباب في علوم الكتاب

بدأ الإمام ابن عادل في تفسيره اللباب أولًا بمقدمة، ولكن مقدمته لم تكن طويلة كما جاءت في بعض التفاسير الأخرى، وتفسيره عبارة عن جمع أقوال العلماء كم قال في مقدمته: "فهذا كتاب

---

[322] هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري، توفي سنة 468 هـ ، صنف في التفسير ، البسيط والوجيز والوسيط، وكتاب أسباب النزول، والمغازي. ينظر: الأدنه وي، طبقات المفسرين. ص (127).

[323] ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (183-189).

جمعته مِن أقوال العلماء في علوم القرآن وسميته....[324]". وقد رتب تفسيره كغيره مِن المفسرين المشهورين حسب ترتيب السور، فبدأ بسورة الفاتحة وانتهى بسورة الناس، وفي بداية السورة يذكر عدد آيات السور وهل السورة مكية أمْ مدنية، ويُحيل الآيات التي تم تفسيرها مسبقًا إلى مواضعها في تفسيره، مثل قوله تعالى: {ولقد خلقناكم ثم صورناكم...} [الأعراف:11] فعند كلمة السجود، ذكر أنه تكلم عنه في سورة البقرة[325]. ويقوم تفسيره في الشكل العام على بيان النازل القرآني، معتمدًا في ذلك أولًا على القرآن نفسه، وذلك مِن خلال استقصاء الآيات الواردة في ذات موضوع الآيات المراد تفسيرها؛ لأن ما جاء مُجملًا في مكانٍ جاء مفصلًا في مكانٍ آخر، وما ورد مختصرًا في موضع، ورد مبسوطًا في موضعٍ آخر، وما جاء مطلقًا في موضع جاء مقيدًا في مكانٍ ثانٍ، وهكذا، فإن لم يجد في القرآن نفسه، انتقل إلى المصدر الثاني، وهو تفسير القرآن بالسنة؛ لأن السنة جاءت مُفصلةً لآيات في كتاب الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين...﴾ [النحل:44]. فإن لم يجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينتقل إلى أقوال الصحابة والتابعين، وكلام العلماء، وسيأتي الأمثلة عند الحديث بمنهجه بالتفصيل أثناء المقارنة بينه وبين الإمام البغوي. ولم يتسم منهج الإمام ابن عادل بالاطراد، ولكن الأغلب أنه يبدأ بذكر المناسبة، ففي الآية {ألم ترى إلى الذين خرجوا....} [البقرة: 243] ففي (ألم تر) بين المناسبة أولًا، ثم بدأ بالإعراب، وأتى بالمعنى والمراد مِن الآية، ثم ختم بقراءة السلمي وبين قراءته تلك[326].

كذلك في قول الله تعالى: {ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة....} [آل عمران: 123] فقد بدأ ببيان مناسبة الآية بما قبلها[327] وغيرها كثير.

وأحيانًا لا يبدأ بذكر المناسبة، فقد يبدأ بالإعراب كما في قوله تعالى: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض....} [البقرة: 253][328].

---

[324] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب. (79/1).

[325] المصدر نفسه. (28/9).

[326] المصدر نفسه. (183/3).

[327] المصدر نفسه. (310/4).

[328] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (230/3).

وأحيانًا يبدأ بالقراءات كما في قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج....﴾ [البقرة: 240][329]، والإمام ابن عادل يعتمد في تفسيره على تفسير الرازي كثيرًا، والسمين الحلبي، وينقل عن القرطبي والبغوي.

المبحث الخامس: اللباب في علوم الكتاب في الميزان

المطلب الأول: مصادر الإمام ابن عادل الدمشقي في اللباب في علوم الكتاب:

يُمكن تمييز نوعين مِن المصادر التي اعتمد عليها الإمام ابن عادل في تفسيره؛ مصادر مباشرة، وغير مباشرة.

- المصادر المباشرة: وهي المصادر التي استقى منها الإمام ابن عادل بشكل مباشر، وهي:
  - في التفسير:

1- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي.

2- مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير، للإمام محمد بن عمر الرازي.

3- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي.

4- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف السمين الحلبي.

  - في الفقه:

1- المحرر في الفقه الحنبلي، للإمام عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية.

2- الفتاوى، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي[330] الشافعي.

- المصادر غير المباشرة: وهي التي نقل منها النصوص بواسطة المصادر المباشرة، وأحيانًا يُصرح الإمام ابن عادل بذكر اسم المصدر، وأحيانًا لا يذكره وهي كثيرة منها:
  - التفسير بالمأثور:

1- تفسير الحسن البصري.

2- جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

3- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعالبي.

---

[329] المصدر نفسه. (183/3).

[330] هو: يحيى بن شرف بن مرّي بن حسن بن حسين الحزامي، أبو زكريا النووي الدمشقي، ولد سنة 631 هـ بنوى وتوفي فيها سنة 676 هـ له مؤلفات كثيرة منها الروضة والأذكار، شرح الأربعين النووية، والمنهاج وغيرها. ينظر: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى (225/8).

Prince of Songkla University Pattani Campus

4- التفسير البسيط، والوجيز، والوسيط، لأبي الحسن، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري.

- التفسير بالرأي:

1- التفسير الكبير، لأبي بكر محمد بن أحمد القفال الشاشي[331].

2- الكشاف عن حقائق التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري.

3- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد بن عبد الحق ابن عطية.

- تفاسير المعتزلة:

1- تفاسير الجبائي، أبو علي، محمد بن عبد الوهاب[332].

2- تفسير الرماني، علي بن عيسى[333].

3- تفسير القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني[334].

- في المعاني والإعراب:

1- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الديلمي[335].

2- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي[336].

3- نظم القرآن لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري[337].

Prince of Songkla University Pattani Campus

---

[331] هو: محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير أبو بكر، ولد سنة 291 هـ وتوفي سنة 365 هـ، من مصنفاته أصول الفقه، ومحاسن الشريعة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (283/16).

[332] هو: محمد بن عبد الوهّاب بن سلام الجبائي، المعروف بأبي علي الجبائي. شيخ المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره، مؤسس فرقة الجبائية. ولد سنة 235 235 هـ في مدينة جُبّى في محافظة خوزستان، وتوفي في البصرة سنة 303 هـ. المصدر نفسه. (183/14-184).

[333] هو: أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني المعتزلي ولد سنة 296 هـ وتوفي سنة 384 هـ من تصانيفه شرح أصول السراج، وشرح سيبويه. المصدر نفسه. (533/16).

[334] هو: القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، ولد في أسد آباد سنة 359 هـ لقبه المعتزلة بقاضي القضاة. توفي سنة 415 415 هـ. المصدر نفسه. (244/17-245).

[335] هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي أبو زكريا، ولد سنة 144 هـ وتوفي سنة 207 هـ، المعروف بالفراء من مؤلفاته معاني القرآن واللغات والفاخر في الأنساب. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (119/10-120).

[336] هو: معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري أبو عبيدة ولد سنة 110 110هـ، وتوفي سنة 209 209 هـ من تصانيفه مجاز القرآن، إعراب القرآن. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (235/5).

[337] هو: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، ولد سنة 163 هـ وتوفي سنة 255 هـ سيد كتاب العربية وأئمة الأدب أصيب بالفالج آخر حياته. المصدر نفسه. (471/3).

- في النحو:

1- الكتاب لسيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان[338].

2- شرح موجز الرماني.

3- شرح التسهيل للسمين الحلبي.

وغيرها كثير مِن المصادر غير المباشرة التي أخذ منها عن طريق المصادر المباشرة[339].

المطلب الثاني: مميزات كتاب اللباب في علوم الكتاب:

ويمكن أن يُعْتبر تفسير اللباب مِن علوم الكتاب مِن التفاسير الموسوعية، شاملة لكل أنواع التفسير، المأثور والرأي، والفقهي، والإشاري، والموضوعي، وغيره.

ومِن أهم مزايا كتاب اللباب، جَمْعه آراء العلماء المتعددة، وذلك في مختلف العلوم، في المسائل النحوية وفي القراءات، والمسائل الفقهية، فهو يجمع جميع الأقوال في ذلك، سواء المشهورة أو غير المشهورة، بل والنادرة أيضا، ويدعم كل قول بشاهد مِن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأشعار، وغيرها.

وما يمتاز به أيضًا، دفاعه عن عقيدة أهل السنة في العقيدة والمسائل الكلامية، ويورد أقوال المخالفين والرد عليهم مِن الفرق الأخرى فيما سيتبين معنا في الحديث عن المقارنة في منهج الإمامين البغوي وابن عادل الدمشقي.

المطلب الثالث: المآخذ على كتاب اللباب في علوم الكتاب:

رغم المزايا التي ذُكِرت في تفسير اللباب للإمام ابن عادل الدمشقي، إلا أنه تطرق إليه الخلل، وأصابته بعض الهنات، ويمكن القول: المآخذ على تفسير الإمام ابن عادل كما في الآتي:

1- عدم اطراده في المنهج، فمرة يبدأ بالمناسبة، ومرة يبدأ بالقراءة، ومرة في الإعراب، ومرة في اللغة.

2- يعقد فصولًا في مواضيع متعدد متباينة، فمرة يعقد فصلًا في سبب النزول، ومرة فصلًا في حكم فقهي، ومرة في القراءات، ومرة في مسألة كلامية، وغيرها.

---

338 هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر الملقب سيبويه، ولد سنة 148 هـ وتوفي سنة 180 هـ إمام النحو حجة العرب. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء.

339 ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (175-181).

Prince of Songkla University Pattani Campus

3- أما في النقل؛ فقد ينقل كلاما طويلا مِن كتاب ولا يعزو هذا النقل إلى صاحبه، ومرة يذكر أنه نقل مِن كتاب غير أنه يتصرف بالنقل، ولكن لا يمكن الأخذ عليه؛ لأن في عصره كان العلم رِحماً بين أهله.

4- أما بالنسبة لروايات الأحاديث؛ فهو يذكر الأحاديث بدون سند، ويورد الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة أحيانا كما في فضائل السور. لكن لا يستطيع الباحث القول: بالأخذ عليه بحيث ينقص مِن قيمة تفسيره؛ فبالنسبة لحذف الأسانيد، فقد دونت الأحاديث في كتب الحديث، وأما بالنسبة للأحاديث الضعيفة، فهو يذكر أحيانا سندها تنبيها على ضعفها.

5- يذكر الإمام ابن عادل في تفسيره اللباب، أسماء الأئمة، ويسميهم بغير أسمائهم المعروفة، فالإمام الرازي، يسميه بابن الخطيب، والسمين الحلبي بشهاب الدين، والمبرد بأبي العباس. ولعل هذا يُعدّ مِن التدليس.

وعلى الرغم مِن المآخذ على اللباب في علوم الكتاب، إلا أنها لم تَحُط مِن قدر هذا الكتاب الذي يُعتبر مِن التراث الإسلامي الذي يعتز به المسلمون بتراث علمائهم، وسيبقى مصدرًا ومرجعًا هاما لطلاب العلم، وأهل القرآن والتفسير، لا يمكن الاستغناء عنه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

خلاصة الفصل الرابع

1- نشأ ابن عادل الدمشقي في عصر المماليك المزدهر بالحياة العلمية في عصر المماليك، رغم الخلافات ، وكان هناك اهتمام كبير بالعلماء وبمكان العلم، حيث أنشئت العديد مِن المدارس، وكثرت حلقات العلم والمناظرات، والجمع والتأليف.

2- كان ابن عادل الدمشقي حنبلي المذهب سني المعتقد يدافع عن أهل السنة والجماعة، وكان بعيدا عن السياسة والأمور الشاغلة عن العلم والتأليف.

3- اتسم تفسير اللباب في علوم الكتاب بالمنهج الذي جَمَع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، كما سيتضح في الفصل الخامس عند المقارنة بينه وبين الإمام البغوي في معالم التنزيل.

4- لتفسير ابن عادل الدمشقي (اللباب في علوم الكتاب) مصادر مباشرة ومصادر غير مباشرة، وأهمها في المصادر المباشرة؛ تفسير البغوي في المأثور، وتفسير الرازي والسمين الحلبي في الرأي.

5- نال كتاب اللباب في علوم الكتاب قبولًا لدى أهل العلم، وكَثُرت الدراسة في منهجه وتفسيره، ويظل تفسير ابن عادل الدمشقي (اللباب في علوم الكتاب) مَحَط أنظار طلبة العلم لا سيما في التفسير، وهو مِن المصادر الهامة يعودون إليها عند التفسير.

Prince of Songkla University Pattani Campus

الفصل الخامس

المقارنة بين المُفَسرَيْن في تفسيرهما (معالم التنزيل للبغوي واللباب في علم الكتاب لابن عادل الدمشقي)

وذلك في الموضوعات الآتية:

المبحث الأول: المقارنة بين المفسرين في مصادرهما ومدى تأثرهما بها.

المبحث الثاني: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي بين الإمامين.

المبحث الثالث: موقف المفسرَيْن مِن عِلْمَي اللغة والبلاغة وتعرضهما لهما في تفسيرهما.

المبحث الرابع: روايتهما للقراءات ودرجة احتجاجهما بها.

المبحث الخامس: المقارنة بين المفسرَيْن في تعرضهما للأحكام الفقهية.

المبحث السادس: موقف كل منهما مِن الإسرائيليات.

المبحث السابع: تعرضهما للأحاديث الموضوعة.

المبحث الثامن: عنايتهما بعلوم القرآن في تفسيرهما.

المبحث التاسع: موقف كل منهما مِن مسائل علم الكلام.

** ** **

Prince of Songkla University Pattani Campus

في هذا الفصل سوف يعقد الباحث إن شاء الله مقارنةً بين الإمامين في تفسيرهما في المباحث المذكورة أعلاه، وقد حَرص الباحث على أن يكون اختيار الآيات مِن مواضع مختلفة مِن سورة البقرة كما في حدود البحث عند النماذج التطبيقية، والاقتصار على مثالٍ أو مثالين لكل موضوع، والابتعاد عن الحشو والإطالة التي لا تتناسب مع هذه المرحلة مِن الدراسات العليا وهي (الماجستير).

وأحيانًا يضطر الباحث الخروج مِن إطار حدود سورة البقرة، من أجل الاستشهاد على موضوع معين لا يوجد ضِمن الحدود الموضوعة؛ لتعم الفائدة على أوسع نطاقها وتحقيقًا للشمولية.

وعلى الله توكلت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المبحث الأول: المقارنة بين المفسرَيْن في مصادرهما ومدى تأثرهما بها

بالنسبة للإمام البغوي فقد صرح في مقدمته مصادره في تفسيره؛ وأنه قد أخذ مَنْ سَبَقه مِن المفسرين بالمأثور عن طريق شيوخه. قال البغوي في مقدمة تفسيره (47/1): "وما نقلت فيه مِن التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حَبْر هذه الأمة، ومَن بعده مِن التابعين، وأئمة السلف مثل: مجاهد وعكرمة ..... وغيرهم، فأكثرها مما أخبرنيه الشيخ أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي الخوارزمي فيما قرأته عليه، عن الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه رحمهم الله". ثم شرع يورد طرق تلقيه عنهم.

كما تأثر الإمام البغوي في تفسيره بتفسير الثعلبي، حتى أن بعض العلماء عدّ تفسير معالم التنزيل اختصارًا لتفسير الثعلبي مع أفضلية تفسير معالم التنزيل مِن حيث صيانته عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة.

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فعُلِم سابقًا أن تفسيره قد تميز بنوعين مِن المصادر، وهي مصادر مباشرة وغير مباشرة (أي أخذها بواسطة المصادر المباشرة)، وهذه المصادر المباشرة هي:

1- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي.
2- مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير، للإمام محمد بن عمر الرازي.

3- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي.

4- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف السمين الحلبي.

المبحث الثاني: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي بين الإمامين

المطلب الأول: المقارنة بين منهج الإمامين في التفسير بالمأثور:

المسألة الأولى: كلام الإمامين في تفسير القرآن بالقرآن:

تميز تفسير الإمام البغوي (معالم التنزيل) في كثرة تفسير القرآن بالقرآن، وبما أن تفسير الإمام البغوي (معالم التنزيل) كان أحد مصادر التفسير لابن عادل الدمشقي في (اللباب في علوم الكتاب) فلا ريب كَثُر في (اللباب في علوم الكتاب) تفسير القرآن بالقرآن، إلا أن تفسير اللباب في علوم الكتاب يزيد على تفسير معالم التنزيل على مسألة تفسير القرآن بالقرآن مِن ناحية الاهتمام باللغة إفرادًا وتركيبًا.

أمثلة تطبيقية على منهج الإمامين في تفسير القرآن بالقرآن:

في قوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [البقرة: 3] تطرق الإمام البغوي إلى تفسير الفعل (يؤمنون) أنه بمعنى التصديق، واستدل بقوله تعالى: {وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا} [يوسف: 17] أي: بمصدق لنا[340].

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فقد نقل عن الإمام البغوي، أي: (يؤمنون) بمعنى التصديق؛ لقوله تعالى: {وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا} [يوسف: 17]. وزاد آية أخرى، وهي قوله تعالى: (فما آمن لموسى[341]).

وفي قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ....} [البقرة:79] بَيَّنَ الإمام البغوي في هذه الآية، أن الكفر أنواع، وذكر منها: كُفْر الجحود، وهو الإقرار بالقلب وإنكارٌ باللسان كَكُفْر اليهود لقوله تعالى: {... فَلَمَّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ} [البقرة: 89][342].

---

[340] ينظر: البغوي، تفسير البغوي (82/1).

[341] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (280/1).

ونقل الإمام ابن عادل عن أبي العباس المقرئ أن الكُفر جاء في القرآن على أربعة أضرب:

"الأول :الكُفْر بمعنى ستر التوحيد وتغطيته قال تعالى: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ..}.

الثاني :بمعنى الجُحُود قال تعالى: {فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ..}[البقرة: 89].

الثالث :بمعنى كفر النّعمة، قال تعالى : {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ..} [إبراهيم: 7] أي: بالنعمة، ومثله : {واشكروا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} [البقرة: 152] وقال تعالى : {أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُر}[النمل: 40].

الرابع :البراءة، قال تعالى : {إِنَّا بُرَءآؤاْ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله كَفَرْنَا بِكُمْ}[الممتحنة: 4] أي: تبرأنا منكم، وقوله:{ثُمَّ يَوْمَ القيامة يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ}[العنكبوت: 25][343].

المسألة الثانية: تفسير القرآن بالسُنة:

ثُمَّ ينتقل الإمامان البغوي وابن عادل الدمشقي في النوع الثاني مِن التفسير بالمأثور وهو تفسير القرآن بالسنة، وذلك إن لم يجد ما يفسر القرآن بالقرآن. والفارق بين الإمامين في ذِكْر السند، فالإمام البغوي عندما يورد حديثا يوردها بالسند المتصل، أما الإمام ابن عادل فيكتفي بالراوي ومتن الحديث كما يروي بصيغة التمريض بقوله (وروي).

ولا يُلام على صنيعة ابن عادل مِن حذف الأسانيد، لأنه كما تقرر مِن قَبْل؛ تدوين علوم السنة مِن دراسة الأسانيد والمتن وتراجم الرجال في مصنفات مستقلة يمكن الرجوع إليها والله أعلم.

أمثلة تطبيقية على منهج الإمامين في تفسير القرآن بالسُنة:

في قوله تعالى: {وَأُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً وَلَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ ....} [البقرة:25]: أورد الإمام البغوي حديثًا عن جابر بن عبد الله في اختلاف طعام الجنة عن طعام الدنيا إذ قال: " أَنَا أَبُو

---

342 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (86/1).

343 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (311/1).

حَامِدٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّالِحِيُّ، أَنَا أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الصَّيْرَفِيُّ، أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِالصَّفَّارُ، أَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى الْبَرْبِيُّ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ أَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((أَهْلُ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبْزُقُونَ ، يُلْهَمُونَ الْحَمْدَ والتسبيح كما يلهمون النَّفَسَ، طَعَامُهُمُ الْجُشَاءُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ[344])).

أما ابن عادل ففي قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَما فَوْقَها..} [البقر:26]، استدل بحديث أم سلمة ليثبت معنى الحياء في حق الله سبحانه وتعالى، فقال: " وقيل: معنى لا يستحيي، لا يمتنع، وأصْلُ الاستحياء الانقباضُ عن الشَّيء، والامتناعُ منه؛ خوفاً من مُواقعة القبيح، وهذا محالٌ على الله تعالى، وفي صحيح مسلم عن أم سلمة قالت :جاءت أم سليم إلى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا رسولَ الله إنَّ اللهَ لا يَسْتَحي من الحَقِّ...الحديث. المعنى لا يأمر بالحَيَاء فيه، ولا يمتنع من ذكره....345".

وفي قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ....} [البقرة: 143] ذكر الإمام البغوي أن مقصود الآية هي أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم سوف يكونوا شهداء على الناس جميعًا مِن الأمم الماضية يوم القيامة ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم شهيدًا على أُمته. واستشهد على قوله بحديثين، هما:

– الحديث الأول: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ أَنَا أَبُو مَعْشَرٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ، أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى، أَنَا أَبُو الصَّلْتِ أَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ أَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد العصر،

---

344 إسناده صحيح على شرط مسلم، سفيان هو ابن سعيد، والأعمش هو سليمان بن مهران، وأبو سفيان هو طلحة بن نافع الواسطي، وهو في «شرح السنة» (4271) بهذا الإسناد. ينظر: البغوي، معالم التنزيل (95/1).

345 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (460/1).

Prince of Songkla University Pattani Campus

فما ترك شيئا إلى يوم القيامة إلا ذكره في مقامه ذلك، حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحيطان ، قال: "إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا، ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة هي آخرها وأخيرها وأكرمها على الله[346]".

-الحديث الثاني: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّعِيمِيُّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ أخبرنا محمد بن إسماعيل البخاري، أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا أبو أسامة حدثنا الْأَعْمَشُ: أَخْبَرَنَا أَبُو صَالِحٍ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فيسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقال: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا[347]".

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فقد نقل عن الإمام البغوي إذ روى أن الأمم يجحدون تبليغ الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فيطالب الله – تعالى – الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمة محمد – صلى الله عليه وسلم – فيشهدون فتقول الأمم: من أين عرفتم فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد – عليه الصلاة والسلام – فيسأل عن حال أمته، فيزكيهم ويشهد بعدالتهم، وذلك قوله: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء: 41][348].

---

[346] ينظر: البغوي، معالم التنزيل (1/174-175).

[347] المصدر نفسه. (1/175-176).

[348] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (3/17).

المسألة الثالثة: كلام الإمامين في تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

كِلَا الإمامين كانا ينقلان عن الصحابة بدون ذكر السند. أما الإمام البغوي فلأنه قد نقل في مقدمته طرق تلقيه مِن الصحابة عن طريق شيخه، بخلاف الإمام ابن عادل الدمشقي فمنهجه هو نقل الأقوال دون ذكر الأسانيد. وكما أن الإمام البغوي يرجح الأقوال التي ينقلها مِن أقوال الصحابة ويعلل في ترجيحه. أما الإمام ابن عادل الدمشقي فهو ينقل أقوال الصحابة دون ترجيح قول على قول، وأحياناً يرجح الأقوال.

أمثلة تطبيقية على منهج الإمامين في تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

في قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ ...} [البقرة: 255]

أورد الإمام البغوي نقلا عن أبي هريرة في حقيقة الكرسي (وسع كرسيه السماوات والأرض) وإنه موضوع أمام العرش، وسعته مثل سعة السماوات والأرض[349].

أما الإمام ابن عادل فقد أورد نقلين عن الصحابة:

1-عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: (يعلم ما بين أيديهم): من السماء إلى الأرض. (وما خلفهم): ما في السماوات[350].

2-عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: (وسع كرسيه) إن الكرسي موضوع أمام العرش وسعته مثل سعة السماوات والأرض[351].

---

[349] ينظر: البغوي، معالم التنزيل (347/1).

[350] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (320/4).

[351] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (322/4-323).

في قوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا} [الأعراف:204] ذكر الإمام البغوي أقوال السلف في المراد من الإنصات. فنقل عن أبي هريرة أن المراد في القراءة هي القراءة في الصَّلاة، وهو قول النخعي والحسن والزهري[352].

وعن سعيد بن جبير وعطاء: إِنَّ الآية في الخُطبةِ، أُمِرُوا بالإنصات لِخُطبة الإمام يوم الجمعة[353].

وعن عمر بن عبد العزيز، هو الإنصات لقول كل واعظ[354]".

ثم رجح القول الأَوَّلَ، وأَنَّ المراد بالآية الإنصات للقراءة هي القراءة في الصَّلاة، والدَّليل على ذلك أَنَّ هذه الآية مكِيَّة، وخطبة الجمعة والفطر والأضحى شُرِعَتْ في الْمَدينة، فلا يمكن أن يكون المراد مِن الآية الإنصات لخطبة الجمعة والعيدين[355].

وينقل الإمام ابن عادل الدمشقي عن الإمام البغوي، مِن أن الانصات جاءت في القراءة في الصلاة، وجاءت في الخطبة وصلاة العيدين، كما جاءت الإنصات في كل قارئ وواعظ[356]. لكن الإمام ابن عادل الدمشقي لم يرجح أحد هذه الأقوال كما رجح الإمام البغوي.

المسألة الرابعة: كلام الإمامين في تفسير القرآن بأقوال التابعين:

مر في السابق أن هناك خلاف في موضوع أقوال التابعين هل يندرج في التفسير بالمأثور أم في التفسير بالرأي، إلا أن المعمول لدى أكثر العلماء المفسرين هو إدراجه تحت التفسير بالمأثور كما صنع ابن جرير الطبري في تفسيره.

---

352 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (3/318-319).

353 المصدر نفسه.

354 المصدر نفسه.

355 المصدر نفسه.

356 ينظر: المصدر السابق. (9/439-440).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وكان الإمام البغوي أكثر نقلًا لأقوال التابعين مِن الإمام ابن عادل، ويدعم رأيه الذي يرجحه برواية مسندة، بخلاف الإمام ابن عادل الدمشقي، فقد كان أغلب عمله النقل دون التعليق أو الترجيح، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الآية تحتمل جميع تلك الأقوال وإنها أقوال ليست متضادة والله أعلم.

أمثلة تطبيقية على منهج الإمامين في تفسير القرآن بأقوال التابعين:

في قوله تعالى: {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ... } [آل عمران: 92]. أورد الإمام البغوي عددًا مِن أقوال التابعين في قوله تعالى: (لن تنالوا البر):

-فَعَن مجاهد بأن البر هو: الجنة.

-وعن مقاتل بن حيان: البر هو التقوى.

-وقال الحسن: لن تكونوا أبرارا.

وكأن الإمام البغوي يُرجح القول الأول وهو أن البر بمعنى الجنة، وأورد شاهدًا على ترجيحه. أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن حماد الأبيوردي قال: أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عليْكُم بالصِّدْقِ، فإنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وما يَزالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وإيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وما يَزالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الكَذِبَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذّابًا[357])).

وفي قوله تعالى: (حتى تنفقوا مما تحبون): ثلاثة أقوال عن التابعين:

-قال مجاهد والكلبي: نسختها آية الزكاة.

-وعن الحسن: كل إنفاق يبتغى به وجه الله.

---

357 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (468/1).

-وعن عطاء: لن تنالوا البر، أي: شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاء أشحاء.

ولعل الإمام البغوي يرجح معنى الآية: الإنفاق بأنفس وأحب الأموال، ولذلك استشهد بعددٍ مِن الأحاديث في ذلك، منها:

-أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي، أنا أبو مصعب عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول: ان أبو طلحة الأنصاري أكثر أنصاري بالمدينة مالا وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: إنَ أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةً المسجد، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلّم يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ شِئْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((بَخٍ بَخٍ، ذَلِكَ مال رابح ذَلِكَ مَالُ رَابِحٍ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ))، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ ....[358]".

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فقد أورد نقلين عن التابعين في قوله (لن تنالوا البر) ولم يرجح أحد القولين:

-عن مجاهد بأنه الجنة. والمعنى: لن تنالوا ثواب البر.

-عن مقاتل بن حيان: البر: هو التقوى[359].

---

[358] المصدر نفسه. (1/468-469).

[359] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (5/386-387).

المطلب الثاني: منهج الإمامين في التفسير بالرأي:

سبق للباحث أن بين أقسام التفسير بالرأي، وأنه ينقسم إلى قسمين، محمود وهو ما توافر فيه شروطه وضوابطه، والمذموم بخلاف ذلك، وأيضا أن التفسير بالمأثور إذا وُجد فوجب تقديمه على التفسير بالرأي.

والمقارنة هنا سيكون في الموضوعات الآتية:

-تعرض الإمامين لأصول الفقه

-تعرض الإمامين للآيات الكونية

-تعرض الإمامين للتفسير الموضوعي

وهناك مواضيع مندرجة تحت التفسير بالرأي إلا أن الباحث سيفرد له مبحثا خاصًا سيأتي في محله لاحقا إن شاء الله.

المسألة الأولى: تعرض الإمامين لأصول الفقه:

تمهيد: تعريف أصول الفقه:

يعتبر مصطلح أصول الفقه مِن التركيبات الإضافية، فَشِقه الأول (أصول) جمع أصل؛ وأصل الشيء ما يُبنى عليه غيره، كأصل الشجرة، وكأصل الجدار أي أساسه[360].

والشِق الثاني (الفقه) وهو لغة: الفهم. واصطلاحا: معرفة الأحكام الشرعية عن طريق الاجتهاد[361].

وتعريف أصول الفقه باعتباره عِلْمًا: "طرق الفقه على سبيل الإجمال كمطلق الأمر والنهي وفعل النبي صلى الله عليه وسلم وكيفية الاستدلال بها[362]".

---

[360] ينظر: جلال الدين المحلي،شرح الورقات. ص (82).

[361] ينظر: جلال الدين المحلي، شرح الورقات. ص (84).

[362] المصدر نفسه. ص (103-104).

Prince of Songkla University Pattani Campus

كلام الإمامين في الاهتمام بمسائل أصول الفقه:

أولى الإمامان البغوي وابن عادل الدمشقي عناية بالمسائل الأصولية، والفرق بينهما أن الإمام البغوي لا يستطرد في التعليق على المسائل الأصولية يكتفي بذكرها مجملًا، بعكس الإمام ابن عادل فإنه يسهب في الحديث عند المسائل الأصولية ويعلق ويرجح ما يراه صوابًا.

أمثلة تطبيقية في تعرض الإمامين لمسائل أصول الفقه

في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ....} [البقرة:21]:

قال الإمام البغوي: "قال ابن عباس يا أَيُّهَا النَّاسُ خطاب لأهل [1] مَكَّةَ، وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خطاب لأهل الْمَدِينَةِ، وَهُوَ هَاهُنَا عَامٌّ إِلَّا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُهُ الصِّغَارُ وَالْمَجَانِينُ....[363]".

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فإنه بعد أن نقل عن الإمام البغوي، أورد مسألة: (كان الخطاب يتناول جميع الناس في ذلك العصر، فهل يدخل الخطاب لمن جاء بعدهم أم لا؟)

فقال: "والأقرب أنه لا يتناولهم؛ لأن قوله: (يَاأَيُّهَا الناس) خطاب مُشَافهة، وخطاب المشَافهة مع المعدوم لا يجوز، وأيضاً فالذين سيوجدون ما كانوا موجودين في تلك الحالة، وما لا يكون موجوداً لا يكون إنساناً، فلا يدخل تحت قوله: (يَاأَيُّهَا الناس).

فإن قيل :فوجب أن يتناول أحداً من الَّذين وجدوا بعد ذلك الزمان، وإنه باطل قطعاً.

قلنا :لو لم يجد دليل منفصل لكان الأمر كذلك، إلاَّ أنا عرفنا بالتَّواتر مِن دين محمد أن تلك الخطابات ثابتة في حَقِّ مَن سيوجد بعد ذلك إلى قيام السَّاعة؛ فلهذه الدلالة المنفصلة أوجبنا العموم....[364] ".

---

363 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (92/1).

364 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (409/1).

وفي قوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ....} [الإسراء: 33].

تناول الإمام ابن عادل الدمشقي مسألة أصولية وهي: تخصيص خبر الآحاد لعموم القرآن، ولعله أجازه إن احتمل معنى قوله تعالى: (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل) بيان لذلك (الحق)، كانت الآية صريحة في أنه لا يحل القتل إلا بهذا السبب الواحد، وحينئذ يكون الخبر الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة[365])) مخصصا للآية. ويكون دليلا على صحة تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد[366].

المسألة الثانية: تعرض الإمامين للآيات الكونية:

تمهيد: تعريف الآيات الكونية:

لقد سبق ذكر تعريف التفسير الكوني أثناء الحديث عن أنواع التفسير بالرأي، والباحث هنا سيتوسع قليلا في تعريف الآيات الكونية مِن حيث أصل الكلمة واشتقاقها ودلالتها، فيقول:

تعريف الكون في اللغة: الكاف والواو والنون أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء، إما في زمان ماض، أو زمان حاضر، يقال: كان الشيء يكون كونا إذا وقع وحضر[367].

والكَوْن: الحدَث وقد كان كوَنا وكينونة، والكائنة الحادثة، والتكون التحرك، تقول العرب لمن تشنؤه: لا كان ولا تكون. لا كان: لا خُلق، ولا تكون: لا تحرك، أي مات، والكائنة: الأمر الحادث،

---

365 متفق عليه. ينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب: القسامة، باب: ما يباح به دم المسلم، حديث رقم (3277).

366 ينظر: المصدر السابق. (272/12).

367 ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (148/5) ابن منظور، لسان العرب (3959/5-3963) الأزهري، تهذيب اللغة (10-375-376).

وكونه فتكون: أحدثه فحدث، وكون الشيء: أحدثه. والله مكوِن الأشياء يخرجها من العدم إلى الوجود، والكَوْن: واحد الأكْوان[368].

ويستعمل مصطلح الكون في الفيزياء، وفي الفلك ليشير إلى كل شيء موجود، مِن أصغر الذرات إلى أكثر الأجرام الفلكية بُعدًا[369].

والمراد بالآيات الكونية؛ الآيات التي تتطرق لموضوع الخلق الذي كونه الله تعالى فكان، والسماوات والأرض وما بينهما مِن سائر المخلوقات بجميع كلياتها، وذواتها، وصفاتها، وأحوالها. إضافة إلى الحديث وشرح كيفية حدوث ذلك والسر العجيب مِن وراء ظاهر الآية والذي يسمى بالتفسير العلمي[370].

والغرض مِن الآيات الكونية من أجل أن يتم الاستدلال بها على وجود الإله، وأنه خالقها وهو الرب المعبود وحده، تجلت حكمته وقدرته في الإيجاد والإنشاء[371].

كلام الإمامين في الآيات الكونية:

اتفق الإمامان في منهجهما في تفسير الآيات الكونية على بيان الآيات في دعوتهما إلى الإيمان بالله وحده والإيمان باليوم الآخر وأن هناك حشر وبعث وحساب وجزاء، وغيرها مِن معالم الإيمان وأركانه.

لكن الفرق بين الإمامين البغوي وابن عادل جليٌ وواضحٌ في بيان المراد مِن الآية، فالإمام البغوي لا يدخل في تفاصيل المعنى المراد، وسبر أغوار أسرار الكون واستنباط خفي معانيه مما اكتشف العلماء

---

368 المصادر نفسها.

369 ينظر: مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية (285/20).

370 ينظر: شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين. ص (675). عبدا الحسين، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني. ص (335-336).

371() ينظر: ابن تيمية، النبوات (777/2).

Prince of Songkla University Pattani Campus

حقيقته في العصر الحديث، بخلاف الإمام ابن عادل الدمشقي فأخذ يشرح ويسهب في الدلائل الكونية وأسباب وطريقة حدوثها قد يوافق مما اكتشف عليه علماء الفيزياء والفلك في العصر الحديث.

أمثلة تطبيقية على منهج الإمامين في تفسير الآيات الكونية

في قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ....} [البقرة: 164]

اكتفى الإمام البغوي في قوله تعالى: (واختلاف الليل والنهار): ببيان معنى الاختلاف:

-فالمعنى الأول: الاختلاف بمعنى التعاقب، وهو المقصود من قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ....}[الفرقان: 62] .

-والمعنى الثاني: الاختلاف في النور والظلمة وفي الزيادة والنقصان[372].

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فقد أورد ثلاثة أقوال في قوله: (واختلاف الليل والنهار):

-المعنى الأول: قال مثل ما قاله الإمام البغوي بمعنى: التعاقب كما يُفهم مِن الآية السابقة (الليل والنهار خلفة) وزاد على استشهاده بأبياتٍ مِن الشعر:

بها العين والأرآم يمشين خلفة ... أطلاؤها ينهضن من كل مجثم

ولها بالماطرون إذا ... أكل النمل الذي صنعا

خلفة حتى إذا ارتبعت ... سكنت من جلق بيعا[373]

-المعنى الثاني: هو كما أورده الإمام البغوي بمعنى الاختلاف في النور والظلمة والزيادة والنقصان[374].

---

[372] ينظر: البغوي، معالم التنزيل (195/1).

[373] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (118/3-119).

[374] المصدر نفسه.

-والمعنى الثالث وقد نسبه للإمام الرازي أن الاختلاف في الليل والنهار والنور والظلمة بسبب اختلاف الأماكن والأزمنة مِن فصل الصيف وفصل الشتاء، إذ يطول النهار في الصيف ويقصر في الشتاء، ويطول الليل في الشتاء ويقصر في النهار، .... الكونية وتصويره من دخول الناس في أول الليل كالنفخة الأولى....[375]".

المسألة الثالثة: تعرض الإمامين للتفسير الموضوعي:

تمهيد: تعريف التفسير الموضوعي:

يتألف مصطلح (التفسير الموضوعي) مِن جزأين رُكبا تركيباً وَصْفياً، وسيعرف الباحث الجزءين ابتداء ثم يعرف المصطلح المركب منهما.

فالجزء الأول وهو التفسير، وقد تم الحديث عليه مفصلا في الباب التمهيد، ويعيد الباحث تعريفه لغةً واصلاحًا بشكل موجز.

التفسير لغة: الكشف والإبانة.

أما اصطلاحا: الكشف عن معاني القرآن الكريم.

الجزء الثاني، **فالموضوع لغة:** مِن الوضع؛ وهو جعل الشيء في مكانٍ ما، سواء أكان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، تقول العرب: ناقة واضعة: إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي؛ لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ مِن تفسير الموضوع الذي أراده[376].

---

[375] المصدر نفسه.

[376] ينظر: الجوهري، الصحاح في اللغة (299/3). مادة (وضع).

Prince of Songkla University Pattani Campus

والموضوع اصلاحًا: قضية، أو أمر تعلق بجانب من جوانب الحياة سواء كانت في العقيدة أو سلوكا اجتماعيا، أو مظاهر للآيات الكونية[377].

تعريف التفسير الموضوعي كونه اصطلاحا علميا: "عِلْمٌ يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية مِن خلال سورة أو أكثر[378]".

نشأة التفسير الموضوعي

لعل ظهور علم التفسير الموضوعي بشكل مستقل بحيث أُفْرد له العلماء تأليفات خاصة به في القرن الرابع عشر الهجري، عندما قُرِّرت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، إلا أن لبنات هذا اللون مِن التفسير كانت موجودة منذ عهد النبوة وما بعده، ويمكن رؤية ذلك في حين يكون تفسير الآية بآية أخرى، أي تفسير القرآن بالقرآن، فهو أساس التفسير الموضوعي وأعلى ثمراته، فجميع الآيات التي تناولت قضية واحدة والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها كان أبرز ألوان التفسير التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه عليها، فقد روى البخاري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فسر مفاتح الغيب في قوله تعالى: { وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو...} [الأنعام: 59] فقال عليه الصلاة والسلام، مفاتح الغيب خمسة، في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ....} [لقمان: 34]. ومِن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة –رضوان الله عليهم– مِن الجمع بين الآيات القرآنية التي يُظنُّ بينها تعارضٌ. وقد وضع العلماء بعده قاعدة في أصول التفسير تقتضي بأن أول ما يرجع إليه المفسر هو القرآن الكريم، إذ ما أجمل في مكان قد فصل في آخر، وما

---

377 ينظر: مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي. ص (16).

378 المرجع نفسه.

أطلق في آية إلا قد قيد في أخرى، وما ورد عاماً في سورة، جاء ما يخصصه في سورة أخرى، وهذا اللون من التفسير هو أعلى مراتب التفسير وأصدقها إذ لا أحد أعلم بكلام الله مِن الله[379].

ألوان التفسير الموضوعي

يقصد الباحث طريقة العلماء في تناول التفسير الموضوعي، فهناك ألوانًا مختلفة منها:

اللون الأول: أن يتتبع الباحث لفظة مِن كلمات القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها مِن مادتها اللغوية. وبعد جَمْع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة مِن خلال استعمال القرآن الكريم لها. وقد أصبح كثيرٌ مِن الكلمات القرآنية مصطلحات قرآنية كـ(الأمة، والجهاد، والذين في قلوبهم مرض، والخلافة..)، وهذا اللون كما ترى قد اهتمت به كتب الأشباه والنظائر إلا أنها بقيت في دائرة الكلمة في موضوعها، ولكن يحاول مؤلفوها أن يربطوا بينها في مختلف السور، مما أبقى تفسيرهم للكلمة في دائرة الدلالة اللفظية. أما المعاصرون فقد تتبعوا الكلمة وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواطن، وأظهروا بذلك لوناً مِن البلاغة والإعجاز القرآني، وقد كان مِن نتائجها استنباط دلالات قرآنية بالغة الدقة، لم يكن بمقدورهم العثور عليها لولا انتهاجهم هذا السبيل، وممن اعتنى بهذا اللون من المعاصرين الدكتور أحمد حسن فرحات في سلسلة سماها (بحث قرآني وضرب من التفسير الموضوعي) أصدر منها كتاب (الذين في قلوبهم مرض)، و(فطرة الله التي فطر الناس عليها)، و(الأمة في دلالاتها العربية والقرآنية) وغيرها[380].

---

[379] ينظر: مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي. ص (17-18).

[380] ينظر: مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي. ص (23-24).

اللون الثاني: تحديد موضوع ما، يلحظ الباحث تعرض القرآن المجيد له بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق، أو تطرأ مشكلة أو تطرح قضية فيراد بحثها مِن وجهة نظر قرآنية[381].

اللون الثالث: هو أن يذكر الهدف الرئيسي، أو أهداف رئيسية في السورة الواحدة، مِن خلال دراسة أسباب النزول، أو الآيات التي عرضت الموضوع الرئيسي للسورة، ثم ينظر إلى ترتيب نزول السورة، مكية أم مدنية، ثم يتناول شرح عرض الموضوع والمناسبات بين مقاطع الآيات في السورة، وهو ما يسمى بعلم المناسبة وسوف يخصص له الباحث مبحثا مستقلا لاحقا إن شاء الله[382].

أهمية التفسير الموضوع

ويُمكن إجمال أهمية التفسير الموضوعي في الأمور الآتية:

الأول: إبراز وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم ، فكلما جَدّت على الساحة أفكار جديدة مِن مُعطيات التقدم الفكري والحضاري – وجدها المفسر جلية في آيات القرآن لا لبس فيها ولا غموض بعد تتبع مواطن ذكرها في القرآن، فيسجل عندها سبق القرآن إليها، ويدلل بذلك على كونه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خلفه، وأنه الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه[383].

الثاني: التأكيد على أهمية تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أعلى وأجل أنواع التفسير، إذ قد يوجد مَن لا يلجأ إلى القرآن عند إرادة إيضاحه وتفسيره لقصور فيه أو تقصير منه، وبالتفسير الموضوعي ندرك أهمية هذا اللون مِن التفسير فتزداد عنايتنا به، وتتعاضد جهودنا لبيانه[384].

الثالث: إن تجدد حاجة البشرية، وبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين

---

381 المرجع نفسه. ص (27).

382 المرجع نفسه. ص (28).

383 ينظر: مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي. ص (30).

384 المرجع نفسه. ص (31).

Prince of Songkla University Pattani Campus

للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ولا رؤية الحلول لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. إذ عندما نجابه بنظرة جديدة أو علم مستحدث فإننا لا نقدر على تحديد الموقف مِن هذا العلم وتلك النظرية وحل المشاكل القائمة، وبيان بطلان مذهب إلا عن طريق تتبع آيات القرآن[385].

الرابع: إثراء المعلومات حول قضية معينة. غالباً ما يُطرح موضوع أو قضية أو فكرة أو مشكلة للبحث ويبقى أيٌّ مِن ذلك محتاجاً إلى إشباع البحث ومزيدًا مِن الدراسة، ويتم تحقيق ذلك مِن خلال التفسير الموضوعي بحيث تتبين لذوي الشأن أدلة جديدة، ورؤى مستفيضة، وتفتيق لشيء مِن أبعاد القضية المطروحة[386].

كلام الإمامين في التفسير الموضوعي

كلا الإمامين اهتما بقضية التفسير الموضوعي، وكما جاء في السابق أن لبنات التفسير الموضوعي هو تفسير القرآن بالقرآن، فمن الطبيعي أن يتعرض الإمام البغوي للتفسير الموضوعي من هذه الناحية.

ومِن ناحيةٍ أخرى كان الإمام ابن عادل الدمشقي أكثر وأدق مِن الإمام البغوي في تناول التفسير الموضوعي مِن حيث المفهوم المعاصر.

أمثلة تطبيقية على منهج الإمامين في التفسير الموضوعي:

في قوله تعالى: {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة:2]

أولا: في قوله تعالى: (الكتاب):

---

[385] المرجع نفسه. ص (31-32).

[386] المرجع نفسه. ص (32-33).

ذكر الإمام البغوي بأن الكتاب هو القرآن[387].

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فقد ذكر أيضًا أن المقصود مِن الكتاب هنا هو القرآن، غير أنه أضاف جميع أسماء القرآن التي وردت في مواضع أخرى مِن القرآن الكريم، فقد ذكر أن للقرآن تسع أسماء وهي: الكتاب، والقرآن، والفرقان، الذكر والذكرى والتذكرة، التنزيل، والحديث، الموعظة، الحكم والحكمة والحكيم والمحكم، وتاسعها الشفاء[388].

ثم أورد أسماء أخرى غير التسعة أوردها بصيغة وذكروا. وهذه الأسماء هي: الصراط المستقيم، والعصمة، والرحمة، والروح، والقصص، والبيان، والتبيان، والمبين، والبصائر، والفصل، والنجوم، والمثاني، والنعمة، والبرهان، والبشير، والنذير، والقيم، والمهيمن....[389].

ثانيا: في قوله تعالى: (هدى):

ذهب الإمام البغوي إلى أن الهدى من الرشد والبيان[390].

والإمام ابن عادل الدمشقي أورد جميع معاني التقوى التي ذكرت في القرآن الكريم. فلفظ التقوى في القرآن جاء على ثلاثة عشر أوجه وهي: البيان، الهدى، المعرفة، الرسول، الرشد، القرآن، بعثة النبي، شرح الصدور، التوراة، الجنة، حج البيت، الإصلاح، وآخرها التوبة[391].

ثالثا: في قوله تعالى: (المتقين):

---

387 ينظر: البغوي، معالم التنزيل. (81/1).

388 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (264/1).

389 المصدر نفسه.

390 ينظر: المصدر السابق.

391 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (273/1-274).

Prince of Songkla University Pattani Campus

يرى الإمام البغوي أن التقوى بمعنى الاتقاء وهو الحاجز وشاهده من الحديث: ((كنا إذا احمر البأس نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم ....[392])) كما أورد معاني الاتقاء من أقوال السلف رضوان الله عليهم. فقال: "قال عمر بن الخطاب: التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد"، وعن عمر بن العزيز "أن التقوى الابتعاد عن المحرمات وفعل الواجب"، ومن معاني الاتقاء: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم[393].

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فقد ذكر كما ذكره الإمام البغوي من لفظ التقوى واشتقاقه ومعناه مِن أقوال السلف، إلا أنه أضاف معانٍ أخرى تنبي عنه التقوى: فالتقوى غرضها الحقيقي الإيمان، ومنه قوله تعالى: {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ....} [الفتح:26] أي التوحيد،....[394].

وتارة بمعنى التوبة، ومنه قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا....} [الأعراف:96][395].

وأخرى بمعنى ترك المعصية، ومنه قوله تعالى: {وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ....} [البقرة:189] أي اتقوا الله بعدم عصيانه[396].

ومنها التقوى بمعنى الإخلاص، لقوله تعالى: {فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج:32][397].

---

392 الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، ينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة حنين، رقم الحديث (3431).

393 ينظر: البغوي، معالم التنزيل. (81-82).

394 ينظر: المصدر السابق.

395 ينظر: المصدر السابق.

396 ينظر: المصدر السابق.

397 المصدر السابق.

Prince of Songkla University Pattani Campus

المبحث الثالث: موقف المفسرَيْن من علمي اللغة والبلاغة وتعرضهما لهما في تفسيريهما

سبق فيما مضى بيان أهمية اللغة والبلاغة في تفسير القرآن الكريم، وهي من الشروط المهمة التي لا بد من توافرها لمفسر القرآن الكريم، خصوصا في التفسير بالرأي المحمود.

ويقصد باللغة من النحو والصرف، أما البلاغة فالمراد منها إظهار الجمال البلاغي للكلمة من البيان والمعاني والبديع[398].

المطلب الأول: مقارنة بين الإمامين في الاهتمام بمسائل اللغة:

من خلال الاستقراء تبين أن الإمام ابن عادل الدمشقي كان أكثر تناولا لمسائل اللغة من الإمام البغوي، بل إن الإمام ابن عادل تجاوز الإمام الرازي في مسائل اللغة؛ لأن الإمام ابن عادل يعتمد على تفسير الدر المصون للسمين الحلبي، والذي يعتبر تفسيره متخصص في التفسير اللغوي والإعراب.

أمثلة تطبيقية على منهج الإمامين في الاهتمام بمسائل اللغة:

في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ....} [المائدة: 90-91]

لم يتعرض الإمام البغوي في الآيات السابقة سوى ببيان معاني المراد مِن غرائب الكلمة دون الخوض في اشتقاق أصل الكلمة، ولم يذكر أي أقوال لعلماء اللغة.

فأما تفسيره للكلمات فكانت كالآتي:

-الميسر: القمار.

-الأنصاب: الأوثان، وسميت نصب لأنهم كانوا ينصبونها.

---

[398] ينظر: البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (5/1).

-الأزلام: القداح التي يستسقون بها، وواحدها زلم.

-رجس: نجس ومستقذر.

كما بين الإمام البغوي الحكمة مِن تحريم الخمر والميسر لأنها تسبب البغضاء والعداوة فالشارب للخمر يسكر ويعربد ويتشاجر كما شج الأنصاري رأس المهاجري بلحى الجمل.....[399]".

أما الإمام ابن عادل فقد توسع في بيان المفردات القرآنية مِن حيث بيان معانيها واشتقاقها وصرفها مما يعين على فهم النص فهمًا صحيحًا، فقد استقصى آراء العلماء في الكلمة ومعناها، وأتى لها بالشواهد مِن الشعر وأقوال العلماء.

ففي اشتقاق (الخمر) لمخامرته العقل، أي خالطه فستره. والثاني مِن تغير الرائحة[400].

وفي اشتقاق (الرجس) من الشيء القذر، رجل رجس، ورجال أرجاس[401].

والرجس اسم لكل ما استقذر من عمل قبيح، وأصله من الرجس بفتح الراء، وهو شدة صوت الرعد كما في الشعر: وكل رجاس يسوق الرجسا[402].

ثم ذكر الإمام ابن عادل أن هناك فرق بين الرجس والرجز والركس، "فالرجس: الشر، والرجز: العذاب، والركس: العذرة والنتن....[403]".

---

399 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (81/2).

400 وهذا القول نسبه لابن الأعرابي. ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (504/7-505).

401 نقل هذا القول من الراغب الأصفهاني. المصدر نفسه.

402 وهذا الاشتقاق نقله من الزجاج. المصدر نفسه.

403 وهذا التفريق نقله من ابن دريد. المصدر نفسه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

وفي قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء:60]

اكتفى الإمام البغوي في نقل أقوال السلف في بيان سبب نزول هذه الآية[404].

والإمام ابن عادل الدمشقي أخذ يفصل في بيان كلمة (زعم) واشتقاقها؛ "فالزعم، بفتح الزاي وضمها وكسرها بمعنى (اعتقاد ظني)، واستشهد ببيت من الشعر:

فإن تزعميني كنت أجهل فيكم فإني شريت الحلم بعدك بالجهل[405]

والزعم بمعنى (الباطل)[406]. كما نقل عن علماء اللغة أقوال أخرى في الزعم، فقال: "..... وقد تقع في الشعر على الاسم، وأنشد هذا البيت:

زعمتني شيخا ولست بشيخ

إنما الشيخ من يدب دبيبا[407]

قيل: ولا يستعمل في الأكثر إلا في القول الذي لا يتحقق.

قال الليث: أهل العربية يقولون: زعم فلان؛ إذا شكوا فيه فلم يعرفوا أكذب أم صدق؛ وكذلك تفسير قوله: {هذا لله بزعمهم} [الأنعام: 136] أي: بقولهم الكذب.

قال الأصمعي[408]: الزعوم من الغنم الذي لا يعرف أبها شحم أم لا. وقال ابن الأعرابي[409]: الزعم قد يستعمل في الحق، وأنشد:

---

404 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (555/1).

405 البيت لأبي ذؤيب الهذلي. ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (35/2).

406 نقل هذا المعنى عن ابن دريد. ومنه قول الشاعر: ونبئت قيسا ولم أبله كما زعموا خير أهل اليمن. ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (452/6-453).

407 البيت لأبي أمية أوس الحنفي. ينظر: السيوطي، همع الهوامع في جمع الجوامع (477/1).

408 هو: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، المعروف بالأصمعي الباهلي،ولد سنة 122 هـ، وتوفي سنة 214 هـ بالبصرة له تصانيف كثيرة منها: خلق الإنسان، الأجناس، الأنواء وغيرها. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (176/3).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وإني أدين لكم أنه سيجزيكم ربكم ما زعم[410]

وزعم تكون بمعنى: ظن وأخواتها، فيعدى لاثنين في هذه الآية، و(أن) سادة مسد مفعوليها، وتكون بمعنى: كفل، فتتعدى لواحد؛ ومنه: (وأنا به زعيم) [يوسف: 72]، وبمعنى رأس، وكذب وسمن، وهزل، فلا تتعدى...."[411].

المطلب الثاني: مقارنة بين الإمامين في الاهتمام ببيان أوجه البلاغة

مِن خلال الاستقراء وَجَد الباحث أن الإمام ابن عادل كان يغوص في بحر المعاني واستخراج الفوائد اللغوية وروائع البلاغة أكثر من الإمام البغوي. وإن كان الإمام ابن عادل مجرد ناقل، فهذا لا يعني التقليل من شأنه، يكفي أن نقولاته يدل على اهتمامه الشديد في بيان أوجه البلاغة مِن خلال تراكيب المفردات القرآنية والله أعلم.

أمثلة تطبيقية على منهج الإمامين في بيان أوجه البلاغة:

في قوله تعالى: {ومما رزقناهم ينفقون} [البقرة:3]

بين الإمام البغوي معنى الرزق: وأنه اسم لكل ما ينتفع به الإنسان، وأصله في اللغة: مِن النصيب والحظ[412].

ثم ذكر الإنفاق وجعل مراده في الآية بمعنى التصدق، وأصله مِن الإخراج...[413].

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فقد نقل عن الإمام الرازي في بيان أوجه البلاغة في قوله تعالى: (ومما رزقناهم):

-جاء (مِنْ) المفيد للتبعيض للنهي عن الإسراف.

-تقديم المفعول على الفعل للدلالة على أهميته وكأنه يفيد معنى أنهم يخصصون بعضًا مِن المال مِن أجل التصدق والعطاء والإنفاق.

---

409 هو: أبو عبد الله محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة؛ وهو من موالي بني هاشم، فإنه مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه، ولد سنة 150 هـ، وتوفي سنة 231 هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (306/4).

410 البيت لأمية بن أبي الصلت. الأزهري، تهذيب اللغة. (93/2).

411 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (452/6-453).

412 ينظر: ابن منظور، لسان العرب. فصل الراء (114/10) البغوي، معالم التنزيل (85/1).

413 المصادر نفسها. فصل النون (357/10).

-يدخل في الآية الكريمة كل أنواع الإنفاق الواجب والمندوب، فالواجب كالزكاة، والإنفاق على النفس وعلى الوالدين وعلى الأبناء، وأما المندوب كالتصدق آخذا من قوله تعالى: {فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِّنَ الصَّالحين} [المنافقون:10].

فكان كل هذا مستحقًا للمدح بفضلٍ مِن الله وكرم إنعامه وجزيل إحسانه[414].

المبحث الرابع: روايتهما للقراءات ودرجة احتجاجهما بها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القراءات

القراءات لغة:

القراءات جمعٌ مفرده قراءة، وهو مصدر قرأ يقرأ قرآنًا معناه: تلاه تلاوةً، وفي الأصل بمعنى الضم والجمع، يقال: قرأت الماء في الحوض أي: جمعته فيه، وفيه سمي (القرآن) قرآنًا؛ لأنه يجمع الآيات والسور ويَضُم بعضه إلى بعض، وقرأت القرآن أي: قرأته مجموعًا، وأقرأه القرآن فهو مقرئٌ وقارئٌ، وجَمْعه قراء وقارئون[415]، ثم أطلقت القراءات على عِلْمٍ مستقلٍ خاص بوجوه قراءة القرآن بالمعنى الاصطلاحي الذي سيأتي.

القراءات اصطلاحا:

تعددت التعاريف في القراءات اصطلاحًا، ولكن مؤداها واحد، وهو: عِلْم متعلق بالوجوه المختلفة في كيفية أداء كلمات القرآن الموافقة للهجات العربية عن طريق عَزْوها إلى ناقلتها[416].

والمقصود بالناقلة: أي: عِلْمٌ ثابتٌ بنقل الحفاظ لوجوه قراءة القرآن عن الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا مصدر له سوى النقل.

ومِن ثَم فإن القراءات القرآنية انقسمت بحسب ناقلها إلى قراءةٍ مقبولةٍ وشاذةٍ.

فالقراءة المقبولة:

القراءة التي توفر فيها أركان القبول المتفق بين العلماء، كما جاء في طيبة النشر:

فكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالا يحوي

وصح إسنادا هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركانُ

وحيثما يختل ركنٌ أثبت ... شذوذه لو أنه في السبعة

---

414 ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (276/2) والمصدر السابق. (294/1-295).

415 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ق ر أ (81/11).

416 ينظر: أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب (47/1) ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين. ص (9).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ومن هذه الأركان ميز علماء القراءات المقبولة من الشاذة عملا بالقاعدة المشهورة المتفق عليها وهي: "كل قراءة وافقت اللغة العربية ولو بوجهٍ مِن الوجوه، ووافقت رسم المصحف ولو احتمالًا، وصح سندها بنقل الثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم، فهي القراءة الصحيحة المقبولة[417]".

وقد قيض الله تعالى لهذا العِلم رجالًا أثباتًا انتشروا في أنحاء الأرجاء الإسلامية ليحملوا علم القراءات وضبطوا وجوهها وطرقها، حتى أصبحوا أئمة يقتدى بهم ويُرحل إليهم، ليؤخذ عنهم.

والقراء المشهورون بالتواتر سبعة، وثلاثة متممة، فالمجموع عشر قراءات متواترة ميزها العلماء عن غيرها مِن القراءات، فالقراءات العشر المتواترة التي ميزها العلماء كالآتي:

-في المدينة:

1- نافع بن عبد الرحمن المدني[418]، يرويها عنه: قالون[419]، وورش[420].

2- أبو جعفر المدني[421]، يرويها عنه: ابن وردان[422]، وابن جماز[423].

-في مكة: ابن كثير المكي[424]، يرويها عنه: البزي[425]، وقنبل[426].

- في الشام: ابن عامر الشامي[427]، يرويها عنه: هشام[428]، وابن ذكوان[429].

---

417 ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (15/1).

418 هو: أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الليثي الكناني، لإمام حبر القرآن وأحد القراء العشرة وإمام القراء في المدينة النبوية، أصله من أصفهان، ولد في حدود 70 هـ، وتوفي سنة 169 هـ في المدينة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (336/7).

419 هو: عيسى بن مينا بن وردان بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزرقى مولى بنى زهرة، ويكنى "أبا موسى" ويلقب بقالون، وهو قارئ المدينة ونحويها، ولد سنة 120 هـ، وتوفي سنة 220 هـ في عهد المأمون. المصدر نفسه. (326/10).

420 هو: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان، ولقبه الذي اشتهر به ورش. شيخه هو الإمام نافع وهو الذي لقبه بورش، ولد سنة 110 هـ وتوفي سنة 197 هـ. ينظر: المصدر نفسه. (295/9).

421 هو: يزيد بن القعقاع الإمام أبي جعفر المخزومي المدني القارئ، ثامن القُرّاء العشرة تابعي مشهور كبير بقدر، توفي سنة 130 هـ. المصدر نفسه. (131/9).

422 هو: عيسى بن وردان المدني . أبو الحارث . ولقب بالحذاء . توفي في حدود الستين ومائة . من قدماء أصحاب نافع ، ومن أصحابه في القراءة على أبي جعفر . عرض القرآن على أبي جعفر وشيبة، ثم عرض على نافع، توفي سنة 160 هـ. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية. (616/1).

423 هو: سليمان بن مسلم بن جماز الزهري، أبو الربيع، كان مقرئا ضابطا، توفي سنة 170هـ. المصدر نفسه. (315/1).

424 هو: عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زادان بن فيروز بن هرمز قارئ أهل مكة ، وهو أحد أئمة القراءات العشر وهو من التابعين، ولد بمكة سنة 45 هـ وتوفي بها سنة 120 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (318/5).

425 هو: أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، مقرئ مكة ومؤذن المسجد الحرام ولد سنة 170 170 هـ، وأحد راويي الإمام ابن كثير المكي، توفي بمكة سنة 250 هـ. المصدر نفسه. (50/12).

426 هو: أبو عمرو قنبل محمد بن عبد الرحمن المخزومى بالولاء، شيخ القراء بالحجاز، توفي سنة 291 هـ. المصدر نفسه. (84/14).

Prince of Songkla University Pattani Campus

-في البصرة:

1- أبو عمرو البصري[430]، يرويها عنه: الدوري[431]، والسوسي[432].

2- يعقوب البصري[433]، يرويها عنه: رويس[434]، ورَوْح[435].

-في الكوفة:

1- عاصم بن أبي النجود الأسدي[436]، يرويها عنه: شعبة[437]، وحفص[438].

2- حمزة الزيات[439]، يرويها عنه: خلف البزار[440]، وخلاد[441].

---

[427] هو: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي ، يكنى بأبي عمران . قارئ أهل الشام وأحد القراء السبعة، توفي سنة 118 هـ في دمشق. المصدر نفسه. (292/5).

[428] هو: هشام بن عمار بن نُصير بن ميسرة بن أبان السلمي ويقال: الظفري، أبو الوليد الدمشقي، السلمي، ولد سنة 153 هـ وتوفي سنة 245 هـ. روى عن ابن عامر الشامي. المصدر نفسه. (420/11).

[429] هو: أبو عمرو عبد الله بن أحمد بن بشير ويقال له ابن ذكوان، توفي سنة 242 هـ. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية (404/1).

[430] هو: أبو عمرو زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين المازني التميمي البصري، أحد القراء السبعة، ولد سنة 68 هـ، وتوفي سنة 154 هـ. ينظر: المصدر السابق. (407/6).

[431] هو: أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صُهبان بن عدي بن صهبان الدوري الأزدي الشهري، قارئ نحوي متقن، توفي سنة 246 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (541/11).

[432] هو: أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجاورد بن مسرح الرستمي السوسي الرقي مقرئ ضابط محرر ثقة، توفي سنة 261 هـ. المصدر نفسه. (380/12).

[433] هو: يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري، أحد القراء العشرة، إمام أهل البصرة ومقريها، توفي سنة 205 هـ. المصدر نفسه. (169/10).

[434] هو: أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري ولقبه رويس، توفي سنة 238 هـ. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية (234/2).

[435] هو: أبو الحسن روح بن عبد المؤمن الهذلي البصري النحوي، مقرئ حافظ ضابط، توفي سنة 235 هـ. المصدر نفسه. (285/1).

[436] هو: عاصم بن بهدلة الأسدي الكوفي، مقرئ الكوفة، تلقى القرآن الكريم عن زر بن حبيش الذي قرأ على الصحابي عبد الله بن مسعود، كما قرأ على عبد الرحمن السلمي الذي قرأ على الصحابي الجليل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، توفي سنة 127هـ. ينظر: المصدر السابق. (256/5).

[437] هو: أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرئ، توفي سنة 193 هـ. المصدر نفسه. (495/8).

[438] هو: أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة بن البزاز الأسدي الكوفي، ربيب عاصم بن أبي النجود الكوفي وأعلم الناس بقراءته، توفي سنة 180 هـ. ينظر: المصدر السابق. (254/1).

[439] هو: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكُوفيُّ يكنى بـ"أبي عِمَارة"، ولد سنة 80 هـ، ولُقب بالزيَّات لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، توفي سنة 156 هـ. المصدر نفسه. (90/7).

[440] هو: خلف بن هشام بن ثعلب، وقيل: ابن طالب بن غُرَاب، أبو محمد، الأسديُّ البغداديُّ البَزَّار، أحد القراء العشرة، توفي سنة 229 هـ. المصدر نفسه. (576/10).

[441] هو: خلاد بن خالد الشيباني الصيرفي الكوفي وكنيته أبو عيسى وقيل أبو عبد الله، إمام في القراءة وثقة عارف، توفي سنة 229 هـ. ينظر: المصدر السابق. (274/1).

Prince of Songkla University Pattani Campus

3- الكسائي الكوفي[442]، يرويها عنه: الدوري، والليث[443].

4- خلف بن هشام البزار، يرويها عنه: إسحاق المروزي[444]، وإدريس الحداد[445].

وقد اتفق العلماء على أن هذه القراءات العشر قراءات متواترة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأثبتوها بِذِكْر طبقات رواتها[446].

القراءات الشاذة:

الشذوذ لغة:

شذ عنه يَشُذ شذوذًا: انفرد عن الجمهور، فهو شاذ، وشاذ عن القياس: أي ما شذ عن الأصول[447]، وأشذ الشيء: نحاه وأقصاه[448].

والشذوذ هو التفرد والتفرق والندرة والخروج على القياس والقاعدة و....[449].

فالقراءة الشاذة:

ما فقد ركنا أو أكثر من الأركان الثلاثة التي يتحقق بها قبول القراءة[450].

أنواع القراءات الشاذة:

أولا: القراءات الشاذة مِن حيث وجه الشذوذ: هي:

- القراءات التي لم يثبت نقلها.
- القراءات التي ثبت نقلها لكنها لم تتواتر.
- القراءات التي خالفت رسم المصحف.

Prince of Songkla University Pattani Campus

---

442 هو: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الكسائي، إمام النحو في الكوفة وأحد القراء السبعة، توفي سنة 189 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (131/9).

443 هو: أبو الحارث، الليث بن خالد المروزي البغدادي، من جلة أصحاب الكسائي، توفي سنة 240 هـ. ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية (34/2).

444 هو: إسحاق بن إبراهيم المروزي البغدادي، أبو يعقوب، وراق خلف وراوي اختياره عنه، ثقة، توفي سنة 286 هـ. المصدر نفسه. (155/1).

445 هو: إدريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي، وأبو الحسن كنيته، قارئ وإمام وضابط متقن، توفي سنة 292 هـ. ينظر: المصدر السابق. (44/14).

446 ينظر: ابن الجزري، منجد المقرئين. ص (48).

447 ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (شذذ) (499/1).

448 ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (شذذ) (423/9).

449 ينظر: ابن جني، الخصائص (96/1).

450 ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (15/1).

- القراءات التي لا وجه لها في اللغة العربية.

ثانيا: القراءات الشاذة من حيث وجه التصنيف: هي:

- القراءات الشاذة الواردة عن القراء الأربعة، وهؤلاء أَشْهَرَهُم ابنُ الجزري، فظن كثيرون أن الشواذ مقتصرة عليهم خصوصًا في العصر الحاضر.
- القراءات الشاذة الواردة عن القراء العشرة، وهؤلاء اشتهروا بالقراءات المتواترة فقط، وقد جمع د. مجتبى الكناني القراءات الشاذة عنهم مؤخرا في معجم خاص.
- القراءات الشاذة الواردة عن الصحابة الكرام، وهذه لم تجمع في مصنف إلى يومنا هذا.
- القراءات الشاذة الواردة في الكتب والمصنفات والتي لها رواية وإسناد، وهي مبثوثة في كتب التراث الإسلامي.
- القراءات الشاذة التي ليس لها إسناد، لم تجمع ولم تفرد في مصنف إلى الآن[451].

أمثلة على القراءات الشاذة:

1- في قوله تعالى: (إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) [الأعراف:35]

قرأ أُبي بن كعب[452] (تأتينكم) بتاء التأنيث؛ لأن الفاعل (رسل) جمع تكسير يجوز في فعله التذكير والتأنيث، وهي غير متواترة.

2- في قوله تعالى: (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) [الجمعة: 9]

قرأ مسروق بن الأجدع عن ابن مسعود: (فامضوا).

وهي مخالفة للرسم العثماني، وتعتبر مدرجة وتفسيرًا للقراءة المتواترة.

3- في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) [الليل:3]

رُوي عن ابن مسعود –رضي الله عنه– أنه قرأ (والذكر والأنثى).

---

[451] ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات. ص (88–108، 122، 139) ، ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات (35/1) ، السندي، صفحات في علوم القراءات. ص (80–83).

[452] هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك النجار. أبو منذر الأنصاري سيد القراء، شهد العقبة وجمع القرآن وعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة 30 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (236/3–242).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وهي غير متواترة وغير موافقة للرسم العثماني.

ومِن القراءات الشاذة التي رُويت عن ابن شنبوذ[453] ت328هـ وكتبها ابن مجاهد[454] بيده في المحضر عليه وسألوه عنها فاعترف بها، وكان ذلك في يوم السبت 6/ 4/ 323هـ:

1- (فامضوا إلى ذكر الله) بدل (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) [الجمعة:9].

2- (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) بدل (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ) [الواقعة:82].

3- (كل سفينة صالحة غصبا) بدل (كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) [الكهف:79][455].

حكم القراءات الشاذة:

لا تصح القراءة الشاذة في الصلاة، ولذلك لم يتعرض الإمام البغوي إلى القراءة الشاذة في تفسيره، وإنما يتعرض للقراءات المشهورة والمتواترة كما صرح به في مقدمته كما سيأتي.

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فقد ذكر فصلًا في مقدمته: في عدم وجوه الصلاة بالقراءة الشاذة[456].

المطلب الثاني: مقارنة بين الإمامين في روايتهما للقراءات ودرجة احتجاجهما بها

يعرض الإمام البغوي في تفسيره للقراءات، ويذكرها باختصار دون توسع مقتصراً على القراءات التسعِ المتواترة كما صرَّحَ بذلك في المقدمة، وهي القراءات العشر المتواترة، سوى قراءة خلف بن هشام، فلم يصرّح بالنَّقلِ عنه في المقدمة كما صرَّح بالنقل عن باقي القُرَّاء[457].

---

[453] هو: محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت، ومنهم من يقول ابن الصلت بن أيوب بن شنبوذ البغدادي. شيخ الإقراء بالعراق مع ابن مجاهد، قرأ القرآن على قنبل وإسحاق الخزاعي وهارون بن موسى الأخفش وغيرهم، توفي سنة 228 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (265/15).

[454] هو: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي شيخ الصنعة وشيخ القراء في عصره، وأحد رواة الحديث النبوي، توفي سنة 324 هـ ببغداد. المصدر نفسه. (273/15).

[455] ينظر: الباقلاني، نكت الانتصار. ص (101-102) ، ابن النديم، الفهرست. ص (48).

[456] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (92/1).

[457] ينظر: البغوي، معالم التنزيل (37/1-38).

Prince of Songkla University Pattani Campus

والإمام البغوي منهجه في القراءات أنه يذكر الآية أولا ثم ينسب قراءتها لأصحابها، وإذا كان هناك توجيها لقراءة ما وجهها.

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فقد اعتمد أيضًا في تفسيره على القراءات واختلافها؛ لأن في اختلاف القراءة اختلاف في التوجيه، ومِن ثَم اختلافٌ في التأويل. والإمام ابن عادل الدمشقي يستقي مسائل القراءات ووجوه الإعراب مِن السمين الحلبي ويعتمد عليه كثيرًا. وقد أشار السمين الحلبي في تفسيره أنه لا يترك وجه مِن وجوه القراءات المتواترة والشاذة وأوجه الإعراب إلا ويذكرها، وإن كانت واهية للتنبيه عليها لئلا يغتر بها الضعفاء[458].

أمثلة تطبيقية على منهج الإمامين في القراءات المختلفة وتوجيهها:

في قوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [البقرة:117] ذكر القراءات الواردة في قوله (فيكون) فقال: (قرأ ابن عامر كن فيكونَ بنصب النون، وقرأ الآخرون بالرفع....)، ثم بين وجه قراءة النصبِ فقال:(وإنَّما نصبها لأنها جواب الأمر بالفاء) وبين وجه قراءة الرفع وأنَّها على تقدير فهو يَكُوْنُ[459].

وفي قوله تعالى: {قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [الحجر:56].

ذكر الإمام البغوي وجوه القراءات في (يقنط):

فقد قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب: بكسر النون، والآخرون بفتحها، وهما لغتان: قنط يقنِط، وقنط يقنَط[460].

---

[458] ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون (5/1).

[459] ينظر: المصدر السابق. (142/1).

[460] ينظر: البغوي، معالم التنزيل (385/4).

Princess of Songkla University Pattani Campus

أما الإمام ابن عادل فقد نقل عن الإمام البغوي، إلا أنه زاد قراءة بالضم (يقنُط)، ثم ذكر أصول الكلمة ونسبها لأقوال علماء اللغة، ولعله يرجح (يقنَط) بالفتح؛ لنقله بعد ذلك كلام الإمام الرازي والاستشهاد بقوله والله أعلم[461].

وفي قوله تعالى: {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ۔....} [النحل:62].

ذكر الإمام البغوي القراءات المختلفة وتوجيهها في (وأنهم مفرطون)، كما ذكر المعاني المختلفة المترتبة على اختلاف القراءات.

فنافع قرأ بكسر الراء أي: مسرفون.

وأبو جعفر بتشديد الراء وكسرها أي: مضيعون أمر الله.

أما الآخرون بفتح الراء وتخفيفها أي: منسيون في النار[462].

وكذلك ذكر الإمام ابن عادل الدمشقي القراءات المختلفة في (أنهم مفرطون) ووجه القراءات مع بيان كل معنى مِن تلك التوجيهات، وزاد على الإمام البغوي باستشهاده بكلام أهل اللغة، وبِبَيْتِ شِعْر، ومِن الحديث النبوي الشريف.

فمثال على استشهاد بقول أهل اللغة كقوله: (قال الفارسي[463] في (مفرِطون) بكسر الراء: كأنه مِن أفرط، أي: صار ذا فرطٍ،....والمعنى: أنَّهم ذُو فرطٍ إلى النَّار كأنَّهم قد أرْسِلُوا إلى مَن يُهَيِّئُ لهُم مواضع إلى النَّار[464].

---

461 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (170/11-171).

462 ينظر: المصدر السابق. (26/5).

463 هو: أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفسوي، إمام النحو، ومن تلامذته أبو الفتح بن جني، توفي سنة 377 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (369/12).

464 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (95/12).

Prince of Songkla University Pattani Campus

واستشهاده ببيت شعر:

واسْتَعْجلُونَا وَكَانُوا مِنْ صَحابَتِنَا ... كَمَا تعجَّل فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ[465]

وبالحديث الشريف، قوله عليه الصلاة والسلام: ((أنَا فَرطُكمْ على الحَوْضِ، أي: سابقكم[466])).

المبحث الخامس: المقارنة بين المفسرَيْن في تعرضهما للأحكام الفقهية

المطلب الأول: تعريف الآيات الأحكام الفقهية

يعتبر الفقه الإسلامي ذو أهميةٍ كبيرةٍ في حياة المسلمين، فهو: "العلم بخطاب الله المتعلق بأفعال العباد في عباداتهم ومعاملاتهم".

والقرآن يعتبر المصدر الأول للتشريع الإسلامي ومحل استخراج واستنباط الأحكام الفقهية منه، وفي القرآن آياتٌ تتضمن الأحكام الفقهية بنوعيها العبادات والمعاملات، لذا كان لا بد لكل مُفسرٍ أن يتعرض له لِمَا له علاقةٌ بالأحكام الفقهية المستنبطة مِن الآيات القرآنية.

ولِلْفِقْه مكانةٌ لا تُجهل، لا سيما في حق مَن يتداول كتاب الله بالبيان والتفسير، فكثيرٌ مِن الآيات متعلقةٌ بالأحكام الفقهية.

تعريف الحكم لغةً: ومِن خلال الرجوع إلى المعجم اللغوي تبين أن الحكم يأتي بعدة معانٍ، منها العلم، والفقه، والقضاء، والعدل، والمنع والرد....[467].

واصطلاحًا: الحكم الشرعي عند الأصوليين: "خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع[468]".

---

[465] الشاهد: فُرَّاطٌ من أفرطته، أي تقدم القوم وسبقهم إلى كذا، والبيت للقطامي. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، فصل الفاء، مادة: فرط (366/7).

[466] أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الحوض، رقم الحديث (6575).

[467] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: ح ك م، (140/12-141).

والفقه: "هو العلم بالشيء والفهم له، وأطلق على عِلْم الدين على طريق التغليب؛ لمنزلته وشرفه بين العلوم[469]".

والفقه اصطلاحا: "عبارةٌ عن العِلْم بالأحكام الشرعية العملية المستدل على أعيانها عن طريق الاجتهاد[470].

وقد تناول المفسرون هذا الموضوع بين مطول في ذكر الأحكام وبين مختصر، ومنهم مَن بَرَز تفسيره في آيات الأحكام كتفسير القرطبي، وتفسير الجصاص [471] (أحكام القرآن)، وتفسير إلْكِيَا الهرَّاسي[472].

المطلب الثاني: مقارنة بين منهج الإمامين في آيات الأحكام

للإمام البغوي اهتمامٌ بالغٌ في آيات الأحكام وخصوصًا بأنه فقيه شافعي، ونرى ذلك في تفسيره لآيات الأحكام، حيث يورد أقوال الفقهاء، وهو كثيرًا ما يورد الأقوال دون ترجيح، وأحيانا يرجح مذهبه الشافعي.

وأما الإمام ابن عادل فإن تفسيره يعد مِن التفاسير الموسوعية؛ فلا ريب احتواء تفسيره على البدائع النفيسة مِن ذكر المناسبة بين الآيات، والاستشهاد باللغة والإعراب إلى جانب الاستنباطات الفقهية، والمسائل الأصولية.

أمثلة تطبيقية على منهج الإمامين في تفسير آيات الأحكام

في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

---

[468] ينظر: الأصبهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب (325/1).

[469] ينظر: المصدر السابق. مادة: فقه، (522/15).

[470] ينظر: جلال الدين المحلي، شرح متن الورقات. ص (84).

[471] هو: أبو بكر أحمد بن علي الرازي، الملقب بالجصاص، كان مشهوراً بالزهد، ومعروفاً بالورع، ودرس الفقه بين يد أبي الحسن الكرخي، توفي سنة 370 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (344/12-345).

[472] هو: أبو الحسن عماد الدين علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي الشافعي، تفقه في نيسابور مدة على إمام الحرمين، توفي سنة 504 هـ. المصدر نفسه. (282/14).

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ....} [المائدة:6].

بسط الإمام البغوي أقوال العلماء والفقهاء، حيث بيَّنَ ما فيها مِن أحكامٍ بالتفصيل فابتدأ، بقوله: (يَأْ أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا إِذَاْ قُمْتُمْ) وبيَّن أَنَّ المراد إذا أردتم القيام وأنتم على غير طهارة، ورجَّح بناءً على هذا المعنى أَنَّهُ لا يجب الوضوء لكل صلاة، وذكر دليل ذلك مِن السنة.

ثم انتقل إلى قوله: (فَاغْسِلُوا وُجُوْهَكُمْ) فبيَّن حد الوجه، وذكر قولين لأهل العلم في وجوب إمرار الماء على ظاهر ما استرسل مِن شَعر اللحية عن الذقن دون أن يرجح أحدهما.

ثمَّ انتقل إلى قوله تعالى: (وَأَيْدِيَكُم إِلَىْ الْمَرَافِقِ) فذكر الخلاف بين العلماء في وجوب غسل المرفقين مع اليدين، والكعبين مع الرِجلين، ورجَّح وجوب غسلهما ذاكراً الدليل وهو: أَنَّ (إلى) في قوله (إلى المرافق) و(إلى الكعبين) ليست للغاية، وإنما هي بمعنى(مع)، ثم ذكر جوابًا آخر وهو: أَنَّهُ إِذَاْ سلمنا أَنَّهَا للغاية لا نسلم بعدم وجوب غسلهما؛ لِأَنَّ الشيءَ إذا حُدَّ إلى جنسه يَدْخُلُ فيه الغاية.

ثُمَّ انتقل إلى قوله تعالى: (وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ) فذكر أقوال العلماء في القدر الواجب مسحه مِن الرأس، دون ترجيحٍ بَيْن هذه الأقوال.

وذكر بعد ذلك أقوال العلماء في المطلوب في الرِّجلين هل هو الغسل أم المسح؟ مرجِّحاً وجوب غسلهما[473].

وأما ابن عادل فقال: "أن الجمهور يرون أن الوضوء للصلاة حالة الحدث الأصغر، وليس الوضوء واجب عند القيام إلى كل صلاة، ودليلهم على ذلك: أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات في يوم الخندق بوضوء واحد. بخلاف الإمام داود[474] الظاهري الذي أوجب الوضوء لكل صلاة عملًا بظاهر الآية[475].

وفي (فاغسلوا بوجوهكم): ذكر حد الوجه وهي مِن منابت الشعر إلى منتهى الذقن طولًا، وما بين الأذنين عرضًا، ثم ذكر أقوال العلماء في حكم إمرار الماء على الظاهر ما استرسل مِن اللحية عن الذقن. فأبو حنيفة أوجب ذلك، لأنَّ الشَّعر النازل عن حدِّ الرَّأس لا يكون حكمه حكم الرأس في جواز المسْحِ؛ كذلك النازِل عن حدِّ الوجه لا يكون حكمه حكم الوجه في وجوب غسله، وقال غيره: يجب

---

473 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (20/3).

474 هو: داود بن علي الظاهري بن خلف، البغدادي المعروف بالأصبهاني، ولد سنة 200 هـ، إليه تنسب الطائفة الظاهرية لتمسكهم بظاهر الكتاب والسنة وتركهم للقياس والاستحسان وغيرها. توفي سنة 270 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (270/10-275).

475 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (217/7-219).

إمرار الماء على ظاهره؛ لأنَّ الله تعالى أمَرَ بغسل الوَجْهِ، والوجهُ ما يقع به المواجهة، قال ابنُ عباسٍ: يجبُ غسل داخل العينين؛ لأنَّهُ مِن الوجه، وقال غيره: لا يجبُ للحرج[476].

وفي (وأيديكم إلى المرافق): ذكر أقوال العلماء في وجوب غسل اليدين مع المرفقين، وهو قول وقال مالكٌ[477] والشعبيُّ ومُحمَّد بنُ جرير وزفَرُ[478]: لا يجب غسلُ المرفقين والكعبين في اليد والرجّل؛ لأن حرف إلى للغاية، والحدّ لا يدخل في المحدود، وما يكون غاية للحكم يكون خارجاً عنه كقوله: {أَتِمُّواْ الصيام إِلَى الليل} [البقرة: 187]. ثم بعد ذلك أورد جوابًا على هذا الكلام فقال: "والجواب: أنَّ حدَّ الشيء قد يكون منفصلاً عن المحدود بمقطع محسوس....[479]". ثم ذكر أقوال العلماء في غسل ما أمكن مما دون المرفق: فإن قطع ما دون المرفق؛ وجب غسل ما بقي؛ لأنَّ محل التكليف باقٍ وإن كان قطع مما فوق المرفق لم يجب؛ لأنَّ محلّ التّكليف زال، وإن كان قطع مِن المرفق؛ فقال الشافعي: يجب إمساسُ الماء عند ملتقى العظمين؛ وجب مساس لطرف العظم؛ لأنَّ غسل المرفق كان واجباً، وهو عبارةٌ عن ملتقى العَظْمَيْنِ، فوجب إمساسُ الماء عند ملتقى العَظْمَيْنِ، وجب إمْسَاس لطرف العظم الباقي لا محالة[480].

وفي (وامسحوا برؤوسكم): ذكر الإمام ابن عادل الدمشقي أقوال العلماء في اختلاف قدر المسح على الرأس. فقال مالكٌ وأحْمَدُ[481]: "يجب مسح جميع الرأس كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم. وقال أبو حنيفة: يجب مسح ربع الرَّأس. وقال الشافعيُّ: قدر ما يطلق عليه اسم المسح، واحتج الشافعيُّ بأنَّهُ لو قال مسحت بالمنديلِ، فهذا لا يصدق إلا عند مسحه بكلِّه، ولو قال: مسحتُ يدي بالمنديلِ، فهذا يكفي في صدقه مسح اليَدِ بجزء من أجْزَاءِ ذلك المنديل. فقوله سبحانه: (وامسحوا بِرُؤُوسِكُمْ) يكفي في العملِ به مَسْحُ اليد بجزء من أجْزَاء الرَّأسِ وذلك الجزء غير مقدّر في الآية، فإن قدَّرْناهُ بمقدار معين لم يتعين ذلك المقدار إلا بدليل غير الآية، فيلْزَمُ صيرورة الآية مجملة، وهو خلاف الأصل، وعلى ما قلناه تكونُ الآية مبينةٌ مفيدة، فهو أولى....[482]".

---

476 المصدر نفسه.

477 هو: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني أبو عبد الله، أحد الفقاء الأربعة وإليه ينسب المذهب المالكي، توفي سنة 179 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (7/150-202).

478 هو: زفر بن الهذيل بن قيس بن مسلم، أحد الفقهاء الحنفية الكبار، توفي سنة 158 هـ. المصدر نفسه (7/144-145).

479 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (7/219-220).

480 المصدر نفسه.

481 هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، صاحب المذهب الحنبلي، عُرف بالأخلاق الحسنة كالصبر والتواضع والتسامح. توفي سنة 241 هـ بالعراق. ينظر: المصدر السابق. (18/63).

482 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (7/222).

وفي (وأرجلَكم) بعد أن ذكر القراءات فيها وتوجيه كل قراءة وشواهدها مِن اللغة والشعر، ذَكَر أقوال العلماء في غَسْل الرجلين، وأن أغلب العلماء على وجوب غَسْل الرجلين وعدم الاكتفاء بالمسح للأحاديث الكثيرة الواردة في غَسْل الرجلين[483].

ثم بعد ذلك عقد فصلين في اختلاف العلماء، فصلٌ في النية في الوضوء، وفصلٌ في الترتيب بين غسل الأعضاء في الوضوء.

فأما الفصل في النية في الوضوء: فقال: "جَمْعٌ مِن العلماء بوجوب النية في الوضوء وحجتهم في ذلك أن الوضوء عبادةٌ مستقلةٌ، بخلاف أهل الرأي ومنهم الإمام النووي فلم يوجبوا النية للوضوء لأنها تابعة للصلاة[484]".

وأما الفصل في الترتيب: فإن أكثر العلماء على وجوب الترتيب بين غسل الأعضاء في الوضوء، وحجتهم أن الفاء للتعقيب، وأن الوضوء لا مجال للعقل فيه، وهو قول الشافعي وأحمد ومالك[485].

مثال آخر: قوله تعالى: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ...} [النساء:101]

ذكر الإمام البغوي أقوال العلماء في جواز إتمام الصلاة للمسافر في السفر، ثُمَّ رجَّح مذهب الشافعي بأَنَّ المسافر مُخَيَّرٌ، إنْ شاء قصر، وإنْ شاء أَتَمَّ، والقصر له أفضل، خلافاً لبعض العلماء الذين يقولون بوجوب القصر على المسافر، وأَنَّهُ لا يجوز له الإتمام، ثُمَّ ذكر أَنَّ ظاهر الآية يدل على ترجيح مذهب الشافعي؛ لأن لفظ لا جناح يستعمل في الرُّخص لا فيما يكون حتمًا[486].

أما الإمام ابن عادل فقد بدأ بِذِكْر المناسبة بين هذه الآية والآيات التي قبلها التي تتحدث عن الجهاد، وأن هناك أمور يحتاج إليها المجاهد ومِن بَيْنِه القصر في الصلاة. ثم ذكر الإعراب والمعاني اللغوية للآيات، وما يهم الباحث هنا عرض أقوال ونقولات الإمام ابن عادل في آيات الأحكام:

---

483 المصدر نفسه. (7/229-230).

484 المصدر نفسه.

485 المصدر نفسه.

486 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (2/274 وما بعدها).

- فذكر أولا: اختلاف العلماء في معنى المراد من القصر في الصلاة:

فقد أورد الإمام ابن عادل اختلاف العلماء في بيان المراد مِن القصر في الصلاة، هي تخفيف عدد الركعات، أم في كيفية أدائها، فالآية تحتمل معنيين:

المعنى الأول: القصر بمعنى التخفيف في عدد الركعات، وهو قول جمهور العلماء، وهم أيضا اختلفوا إلى قولين:

القول الأول: أن المراد منه: صلاة المسافر؛ وهو أن كل صلاة تكون في الحضر أربع ركعات، فإنها تصير في السفر ركعتين، وعلى هذا إنما يدخل القصر في الرباعية خاصة.

القول الثاني: أن المراد: صلاة الخوف في السفر، وهي ركعة واحدة، وهو قول ابن عباس، وجابر بن عبد الله[487]، وجماعة[488].

المعنى الثاني: أن المراد مِن القصر: التخفيف في كيفية أداء الركعات، وهو أن يكتفى في الصلاة بالإيماء والإشارة بدل الركوع والسجود، وأن يجوز المشي في الصلاة، وأن تجوز الصلاة عند تلطخ الثوب بالدم وهو الصلاة حال التحام القتال. وهو مروي عن ابن عباس وطاووس[489]، واحتجوا: بأن خوف فتنة العدو لا تزول فيما يؤتى بركعتين على تمام أوصافها، وإنما عين ذلك فيما يشتد فيه الخوف حال التحام القتال.

وقد ضعف الإمام ابن عادل المعنى الثاني وتوجيهه؛ لأنه يمكن أن يقال: "إن المسافر إذا كانت الصلاة قليلة الركعات، فيمكنه أن يأتي بها على وجه لا يكون خصمه عالما بكونه مصليا أما إذا كثرت

---

[487] هو: الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، شهد بيعة الرضوان، توفي سنة 78 هـ. ينظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (546/1-547).

[488] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (502/6).

[489] هو: أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان اليماني، من كبار التابعي وفقيه محدث، توفي سنة 106 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (39/5-49).

Prince of Songkla University Pattani Campus

الركعات....."ثم قال أيضا بتصرف: "إن في الإيماء في الصلاة والمشي لا يسمى قصرا وإنما صار تغيير في كيفية الصلاة كلها وإثبات أحكام جديدة![490]".

- بعدها انتقل إلى مسألة أيهما أفضل القصر في السفر أم الإتمام؟

فقصر الصلاة في السفر جائز بالإجماع، واختلفوا في جواز الإتمام.

فذهب أكثرهم إلى أن القصر واجب، وهو قول عمر وعلي، وجابر و....، وهو قول مالك وأصحاب الرأي بما روت عائشة[491] – رضي الله عنها –، قالت: "الصَّلاةُ أوَّل ما فُرِضَت رَكْعَتَيْن في الحَضَر والسَّفَر فأقِرَّتْ صَلاَة السَّفَر، وأتِمَّت صَلاةُ الحَضَر[492]".

وذهب قوم إلى جواز الإتمام، روي ذلك عن عثمان[493] وسعد بن أبي وقاص[494]، وبه قال الشافعي إن شاء أتم، وإن شاء قصر، والقصر أفضل[495]

- ثم عقد فصلا في المسافة التي يجوز للمسافر فيها أن يقصر الصلاة.

فالقول الأول: قول أهل الظاهر، وهو جواز قصر الصلاة بمجرد الضرب في الأرض، سواء أكان السفر طويلًا أم قصيرًا، عملًا بظاهر الآية.

---

[490] ينظر: المصدر السابق. (503/6).

[491] هي: عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلها على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي صغيرة، وبنى بها وهي في التاسعة من عمرها، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما بين سحرها ونحرها، كانت فقيهة وعالمة بأشعار العرب. توفيت سنة 58 هـ رضي الله عنها وأرضاها. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (135/2-145).

[492] الحديث متفق عليه. البخاري، صحيح البخاري. كتاب الصلاة، الحديث رقم (343)، مسلم، صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها، الحديث رقم (685).

[493] هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ثالث الخلفاء الراشدين، يلقب بذي النورين لزواجه بابنتي من بنات الرسول صلى الله عليه وسلم أولها رقية وبعد أن ماتت تزوج أم كلثوم، قام بتجهيز جيش العسرة، وقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ((ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم)). استشهد في بيته وهو يقرأ القرآن سنة 35 هـ. ينظر: المصدر السابق. (147/28-163).

[494] هو: سَعْد بن أَبي وقاص مَالِك القرشي الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد السابقين إلى الإسلام، وأول من رمى السهم في سبيل الله، توفي سنة 55 هـ، رضي الله عنه وأرضاه. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (93/1-102).

[495] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (504/6).

Prince of Songkla University Pattani Campus

والقول الثاني: هو قول الجمهور بأن القصر في السفر مقدر، ولكنهم اختلفوا في التقدير. فابن عباس ما كان السفر عن مسيرة يوم وليلة وإلا فلا رخصة في القصر.

وقول الأوزاعي[496] وهو ما عمل به عمر بن الخطاب أن يقصر إذا كان السفر مسيرة يوم تام.

وقول الحنفية: مسيرة ثلاثة أيام كالكوفة إلى المدائن.

وقول مالك: أميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي قدر أميال البادية؛ كل ميل اثنا ألف قدم، وهي أربعة آلاف خطوة، فإن كل ثلاثة أقدام خطوة.

والشافعية: أربعة برد، مِن مكة إلى عسفان.

ولم يقبل أهل الظاهر هذه الأقوال وتمسكوا بظاهر القرآن، وعلتهم أن اختلافهم في تقدير أقل السفر يدل على عدم التواتر، وما استدل به الشافعي مِن أربعة برد، فهو خبر آحاد وهو ظني، والظني لا يخصص القطعي[497].

ولعل الباحث يذهب إلى ما ذهب إليه الجمهور، وأن الأحكام الفقهية ليست كلها مبنية على الأحكام القطعية مِن القرآن. فكيفية الصلاة والصيام والزكاة والحج لم يبينها القرآن، وإنما بينته السنة النبوية المطهرة وأغلبها تفيد الظن والله تعالى أعلم.

ومن خلال المقارنة في المثالين السابقين، تبين أن الإمام البغوي يذكر الأحكام الفقهية واختلاف الفقهاء ويرجح لمذهبه الشافعي ويدعم ترجيحه لكنه لا يستطرد في ذكر الآحكام الفقهية.

---

[496] هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، أبو عمرو الأوزاعي، عالم أهل الشام، وحدث عن عطاء بن أبي رباح وغيره، توفي سنة 157 هـ. ينظر: المصدر السابق. (7/93-120).

[497] ينظر: المصدر السابق. (6/504-505).

Prince of Songkla University Pattani Campus

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فإنه يذكر المناسبة بين الآيات ويتعرض لأقوال أهل اللغة والشواهد الشعرية، ويذكر المسائل الأصولية. وثم بعد ذلك يذكر أقوال الفقهاء واختلافهم ويذكر حججهم وردودهم، ولعله يميل مِن كلامه إلى قول الجمهور مِن أهل العلم والله أعلم.

المبحث السادس: موقف الإمام البغوي والإمام ابن عادل الدمشقي من الإسرائيليات

المطلب الأول: تعريف الإسرائيليات

يقصد بالإسرائيليات لغة: جمع إسرائيلية نسبة إلى بنى إسرائيل[498]، وقيل: إن النسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، أبو الأسباط الاثني عشر، وإليه ينسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل، وقد ورد ذكرهم في القرآن منسوبين إليه في مواضع كثيرة[499]، وإسرائيل تعني عبد الله[500] وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد[501].

واصطلاحا: هي الأخبار المروية عن أهل الكتاب وخاصةً مِن اليهود[502]؛ ومنهم مَن اشتهر بالرواية مِن الإسرائيليات ككعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام[503].

المطلب الثاني: حكم الرواية مِن الإسرائيليات

يختلف الحكم بالرواية مِن الإسرائيليات بحسب نوع الرواية، فإن كانت في العقائد وكانت متصادمة مع العقيدة الإسلامية، أو ما كان هناك تنقيص وتقليل مِن مقام الأنبياء فقطعًا بالقول بعدم الجواز في ذلك، اللهم إن كان في ذكرها مِن أجل تنبيه الغافلين.

---

498 محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات. ص (12).

499 ينظر: الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث. ص (17-19).

500 المرجع نفسه.

501 المرجع نفسه.

502 ينظر: سلامة، منهج الفرقان (2/18-19).

503 المرجع نفسه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

أما إذا لم تكن متصادمة مع العقيدة الإسلامية، ولم يكن هناك تقليلٌ وتنقيصٌ مِن مقام النبوة، فالحديث بها لا حرج كما جاء به الحديث الشريف: ((حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج[504])). مع عدم الجزم بالتصديق أو التكذيب؛ لئلا يكون في نفس الأمر صدقا فتكذبوه أو كذبا فتصدقوه فتقعوا في الحرج...[505].

المطلب الثالث: موقف الإمام البغوي وابن عادل الدمشقي مِن الإسرائيليات

لم يَخْل تفسير البغوي كغيره مِن المفسرين عن الروايات الإسرائيلية، فهو يُكثر مِن الروايات الإسرائيلية في قصص الأنبياء، والأقوام السابقين، وغيرها كقصة خلق آدم ووسوسة الشيطان له ولزوجته، وهبوطهم مِن الأرض، وقصة هاروت وماروت، وقصة العزير[506].

وكذلك تفسير الإمام ابن عادل كغيره مِن التفاسير التي احتوت على الإسرائيليات التي حكمها التوقف وعدم الحكم فيه بالتصديق والتكذيب، خصوصًا عندما يتحدث عن الأنبياء وأخبار الأمم السابقة كقصة الذين خرجوا مِن ديارهم ألوف حذر الموت فقال الله لهم موتوا ثم أحياهم....[507].

والفرق بين منهج الإمامين في الإسرائيليات: أن الإمام البغوي يوردها دون تعقيب أو تضعيف أو تجريح.

وأما ابن عادل فإنه وإن يورد الروايات الإسرائيلية إلا أنه لا يسكت عن تضعيف الروايات التي تناقض الدين الإسلامي أو أرادت النيل من مقام الأنبياء.

---

504 رواه البخاري. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، الحديث رقم (3461) (170/4).

505 ينظر: ابن حجر، فتح الباري (170/8).

506 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (82/1)، (127/1)، (296/1)، (317/1)، (118/3)، (14/5).

507 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (248/4).

Prince of Songkla University Pattani Campus

أمثلة تطبيقية على موقف الإمامين مِن الإسرائيليات:

في قوله تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّأَىٰ بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ} [يوسف: 24].

كما يقال: إن لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة، فكان مِن هفوة الإمام البغوي في سرده الإسرائيليات في الآية السابقة في معنى (الهم) بما نالت مِن مقام النبوة! فبعد أن ذَكَر معنى الهم، وهو العزم على المعصية وذلك في حق امرأة العزيز، وأما الهم في حق يوسف عليه السلام فأورد عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّه: حلّ الهِميَان وجلس منها مجلس الخائن".

وعن مجاهد: حلَّ سراويله وجعل يعالج ثيابه. وهذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير والحسن.

وقال الضحاك: جرى الشيطان فيما بينهما، فضرب بإحدى يديه إلى جيد يوسف، وباليد الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما.

وقال السدي: لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه، وتُشَوِّقه إلى نفسها، فقالت: يا يوسف ما أحسن شعرك!

قال: هو أول ما ينتثر من جسدي.

قالت: ما أحسن عينيك!

قال: هي أول ما تسيل على وجهي في قبري.

قالت: ما أحسن وجهك!

قال: هو للتراب يأكله.

وقيل: إنها قالت: إن فراش الحرير مبسوط، فقم فاقض حاجتي.

قال: إذًا يذهب نصيبي من الجنة.

Prince of Songkla University Pattani Campus

فلم تزل تطمعه وتدعوه إلى اللذة، وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل، وهي امرأة حسناء جميلة، حتى لان لها ممَّا يرى من كلفها، وهمّ بها، ثم إن الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذي ذكره[508]. انتهى.

إذاً فإن الإمام البغوي يورد هذه الروايات ويقف منها موقف المؤيد لها حيث قال بعد ذِكر هذه الروايات: "**وقد وزعم بعض المتأخرين: أن هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام**، وقال: تمَّ الكلام عند قوله: (ولقد همت به) ثم ابتدأ الخبر عن يوسف عليه السلام فقال: (وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) على التقديم والتأخير، أي: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، ولكنه رأى البرهان فلم يهم.

وأنكره النحاة وقالوا: إن العرب لا تُؤخّر (لولا) عن الفعل، فلا تقول: لقد قمت لولا زيد، (وهو يريد لولا زيدٌ لَقُمْتُ)

وقيل: همت بيوسف أن يفترشها، وهمَّ بها يوسف أي: تمنى أن تكون له زوجة[509]".

وهذا التأويل وأمثاله غير مرضية لمخالفتها أقاويل القدماء من العلماء الذين يؤخذ عنهم الدين والعلم. ولا يقبل هذا الكلام في آحاد الناس فكيف يليق بنبي مرسل؟![510]

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فقد كان على العكس تمامًا، فبعد أن تناول قضايا اللغة والإعراب، ومِن ثَم بيان معاني المفردات شَرَع في ذِكر الروايات الإسرائيلية التي جاءت في معنى الهم في حق كل مِن امرأة العزيز، وفي حق النبي يوسف عليه السلام، إلا أنه أنكر تمامًا الروايات الإسرائيلية التي أرادت أن تنال مِن مقام النبي يوسف عليه السلام، وكذبها، ورد على الموافقين لهذه الروايات ومِن بينهم الإمام البغوي فيما نُسب إليه والله أعلم، واستدل على بطلان هذه الروايات الإسرائيلية مِن الآيات مِن القرآن الكريم، وأدلة مِن المعقول، وقال فيما قاله: إن المجوزين بوقوع الهم بالفاحشة مِن قِبَل سيدنا يوسف عليه السلام استدلوا بمسألة لغوية، وهي أنه لا يجوز تقدم جواب لولا وهو قول الزجاج، ورد عليه الإمام

---

508 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (228/4).

509 ينظر هذه الرواية وما سبقها من الروايات في تفسير معالم التنزيل (228/4 وما بعدها).

510 ينظر: أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. ص (220 وما بعدها).

ابن عادل الدمشقي بما رد به الزمخشري وهو وجود جواب لولا وهو (محذوف) دل عليه الدليل كقوله تعالى: {إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لولا أَن رَّبَطْنَا على قَلْبِهَا} [القصص: 10]. فقوله: (إِن كَادَتْ): أمَّا أن تكون جواباً عند مَن يرى ذلك، وإمَّا أن يكون دالاً على الجواب، وليس فيه خروجٌ عن كلامِ العربِ.

فيكون معنى الآية: لولا أن رأى البرهان لهم بها، فلم يهمَّ يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام[511].

وأما أقواله في الرد على الروايات الإسرائيلية التي افترت على نبيٍ مِن أنبياء الله والمعصومون في الوقوع في الصغائر فكيف بالكبائر فقد نقل عن الإمام فخر الرازي، ويلخصها الباحث في النقاط الآتية:

-لقد أثنى الله على نبيه يوسف عليه السلام إذ قال: {كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين} [يوسف: 23]. فماهية السوء مصروفة عنه أساسا فكيف بمن نسب إليه الهم بالزنا وهي مِن أكبر الكبائر!.

كما أن كل مَن كان في هذه الواقعة برأ يوسف عليه السلام مِن هذه الخطيئة، أمَّا يوسف صلوات الله وسلامه عليه فأدَّعى أنَّ الذنب للمرأة وقال: { هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي} [يوسف: 26] و { قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْه} [يوسف: 33]، وأما المرأة، فاعترفت بذلك، وقالت للنسوة: {وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} [يوسف: 32]، وقالت: {الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [يوسف: 51]، وأمَّا زوج المرأة فقوله: {إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا واستغفري لِذَنبِكِ} [يوسف: 28-29].

وأمَّا الشهود فقوله تعالى: { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ.... } [يوسف: 26].

---

[511] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (11/60-61).

وأمَّا شهادة الله تعالى: فقوله: {.... كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السواء والفحشآء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المخلصين} [يوسف: 24]..

وأما إقرار إبليس بطهارته فقوله: {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ....} [ص: 82-83] فهذا إقرارٌ مِن إبليس بأنه ما أغواهُ، وما أضله عن طريق الهدى، فثبت بهذه الدَّلائل أنَّ يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ بريءٌ عمَّا يقوله هؤلاء[512].

ثم بعد ذلك أعاد قول الزجاج وغيره ممن وافق قوله في امتناع تقدم جواب لولا، وسرد أدلتهم بالتفصيل، ثم قام بتفنيد أقوال الزجاج وغيره وقام بالرد عليهم بجواب منقول مِن أهل اللغة كسيبويه ومِن المعقول.

أما أدلة الزجاج وغيره فهي كالآتي:

أولا: أن تقديم جواب (لَوْلاَ): شاذٌّ، وغير موجود في الكلامِ الفصيحِ.

ثانيا: أنَّ (لَوْلاَ) يجابُ جوابها باللاَّمِ، فلو كان الأمرُ على ما ذكرتم لقال: ولقد همَّت به، ولهم بها لوْلاَ.

ثالثا: لو لم يوجد الهمُّ لما كان لقوله: (لولا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) فائدة.

فكان الرد على الأقوال السابقة كالآتي:

-عدم صحة التسليم بتأخير جواب (لولا)؛ فلا يمنع مِن تقديم جواب (لولا)، وقد نُقل عن سيبويه أنَّه قال: "إنَّهم يُقدِّمون الأهمَّ فالأهَمّ"، والذي همَّ بشأنه أعنى؛ فكان الأمر في جواز التقديم، والتَّأخير مربوطاً ذكر بشدَّة الاهتمام.

---

512 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (64/11).

Prince of Songkla University Pattani Campus

-وأما عن الثاني، فكانت الآية (ولقد همت به وهما بها لولا أن رءا برهان ربه) على وزن الآية وهي قوله تعالى: {إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا....} [القصص: 10]. فكان حينئذ جواز جواب (لولا) باللام.

-وأما عن الثالث، لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله: (لولاا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) فائدة.

فالقول فيه: إن هناك أعظم الفوائدِ: وهو بيان أنَّ ترك الهمَّ بها ما كان لعدم رغبته في النسِّاءِ، ولا لعدمِ قدرته عليهنَّ؛ بل لأجلِ أنَّ دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل.....[513].

المبحث السابع: تعرضهما للأحاديث الموضوعة

المطلب الأول: تعريف الموضوع

الموضوع لغة: اسم مفعول، من: "وضع الشيء"، أي: حطه؛ سمي بذلك لانحطاط في رتبته[514].

واصطلاحًا: "هو الكَذِب على رسول الله، ونَسْب إليه ما لم يقله عليه الصلاة والسلام[515]".

حكم الرواية بالحديث الموضوع: أجمع العلماء على تحريم رواية الأحاديث الموضوعة، ويرخص فقط في بيانها أنها موضوعة والتحذير منها، لما رواه مسلم: ((مَنْ حَدَّثَ عَني بحديث يُرَى أنه كَذب، فهو أحد الكاذبيْن[516]".

---

[513] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (11/64-65).

[514] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، فصل: الواو، مادة: وضع. (8/396).

[515] ينظر: السيوطي، تدريب الراوي (1/274)، الطحان، تيسير مصطلح الحديث. ص (111).

[516] النووي، مقدمة شرح صحيح مسلم (1/69).

Prince of Songkla University Pattani Campus

المطلب الثاني: منهج الإمامين في الروايات بالأحاديث الموضوعة

مر فيما سبق أثناء الحديث على كتاب معالم التنزيل، وأن ابن تيمية رحمه الله قد أثنى على تفسير البغوي بقوله: "والبغوي تفسيره مختصر مِن تفسير الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة ...[517]". ومع ذلك وُجد تفسيره الأحاديث الموضوعة إلا أنه لم يكن مكثرًا كالثعلبي في تفسيره.

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فقد جاء تفسيره بروايات موضوعة إلا أنه لا يقرها، ويرد عليها وذلك مِن خلال نقد أسانيدها ومتنها، وسرد الأجوبة العقلية.

أمثلة تطبيقية على موقف الإمامين مِن الأحاديث الموضوعة:

في قوله تعالى: {وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحج: 52].

أَوْرد الإمام البغوي قصة الغرانيق بإسناده عن ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وجعل على أساسها نزولا للآية السابقة؛ فقصة الغرانيق هي: "أنه لَمَّا رَأَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَلِّي قَوْمِهِ عَنْهُ وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا رَأَى مِنْ مُبَاعَدَتِهِمْ عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ تَمَنَّى فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنَ اللَّهِ مَا يُقَارِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ لِحِرْصِهِ عَلَى إِيمَانِهِمْ، فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله تعالى سورة والنجم فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ قَوْلَهُ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى} [النجم: 19-20] أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ بِمَا كَانَ يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَهُ وَيَتَمَنَّاهُ: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لِتُرْتَجَى، فَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ فَرِحُوا بِهِ وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِرَاءَتِهِ، فَقَرَأَ السُّورَةَ

---

[517] ينظر: ابن تيمية، مجموعة الفتاوى. (190/13).

Prince of Songkla University Pattani Campus

كُلَّهَا وَسَجَدَ فِي آخِرِ السُّورَةِ فَسَجَدَ الْمُسْلِمُونَ بِسُجُودِهِ وَسَجَدَ جَمِيعُ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ إِلَّا سَجَدَ .... وَتَفَرَّقَتْ قُرَيْشٌ وَقَدْ سَرَّهُمْ مَا سَمِعُوا مِنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ وَيَقُولُونَ قَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدٌ آلِهَتَنَا بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، وَقَالُوا قَدْ عَرَفْنَا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيَخْلُقُ وَيَرْزُقُ وَلَكِنَّ آلِهَتَنَا هذه تشفع لنا عنده، فإن جعل لها محمد نَصِيبًا فَنَحْنُ مَعَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَاذَا صَنَعْتَ لَقَدْ تَلَوْتَ عَلَى النَّاسِ مَا لَمْ آتِكَ بِهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَحَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُزْنًا شَدِيدًا وَخَافَ من الله خوفا كبيرا فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ يُعَزِّيهِ وَكَانَ بِهِ رَحِيمًا.....[518]".

ثم إن الإمام البغوي أخذ يُسهب في القصة، فبين أولا معنى تلا وقرأ، ثم أخذ يفترض متى وكيف كان نسيان النبي صلى الله عليه وسلم هل كانت في الصلاة أو في غير الصلاة؟!

فقال قوم: كان يقرأ في غير الصلاة. فإن قيل: كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكان معصومًا مِن الغلط في أصل الدين وقال جل ذكره في القرآن: لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خلفه يعني إبليس؟ قيل: قد اختلف الناس في الجواب عنه فقال بعضهم: إن الرسول صلى

---

[518] قصة الغرانيق لا أساس لها من الصحة لعلتين:

- لأن الحديث مداره على أمية بن خالد القيسي، وهو وإن وثقه الجمهور، فقد فعل الذهبي في «الميزان» 1029 عن أحمد أنه لم يحمده، وذكره العقيلي في «الضعفاء» وقد روى هذا الحديث غيره عن سعيد بن جبير مرسلا ليس فيه ذكر ابن عباس.
- والعلة الثانية كما قال البزار: لا نعلمه يروى بإسناد متصل يجوز ذكره إلّا بهذا الإسناد، وأمية بن خالد ثقة مشهور، وإنما يعرف هذا من حديث الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابن عباس، والكلبي متروك.

قال ابن حيان في تفسيره: "وَهِيَ قِصَّةٌ سُئِلَ عَنْهَا الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ جَامِعُ السِّيَرِ النَّبَوِيَّةِ، فَقَالَ: هَذَا مِنْ وَضْعِ الزَّنَادِقَةِ، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ كِتَابًا. وَقَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ: هَذِهِ الْقِصَّةُ غَيْرُ ثَابِتَةٍ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ، وَقَالَ مَا مَعْنَاهُ: إِنَّ رُوَاتَهَا مَطْعُونٌ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ فِي الصِّحَاحِ وَلَا فِي التَّصَانِيفِ الحديثة شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرُوهُ فَوَجَبَ اطِّرَاحُهُ وَلِذَلِكَ نَزَّهْتُ كِتَابِي عَنْ ذِكْرِهِ فِيهِ...". ينظر:البغوي، معالم التنزيل (3/346-347)، ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط (7/526).

Prince of Songkla University Pattani Campus

الله عليه وسلم لم يقرؤه. ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته فظن المشركون أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قرأه. وقال قتادة: أغفى النبي صلى الله عليه وسلم إغفاءة[519].

والأكثرون قالوا: جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث أن نبهه الله عليه، وقيل: إن شيطانا يقال له الأبيض عمل هذا العمل، وكان ذلك فتنةً ومحنةً مِن الله تعالى والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء. فينسخ الله ما يلقي الشيطان، أي: يبطله ويذهبه، ثم يحكم الله آياته، فيثبتها، والله عليم حكيم[520].

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فذكر بعد الآية سبب نزولها وهي بسبب قصة الغرانيق، إلا أنه بعد ذلك دحض هذه الرواية وتكذيبها بأدلة مِن المنقول والمعقول:

فأما تكذيب الرواية مِن القرآن فهو قوله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقاويل لأَخَذْنَا مِنْهُ باليمين ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوتين} [الحاقة: 44 – 46]، وقوله: {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِ نفسي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يوحى إِلَيَّ} [يونس: 15]، وقوله: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يوحى} [النجم: 3 – 4]. فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية قوله: تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله في الحال، وذلك لا يقوله مسلم. وقوله: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً} [الإسراء: 73][521].

---

519 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (247/3).

520 المصدر نفسه. (348/3).

521 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (117/14).

وأما السنة فقد روى البخاري في صحيحه أنه – عليه السلام – قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس وليس فيه ذكر الغرانيق، والروايات التي جاءت بقصة الغرانيق كلها مطعونة، وقال ابن إسحاق عن هذه القصة: "إنها مِن وضع الزنادقة[522]".

ومِن أدلة المعقول التي ذكرها: " أن مَن جوَّز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر، لأن مِن المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان.....[523]".

ولما فرغ مِن دحض هذه الرواية؛ شرع في بيان معنى التمني وبيان كيف كانت الوسوسة مِن قِبَل الشيطان للنبي صلى الله عليه وسلم مستدلا بالشعر وأقوال أهل اللغة وبين ضعف وجوه الأقوال التي تقارب معنى قصة الغرانيق إلى أنْ عقد فصلًا مُشعرًا بأنه القول الذي يرتضيه، فقال: "يرجع حاصل البحث إلى أن الغرض مِن هذه الآية بيان أن الرسل الذين أرسلهم الله وإن عصمهم عن الخطأ مع العلم فلم يعصمهم عن جواز السهو ووسوسة الشيطان بل حالهم في جواز ذلك كحال سائر البشر، فالواجب أن لا يتبعوا إلا فيما يفعلونه عن علم، وذلك هو المحكم....[524]".

المبحث الثامن: عنايتهما بعلوم القرآن في تفسيرهما.

المطلب الأول: التعريفات المتعلقة بالمبحث

فعلوم القرآن مركب إضافي يتكون من كلمتين "علوم" و"القرآن" والمقام يقتضي تعريف كل كلمة وحدها لغةً واصطلاحًا، ثم يأتي بعد ذلك تعريفهما معًا مركبتين تركيبًا إضافيًّا.

---

[522] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (117/14).

[523] المصدر نفسه. (118/14).

[524] المصدر نفسه. (118/14-124).

أ- تعريف العلوم:

العلوم جمع عِلم والعِلم نقيض الجهل وهو مصدرٌ مرادفٌ للفهم والمعرفة ويراد به إدراك الشيء بحقيقته أو اليقين أو هو نور يقذفه الله في القلب[525]. ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهةٌ واحدةٌ مثل عِلم النحو، وعِلم الطب، وعِلم الكيمياء. ويجمع على (علوم) وقد تسمى به المباحث التي تتناول موضوعًا واحدًا مثل: علوم العربية، والعلوم الطبيعية، والعلوم التجريبية.

ب- تعريف القرآن:

تعريف القرآن لغة:

اختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- في لفظ القرآن لكنهم اتفقوا على أنه اسم فليس بفعل ولا حرف. وهذا الاسم شأنه شأن الأسماء في العربية إما أن يكون جامدًا أو مشتقًّا.

فذهب جماعة مِن العلماء منهم الشافعي إلى أنه اسمٌ جامدٌ غير مهموز وبه قرأ ابن كثير وهو اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل[526].

وذهبت طائفةٌ إلى أن هذا الاسم مشتق ثم افترقوا إلى فرقتين: فقالت فرقة منهم: إن النون أصلية وعلى هذا يكون الاسم مشتقًّا مِن مادة "ق ر ن" ثم اختلفوا:

1-فقالت طائفة منهم الأشعري[527]: إنه مشتق مِن قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه ومنه قولهم: قرن بين البعيرين إذا جمع بينهما ومنه سمي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران[528].

2-وقالت طائفة منهم الفراء[529]: إنه مشتق مِن القرائن جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضا.

وقالت فرقة منهم: إن الهمزة أصلية ثم افترقوا أيضا إلى فرقتين:

1-فقالت طائفة منهم اللحياني[530]: إن القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران مشتق مِن قرأ بمعنى تلا سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} أي قراءته[531].

---

525 ينظر: جلال الدين المحلي، شرح الورقات. ص (95).

526 ينظر: عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن (1/55-56).

527 هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر؛ واسمه: إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، يكنى بأبي الحسن، وإليه يُنسب الأشاعرة، توفي سنة 324 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (15/86).

528 ينظر: المرجع السابق.

529 هو: الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي، مولى بني أسد، المعروف بالفَرَّاء، وهو لقبه "لأنه كان يفري الكلام" أي: يصلحه. توفي سنة 207 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (10/119).

Private of Sawakin Al-niversity Pattani Campus

2-وقالت طائفة منهم الزجاج[532]: إنه وصف على وزن فعلان مشتق مِن القَرْء بمعنى الجمع ومنه: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه[533].

قال ابن الأثير[534]:"وسمي القرآن قرآنًا لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر كالغفران والكفران[535]".

-تعريف القرآن اصطلاحا:

اختص القرآن الكريم بخصائص كثيرة ولعل هذه الخصائص سبب الاختلاف في تعريف القرآن بين العلماء، فكل تعريف يذكر خاصية للقرآن يعرف بها لا يذكرها الآخر ولهذا تعددت التعريفات.

وللعلماء في تعريف القرآن الكريم صيغ متعددة بعضها طويل ولعل أقربها تعريفهم للقرآن بأنه: "كلام الله تعالى المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- المتعبد بتلاوته....[536]".

-تعريف علوم القرآن بالمعنى الإضافي:

لعلوم القرآن معنيان: معنى إضافي ومعنى علم على الفن المدون وإليك بيان ذلك:

-المعنى الإضافي:

يُعْلم أن الإضافة بين (علوم) و(القرآن) تشير إلى أنواع العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن الكريم سواء كانت خادمة للقرآن بمسائلها أو أحكامها أو مفرداتها، أو أن القرآن دل على مسائلها أو أرشد إلى أحكامها. فيشمل كل علم خدم القرآن أو استند إليه كعِلم التفسير وعِلم التجويد وعِلم الناسخ والمنسوخ وعِلم الفقه وعِلم التوحيد وعِلم الفرائض وعِلم اللغة وغير ذلك[537].

---

530 هو: أَبُو الحَسَن عَلِيّ بِن المُبَارَك اللِّحيَانِي الهذلي، من أئمة نحاة الطبقة الثالثة من المدرسة الكوفية في النَّحو امتاز بكثرة نقله وتدوينه للنوادر من اللغة. توفي سنة 207 هـ. ينظر: التنوخي، تاريخ العلماء النحويين. (206/1).

531 ينظر: عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن (55/1-56).

532 هو: أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، إمام النحو في زمانه، لزم المبرد ، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهما ، فنصحه وعلمه . ثم أدب القاسم بن عبيد الله الوزير ، فكان سبب غناه. توفي سنة 310 هـ. ينظر: المصدر السابق. (360/14).

533 ينظر: المرجع السابق.

534 هو: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير. توفي سنة 606 هـ. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام (226/34).

535 ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (30/4).

536 ينظر: سلامة، منهج الفرقان (21/1).

537 المرجع نفسه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

بل توسع بعض العلماء فعد منها عِلم الهيئة والفلك والجبر والهندسة والطب وغيرها والحق أنه وإن كان القرآن الكريم يدعو إلى تعلمها إلا أنه لا يجعل عدها مِن علوم القرآن هناك فرقًا كبيرًا بين الشيء يحث القرآن على تعلمه في عمومياته أو خصوصياته وبين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه.

وبهذا يظهر لك أن علوم القرآن بالمعنى الإضافي تشمل كل العلوم الدينية والعربية.

- معنى القرآن كفنٍ مدون:

ثم نقل المعنى الإضافي وجعل علمًا على الفن المدون وأصبح مدلوله كفن مدون أخص مِن مدلوله بالمعنى الإضافي.

ويعرف علوم القرآن كفن مدون بأنه: "مباحث تتعلق بالقرآن الكريم مِن ناحية نزوله وجمعه وقراءاته وتفسيره وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله ومكيه ومدنيه ونحو ذلك....[538]".

-موضوعات علوم القرآن:

هو القرآن الكريم مِن أية ناحية مِن النواحي المذكورة في التعريف.

-فضل علوم القرآن:

علوم القرآن الكريم مِن أفضل العلوم وأشرفها وأسماها كما قال ابن الجوزي -رحمه الله تعالى: "لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم....[539]".

-ثمرة[540] علوم القرآن:

1. تيسير تفسير القرآن الكريم فهي مفتاح باب التفسير ولا يصح لأحد أن يفسر القرآن الكريم قبل أن يتعلم علوم القرآن.
2. معرفة الجهود العظيمة التي بذلها السلف لدراسة القرآن الكريم وعنايتهم الكبرى به وبعلومه التي كان لها الأثر في حفظه مِن التغيير والتبديل. التسلح بمجموعة مِن المعارف القيمة التي تمكن مِن الدفاع عن هذا الكتاب العزيز ضد مَن يتعرض له مِن أعداء الإسلام، ويبث الشكوك والشبهات في عقائده وأحكامه وتعاليمه.
3. الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم.

---

[538] المرجع نفسه.

[539] ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير (11/1).

[540] ينظر: أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم. ص (74).

المطلب الثاني: مقارنة بين الإمامين في اهتمامها بعلوم القرآن الكريم

إن لِعلوم القرآن مواضيع كثيرة، وقد ذُكر سابقًا أن كل ما يتناول القرآن الكريم يعد موضوعا لعلوم القرآن الكريم، ولكن الباحث سوف يعقد المقارنة بين الإمام البغوي والإمام ابن عادل الدمشقي في علوم القرآن في ثلاثة مواضع؛ خشية التطويل والغير مناسب لمرحلة الماجستير، كما أن لهذه المواضيع الثلاثة أهمية كبرى في إظهار الفوائد مِن المقارنة، والمواضيع الثلاثة مِن موضوعات علوم القرآن التي سيتناولها الباحث ويعقد فيها المقارنة هي:

- أسباب النزول.
- الناسخ والمنسوخ.
- المحكم والمتشابه.

أولا: أسباب النزول:

تعريف أسباب النزول:

يتكون لفظ أسباب النزول مِن كلمتين مُركَّبتين، الأولى (أسباب) ومفردها سبب وهو كل ما يُتوَصل به إلى غيره[541]، والأسباب المراد بها هنا: "هي ما يَتوصل المسلم عن طريقه إلى تفسير الآيات القرآنية وفهم قصتها وإزالة الإشكال عنها[542]". أما الكلمة الثانية فهي (النزول) وهو مصدر للفعل نزل ينزل أي حَلَّ مِن الحلول[543]، ومعناه هنا: "نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.[544]" وينقسم هذا النزول على قسمين؛ الأول هو ما نزل ابتداء مِن غير سبب، وهو أكثر القرآن، والثاني هو ما نزل مرتبطًا بسبب، وهو أقل القرآن. وأسباب النزول بشكل عام هي الحوادث التي

---

[541] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: س ب ب (458/1).

[542] ينظر: سلامة، منهج الفرقان (46/1).

[543] ينظر: المصدر السابق. مادة: ن ز ل (556/11).

[544] ينظر: المرجع السابق. (28/1).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، والتي نزلت بشأنها الآيات القرآنية لتبيان حكمها أو الإجابة على الأسئلة المرتبطة بها[545].

ولقد اعتنى العلماء في علوم القرآن بعلم أسباب النزول، وذلك للاستعانة به على تفسير القرآن الكريم، وألف فيه جماعةٌ مِن العلماء، ومِن أشهر الكتب فيه:

- أسباب النزول للواحدي.
- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.

كما أن العلماء يعتمدون في معرفة أسباب النزول على صحة الرواية عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أو عن الصحابة، ويرون أنه لا يحل القولُ في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب.

فوائد أسباب النزول:

لمعرفة أسباب النزول فوائد منها[546]:

أولا: بيان الحكمة التي كانت وراء تشريع حكم مِن الأحكام، وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة.

وتظهر الحكمة جلية مثلا في آيات المواريث مِن سورة النساء.

Prince of Songkla University Pattani Campus

---

[545] المرجع نفسه. (46/1).

[546] ينظر: المرجع السابق. (46/1–48).

فعن جابر قال: جاءت امرأةُ سعد بن الربيع[547] إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بابنتيها من سعد، فقالت: يا رسول الله، هاتان ابْنَتَا سعْدٍ قُتِلَ معَكَ يومُ أحدٍ، إنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ جَميعَ مَا تَرَكَ أبوهُمَا، وَإنَّ المرأَةَ لَا تُنْكَحُ إلَّا علَى مالِها فَسَكَتَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حتى أُنْزِلَتْ آيَةُ الميراثِ فدَعَا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أخا سعدِ بنِ الربيعِ فقال: ((اعطِ ابْنَتَيْ سعدٍ ثُلُثَيْ مالِهِ واعْطِ امرأَتَهُ الثمنَ وخذْ أنتَ مَا بَقِيَ[548])).

فسببُ نزول هذه الآيات في الميراث يُبيّن الحكمةَ في تشريع الميراث، والحكمةَ مِن جعل نصيب للبنت، وهو ما لم يكن معهودًا في الجاهلية، فلم تكن العربُ تعطي للنساء شيئًا مِن الميراث ، فجاء الإسلامُ فأصلح هذا الوضع المعوجَّ الذي تُظلم المرأة فيه، وتَبيَّنتِ الحكمةُ مِن أن النساء لهن نصيب مما ترك الوالدان والأقربون كالرجال تمامًا وإن اختلفت الأنصبة.

ثانيا: تخصيص حكم ما نزل إن كان بصيغة العموم بالسبب عند مَن يرى العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، وقد مُثّل لهذا بقوله تعالى: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران: 188].

روى البخاري ومسلم أن مروان بن الحكم[549] قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كلُّ امرئ فَرِحَ بما أتى وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذبًا لنُعذَّبنَّ أجمعون، قال ابن عباس: وما لكم ولهذه؟ إنما دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يهود، فسألهم عن شيء، فأخبروه بغيره، فأروه أنهم قد استحمدوا إليه بما أخبروه، وفرحوا بما أتوا مِن كتمانهم[550].

ثالثا: معرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن، وكشف الغموض الذي يكتنف معاني بعض الآيات في تفسيرها.

وبعضُ الآيات لا يمكن الكشفُ الجلي عن معناها وتفسيرها ما لم يراجع سببُ النزول؛ ذلك أن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب، ومن أمثلة ذلك ما ورد في الفقرة الماضية من تفسير قوله تعالى: {لَا

---

547 هو: الصحابي الجليل سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير، من بني كعب بن الخزرج الأنصاري. شهد بيعة العقبة الثانية، وكان أحد نقباء الأنصار يومها. وشهد غزوتي بدر وقُتل يوم أحد. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (318/1).

548 الحديث حسن، أخرجه الترمذي، كتاب الفرائض، باب: ما جاء في ميراث البنات، الحديث رقم (2092).

549 هو: مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، رابع خلفاء الدولة الأموية، حكم بين فترة 64 هـ – 65 هـ، توفي سنة 65 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (476/3).

550 ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: (لا يحسبن....) حديث رقم (4315).

تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا...} [آل عمران: 188]، فقد كشف ابنُ عباس ببيان سبب النزول عن معنى الآية.

وسؤال يتبادر إلى الأذهان، هل هناك تعدد في أسباب النزول؟

ذكر أهل العلم أن سبب النزول إذا تعدد فهناك احتمالات ثلاثة:

1- إما أن يكون الجميعُ غيرَ صريح في السببية.

2- وإما أن يكون الجميعُ صريحًا في السببية.

3- وإما أن يكون البعض صريحًا في السببية والبعض غير صريح.

فإذا كان الجميع غير صريح في السببية فلا ضرر؛ إذ يحمل الجميع على أنه تفسير للآية أو بيان للحكم المأخوذ منها.

وإذا كان بعضُه صريحًا وبعضُه غيرَ صريح، فالمعتمد عند المجتهد هو الصريح دون غيره.

ومثاله: قول جابر: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجلُ امرأتَه من دُبُرها في قُبُلها كان الولدُ أحولَ، فنزلت {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} رواه البخاري ومسلم[551].

فهذه الرواية هي المعتمدة أما كلام ابن عمر: أنزلت في إتيان النساء في أدبارهن[552] رواه البخاري. فليس بنص في سبب النزول، فيحمل كلامه على أنه استنباط وتفسير.

وإذا كان الجميع صريحًا، فلا يخلو الأمرُ من أن يكون البعضُ صحيحًا والبعضُ غير صحيح من جهة السند، فالصحيح الصريح هو المعتمد.

ومثال على ذلك: روايتان في سبب نزول سورة الضحى:

إحداهما: ما رواه الشيخان عن جُندَب البَجَلي[553] قال: اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فأتته امرأةٌ فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم يقربك ليلتين أو ثلاثا، فأنزل الله {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى: 1-3]. رواه الشيخان[554].

---

[551] ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (نساؤكم حرث....) الحديث رقم (4276).

[552] المصدر نفسه.

[553] هو: الصحابي جُنْدَبُ بنُ عبد الله بن سُفيان البَجَلي العَلقي، سكن الكوفة ثم انتقل إلى البصرة. توفي سنة 70 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (3/174-175).

[554] ينظر: المصدر السابق. حديث رقم (1085).

Prince of Songkla University Pattani Campus

والثانية: رواها الطبراني[555]: عن حفص بن ميسرة القرشي[556] قال: حدثتني أمي عن أمها – وكانت خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم–: أن جروًا دخل البيت ودخل تحت السرير ومات، فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أيامًا لا ينزل عليه الوحي، فقال: "يا خولة ما حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ جبريل لا يأتيني، فهل حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث؟!"، فقلت: ما أتى علينا يوم خيرٌ من يومنا، فأخذ برده فلبسه وخرج، فقلت: لو هيأت البيت وكنسته، فأهويتُ بالمكنسة إلى السرير، فإذا شيء ثقيل فلم أزل حتى أخرجته، فإذا جرو ميت، فأخذته بيدي فألقيته خلف الدار، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته، وكان إذا أتى الوحي أخذته الرعدة، فقال: "يا خولة دثريني"، فأنزل الله عز وجل { وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } [الضحى: 1-3][557].

فالرواية الأولى هي المعتمدة لصحة السند إذ هي في الصحيحين، وأما رواية الطبراني فضعيفة[558].

– **مقارنة بين الإمامين في اهتمامها بأسباب النزول:**

اهتم الإمام البغوي كثيرا بأسباب النزول، فهو يذكر سبب النزول قبل أن يقوم بتفسيره الآية حتى وإن كان سبب النزول ضعيفا، مثل عند تفسير قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء:60] فقد ذكر هنا سببين للنزول، أحدهما ضعيف وهو : وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر، كان بينه وبين يهودي خصومة..... وقال: انطلق بنا إلى عمر رضي الله عنه، فأتيا عمر، فقال اليهودي: اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه يخاصم إليك، فقال عمر رضي الله عنه للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، قال لهما رويدكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه

---

555 هو: أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللَّخمي الشامي الطبراني، وسمي الطبراني نسبة إلى طبرية الشام قصبة كورة الأردن، أحد رواة الحديث المشهورين. توفي سنة 360 هـ. ينظر: المصدر السابق. (120/16-130).

556 ينظر: الرازي، الجرح والتعديل (174/3).

557 ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، الأحاديث رقم (24-249-636).

558 ينظر: شهاب الدين البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة (103/6).

ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد، وقال: هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله.... [559]". وهذه رواية باطلة، ويسمي العلماء السلسلة التي جاءت فيها سلسلة الكذب[560].

وإن كان للآية أكثر مِن سبب نزول، فيذكرها دون ترجيح، كما في قوله تعالى: {ولله المشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ .....} [البقرة: 115][561].

وأحيانًا يرجح أحد هذه الأقوال، كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ....} [المائدة:41][562].

كذلك الإمام ابن عادل الدمشقي فلأهمية علم أسباب النزول فإنه يستوفي في تفسيره جميع الروايات في أسباب النزول، حتى الواهية، مثل سلسلة الكذب (من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس)، يسوق هذا السند للتنبيه على ضعف الرواية، كما في الآية السابقة وهي قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ....} [النساء:60][563].

وفي قوله تعالى: {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى: 1-3]:

ساق الإمام البغوي في تفسيره ثلاث روايات في سبب نزول الآيات السابقة، وهي:

---

559 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (243/2).

560 ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (497/2-498).

561 ينظر: المصدر السابق. (139/1).

562 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (55/3-57).

563 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (453/6 وما بعدها).

-**الرواية الأولى**: ذكرها بسنده عن جُنْدُبَ بْنَ سُفْيَانَ قَالَ اشْتَكَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُوَ أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرَبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالضُّحى * وَاللَّيْلِ إِذا سَجى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى}[564] .ثم ذكر أن المرأة التي قالت ذلك أم جميل امرأة أبي لهب.

-**الرواية الثانية**: أن سبب نزول الآية هو أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَعَنِ الرُّوحِ فَقَالَ: ((سَأُخْبِرُكُمْ غَدًا، وَلَمْ يَقِلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَاحْتَبَسَ عَنْهُ الْوَحْيُ[565])).

-**الرواية الثالثة**: سبب احتباس جبريل عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب أن جروا كان في بيته عليه الصلاة والسلام، إذ لما عاتب الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل قال له جبريل: ((إنا لا ندخل بيتا في كلب ....[566])).

أما الإمام ابن عادل فبعد أن أسهب في بيان معاني المفردات ومسائل اللغة، عقد فصلا في سبب نزول الآية، وبين مدة انقطاع الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء بجميع الروايات التي وردت في سبب نزول الآية حتى وإن كانت ضعيفة، وهذه الروايات[567] هي:

-الرواية الأولى: قال المشركون: إن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قلاه ربه وودعه، ولو كان أمره من الله لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء، فنزلت هذه الآية.

-الرواية الثانية: الحديث السابق الذي أخرجه البخاري أن امرأة وهي أم جميلة-قالت: يا محمدُ، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك...".

---

564 ينظر: المصدر السابق. (265/5).

565 ينظر: المصدر السابق.

566 الحديث أخرجه الواحدي وهو ضعيف. ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد (138/7)، الواحدي، أسباب النزول (458/1).

567 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (384/20-385).

Prince of Songkla University Pattani Campus

-الرواية الثالثة: أبطأ جبريل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى شق عليه، فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو، فنكت بين كتفيه، وأنزل عليه: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى)

-الرواية الرابعة: نزلت بسبب جرو مات في بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهي رواية ضعيفة.

-الرواية الخامسة: قيل: لما سألته اليهود عن الروح، وذي القرنين وأهل الكهف، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أُخْبِرُكُمْ غداً" ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي...)).

ومِن خلال المقارنة تبين أن كلا الإمامين يهتمان بأسباب النزول في إظهار المعنى الصحيح للآية الكريمة، وكان الإمام ابن عادل أكثر رواية مع اهتمامه وإسهابه في مسائل اللغة وربطها مع أسباب النزول.

والفرق أن الإمام البغوي يذكر جميع الروايات في أسباب النزول بإسناد متصل، وَمَنْ أسندك فقد أحالك، أما الإمام ابن عادل فيذكرها مباشرة دون ذكر السند وهو الفرق بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي في مجال إسناد الروايات، فالتفسير بالمأثور يتميز بإسناد الروايات دون التفسير بالرأي والله أعلم.

- **ثانيا: الناسخ والمنسوخ**

الناسخ والمنسوخ مِن أهم مباحث علوم القرآن التي يجب أن يحيط بها المفسر علماً؛ لأن معرفة ذلك ذات أهمية كبرى؛ لما لهذا العلم مِن الأثر البارز في بيان المراد مِن كلام الله تعالى، فهو متعلق بنصين مِن القرآن الكريم، يتفرع عليهما حكمان متغايران في النفي والإثبات، فالنفي يكون للمنسوخ، والإثبات يكون للناسخ، وعلى هذا يكون المنسوخ مرفوعاً، أو منتهي الأمد، والناسخ رافعاً، أو مثبتاً لحكم جديد للموضوع ذاته، وذلك بحسب طبيعة النص القرآني في الأحكام والقضايا والحوادث.

Prince of Songkla University Pattani Campus

- **تعريف الناسخ والمنسوخ:**

النسخ في اللغة: بمعنى الإزالة والتحويل والنقل، يقال: "نسخت الشمس الظل وانتسخته: أزالته[568]".

واصطلاحا: "رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه[569]"، أي: أن النسخ لا يقع إلا في الأحكام الشرعية ولا نسخ إلا بحكم شرعي.

- **أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ:**

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لقاص: "أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ فقال له: لا. قال له: هلكت وأهلكت[570]".

ولما كان المراد بالنسخ: إحلال حكم مكان حكم لمصلحةٍ معلومة أو مجهولة فالناسخ هو المتأخر نزولاً في القرآن والمنسوخ هو المتقدم نزولاً في القرآن[571].

فيكون لمعرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ أهمية مزيدة حيث أن المتأخر ينسخ المتقدم ويرفع مثل حكمه لما يأتي، فيسهم في تغاير الفهم أيضاً. وقد تقتضي الحكمة أن يكون مفاد آية نسخ مفاد غيرها الأسهل بما هو أثقل وأشق بما يوافق التدرج أو غير ذلك، وقد يكون بالأخف لانتفاء الحاجة إلى الكلفة الزائدة على الأول لدواعي الحكمة أيضاً، وهو ما يعبّر عنه بالنسخ بالأخف إلى غير ذلك مِن التخيير ونسخ الوجوب بمعين، ....[572].

---

568 ينظر: الجوهري، الصحاح، مادة: نسخ (433/1) ، الزركشي، البرهان في علوم القرآن (29/1).

569 ينظر: جلال الدين المحلي، شرح الورقات. ص (29).

570 ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (28/1).

571 ينظر: الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن. ص (55).

572 ينظر: المصدر السابق.

Prince of Songkla University Pattani Campus

مثال لتوضيح أهمية فهم الناسخ والمنسوخ:

قال الله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} [البقرة: 217]، فالآية تفيد حرمة القتال للمشركين في الأشهر الحرم الأربعة؛ وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، وقد روى ابن جرير عن عطاء بن ميسرة[573]: أنها منسوخة بقوله تعالى: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} [التوبة: 36][574]، ونقل أبو جعفر النحاس[575] إجماعَ العلماء[576] على ذلك، ما عدا عطاء، وبيان ذلك أن الآية الثانية قد أفادت عموم قتال المشركين، المستلزم لعموم الأزمان، ومما يدعم هذه الإفادةَ ما جاءت به كتبُ السيرة أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسَلَّم – قاتَلَ هوازنَ بحُنَيْن، وثقيفًا بالطائف في شوال وذي القعدة سنة ثمانٍ مِن الهجرة، وذو القعدة أحدُ الأشهر الحرم، وما جاء كذلك في سبب نزول هذه الآية، كما أخرجه ابن جرير عن جندب بن عبدالله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطًا، وبعث عليهم عبدالله بن جحش[577]، فلقُوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم الذي قتلوه فيه، هو مِن جمادى أو مِن رجب، فعيَّرهم المشركون، وقالوا للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ....} [البقرة: 217] الآية، فلما نزلت فَهِم بعض المسلمين أنها لرفع الوزر، لا لثبوت الأجر. فنزل بعد ذلك قوله تعالى: عقيب تلك الآية: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ....} [البقرة: 218].

وإذا تتبع الباحث مكان الآية الثانية وجدها متممة لآية الأشهر الحرم، هكذا: { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ

---

[573] هو:عطاء بن مسلم بن ميسرة الخراساني، نزيل بيت المقدس من العبَّاد الزُّهاد.... توفي سنة 135 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء. (6/141-142).

[574] ينظر: الطبري، تفسير الطبري (4/315).

[575] هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، النحوي، المصري. ولد بالفسطاط وأخذ النحو عن مشايخها، ثم رحل إلى بغداد وأخذ عن الزجّاج والأخفش الأصغر والمبرد ونقطويه. توفي سنة 338 هـ. ينظر: السمعاني، الأنساب (5/361).

[576] أبو جعفر النحاس، الناسخ والمنسوخ في القرآن. ص (121).

[577] هو: عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي، من السابقين إلى الإسلام وهاجر إلى الحبشة وشهد غزوة بدر، واستشهد يوم أحد رضي الله عنه وأرضاه. ينظر: ابن الأثير الجزري (3/194-195).

الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً .....} [التوبة: 36]، فتكون حرمة الأشهر الحرم لا تزال باقية، هي في الامتناع عن المعاصي عمومًا؛ لأنها فيها أشد وزرًا، وأعظم نُكرًا منها في غيرها، وقتال المشركين ليس مِن قبيل المعاصي، وقيل: إن النسخ وقع بقوله تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ....} [التوبة: 5]، وأيًّا ما كان القول، فقد وقع النسخ، وانتهى حكم سابق، اقتضت الحكمة بقاءه فترة من الزمان، ثم اقتضت تلك الحكمة إنهاء الحكم المؤقت، وإعلان حكم جديد لعهد جديد[578].

- **مقارنة بين الإمامين في تعرضهما للناسخ والمنسوخ**

لقد تحدث الإمام البغوي عن النسخ بشكل مفصل عند تفسيره لقوله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا....} [البقرة:106]. فعرف النسخ، وذكر أنواعه ومثل لكل نوع بمثال، قال عند هذه الآية: "والنسخ في اللغة شيئان: أحدهما: بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول مِن كتاب إلى كتاب....".

"والثاني: يكون بمعنى الرفع يقال: نسخت الشمس الظل أي ذهبت به وأبطلته. فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه منسوخا وهو المراد مِن الآية، وهذا على وجوه، أحدها: أن يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للأقارب. وآية عدة الوفاة بالحول وآية التخفيف في القتال ....."، ثم قال: "ومنها أن ترفع تلاوتها ويبقى حكمها مثل آية الرجم، ومنها أن ترفع تلاوته أصلا عن المصحف ....[579]" ثم ذكر أيضا "ومنها ما يرفع ولا يقام غيره مقامه، كامتحان النساء...."وختم بقوله: "والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار....[580]".

ويحرص الإمام البغوي ذكر موضوع النسخ الذي تطرق إلى الآية، وهذا كثير وعلى سبيل المثال: عند قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ....} [البقرة:240] قال: "كانت عدة

---

578 هناك مسائل تتعلق بالناسخ والمنسوخ، كالفرق بين النسخ والبداءة، والنسخ والتخصيص، ومسألة وقوع النسخ شرعا وعقلا ليس في مجال الباحث الحديث عنها جميعا، ويحيل الباحث إلى مصادرها لمزيد الاطلاع: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (2:280-44) ، سلامة، منهج الفرقان (2/85-124).

579 ينظر: البيهقي، دلائل النبوة (7/157).

580 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (1/133-134).

الوفاة في ابتداء الإسلام حولا كاملا وكان يحرم على الوارث إخراجها مِن البيت قبل تمام الحول، وكانت نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج، ولم يكن لها الميراث، فإن خرجت مِن بيت زوجها سقطت نفقتها، وكان على الرجل أن يوصي بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث، فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثمن ....[581]".

وحتى وإن كان هناك اختلاف في نسخ الآية بين العلماء يذكرها دون ترجيح، مثال في قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ...} [البقرة:180]: فقد بين أن الوصية كانت فريضةً في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين على من مات وله مال، ثم نسخت بآية الميراث، ثم نقل بعد ذلك الخلاف بين العلماء القائلين بالنسخ، فمنهم مَن قال أنَّها منسوخةٌ في حق الكافَّة مَن يرث ومَن لا يرث، ومنهم مَن قال أنَّها منسوخةٌ في حقِّ القرابة الوارثين وباقية في حقِّ من لا يرث منهم، دون أن يرجح أحد القولين[582].

والإمام البغوي يذكر كثيرا بنسخ الآية التي تأمر بالعرف والإعراض عن الكفار، وأنها منسوخة بآية السيف، نجد هذا عند تفسيره لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ...} [الأنعام:159]، قال: "نسختها آية القتال[583].

والمعلوم بأن آيات العفو والصفح ليست منسوخة، بل إنها من قبيل انتهاء الحكم لزوال علته، كما ذكره الزركشي[584].

وكذلك اهتم الإمام ابن عادل الدمشقي بالناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم وخصوصا في النوع الذي بقي رسمه ونسخ حكمه، فما مِن آية وردت فيها القول بالنسخ إلا أورده، وإن اختلف العلماء القول بنسخ الحكم في الآية.

مثال قوله تعالى: {مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء:80]، بعد أن أورد سبب نزول الآية وتفسير ألفاظها، أورد رأي من قال بنسخها "قيل: نسخ الله – عز وجل – هذه الآية بآية السيف، وأمره بقتال من خالف الله ورسوله....[585].

والمعروف عند العلماء بعدم النسخ في هذه الآية[586].

---

[581] المصدر نفسه. (291/1).

[582] المصدر نفسه. (193/1).

[583] المصدر نفسه. (208/3).

[584] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (42/2).

[585] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (516/6).

Prince of Songkla University Pattani Campus

أمثلة تطبيقية للمقارنة بين الإمامين في تناولهما لمسألة النسخ:

في قوله تعالى: {وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً} [النساء: 15].

ذكر الإمام البغوي المراد مِن الفاحشة وهي الزنا، وإنه في أول الإسلام الزانية التي ثبتت عليها الزنا بأربعة شهود مِن المسلمين تُحبس في البيت حتى الموت ، ثم إن هذه الآية نسخ حكمه بعد أن جاءت آية الحدود، وهي الجلد والتغريب في حق البكر، والجلد والرجم في حق الثيب، وساق لها أحاديث بسند متصل على نسخ حكم حبس الزانية حتى الموت بالحدود، ومنه حديث بسند متصل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ[587]".

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فقد ذكر أولا المناسبة بين هذه الآية والآيات السابقة، فبعد أن جاءت الآيات السابقة في الحث على الإحسان إلى النساء إليهن، جاءت الآية هنا بالتغليظ في حق مَن أتت بالفاحشة وهي في الحقيقة إحسان إليهن وذلك من أجل درء المفاسد[588].

بعد ذلك أخذ يبين معاني الألفاظ والتعرض للمسائل اللغوية والإعراب ، ثم بعد ذلك عقد فصول وهي:

-فصل: في الفاحشة ولم خصت بالزنا دون غيرها من القتل والكفر[589].

-فصل: في الشهود في الزنا، ويشترط أربعة شهود مِن المسلمين سترًا للعباد[590].

-فصل: (قال جمهور المفسرين) وهنا يذكر الإمام ابن عادل في هذه الآية، المرأة التي زنت وشهد عليها أربعة شهود من المسلمين أنها تحبس حتى الموت وذلك قبل نزول آية الحدود، ثم نُسخ هذا الحكم بآية الحدود وهو قول جمهور المفسرين.

أما أبو مسلم فلا يرى نسخ في هذه الآية؛ لأن المقصود بالفاحشى في الآية في حق السحاقيات الحبس إلى الموت، ودليله قوله تعالى: (واللاتي) وفي حق اللواط، الأذى بالقول، ودليله قوله تعالى:

---

[586] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (42/2).

[587] ينظر: البغوي، معالم التنزيل (582/1-583).

[588] ينظر: المصدر السابق. (236/6).

[589] المصدر نفسه.

[590] المصدر نفسه.

(واللذان) وفي حق الزنا بين الرجل والمرأة الجلد والتغريب في حق البكر، والجلد والرجم في حق المحصن ودليله الآية في سورة النور[591].

ثم ساق الوجوه في إبطال قول أبي مسلم، وهي:

1- أنَّ هذا قول لم يقله أحدٌ من المفسّرين المتقدّمين.

2- أنَّه روي في الحديث أنَّهُ عليه الصلاة والسَّلام قال: "قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً الثَّيِّبُ تُرْجَمُ وَالْبِكْرُ تُجْلَدُ". وهذا يدلُّ على أنَّ هذه الآية نازلة في حقِّ الزُّنَاةِ.

3- أنّ الصحابة اختلفوا في حكم اللِّواط، ولم يتمسّك أحد منهم بهذه الآية، فعدم تمسكهم بها مع شدَّةِ احتياجهم إلى نَصٍّ يدلُّ على هذا الحكم من أقوى الدَّلائل على أنَّ هذه الآية ليست في اللواطة.

وأجاب أبو مسلم عن الأوَّل بأنَّ هذا الإجماع ممنوع، فلقد قاتل بهذا القول مجاهدق، وهو من أكابر المفسرين، وقد ثبت في أصول الفقه أنَّ استنباط تأويل جديد في الآية لم يذكره المتقدمون جائز.

والجوابُ عن الثَّاني أنَّ هذا يفضي إلى نسخ القرآن بخبر الوَاحِدِ، وإنَّهُ غير جائز.

وعن الثَّالِثِ أن مطلوب الصَّحابة أنَّهُ هل يُقام الحدُّ على اللوطي وليس في هذه الآية دلالة على نفي ولا إثبات فلهذا لم يرجعوا إليها[592].

ولم يرجح ابن عادل الدمشقي أي الرأي أصوب، ولعل ابتدائه بقول جمهور المفسرين يرى أنه القول الراجح والله أعلم.

ثالثا: المحكم والمتشابه

المسألة الأولى: تعريف المحكم والمتشابه

المحكم والمتشابه لفظان متقابلان إذا ذكر أحدهما استدعى الآخر ضرورة.

---

591 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (240/6).

592 المصدر نفسه.

فالمحكم لغة: اسم مفعول من الفعل أحكم، وأصله الثلاثي حكم، الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع.

ويأتي في اللغة على معنيين:

الأول: الإتقان، يقال: أَحْكَم الأمر إذا أتقنه، وأَمْرٌ مُحْكَم أي متقن.

الثاني: المنع، تقول العرب حكمت وأحكمت بمعنى منعت ورددت، ومنه قيل للحاكم بين الناس حاكم؛ لأنه يمنع الظالم مِن الظلم.

وكلا المعنيين قريبٌ مِن المعنى الاصطلاحي، فالمحكم: متقن يمنع اختلاط واشتباه غيره به[593].

تعريف المتشابه لغة: المتشابه اسم فاعل من الفعل تشابَه، وأصله الثلاثي شبه، الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفًا[594].

ولما كان التماثل بين الأشياء يؤدي إلى الشك والحيرة، ويُوقع الالتباس، توسعوا في اللفظ، وأطلقوا عليه اسم "المتشابه".

يقال: اشتبه الأمر عليه، أي التبس عليه[595].

تعريف المحكم والمتشابه عند أهل التفسير:

اختلف تعريف المحكم والمتشابه إلى آراء كثيرة؛ لعل الباحث يرجح تعريف الرازي، وهو: "أن المحكم ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر أما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة وهو المجمل والمؤول والمشكل[596]".

وكان تعريف الرازي جامع مانع؛ لأن أمر الإحكام والتشابه يرجع فيما يُفهم إلى وضوح المعنى المراد للشارع مِن كلامه وإلى عدم وضوحه، ومِن هذه الناحية لا يدخل في المحكم ما كان خفيًا ولا في المتشابه

---

593 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: حكم (270/3).

594 ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (243/3).

595 ينظر: الفراهيدي، باب: العين (404/3).

596 هناك تعاريف كثيرة مختلفة للمحكم والمتشابه عند الأصوليين، والباحث أثبت التعريف عند المفسرين، وهي كذلك لها تعاريف مختلفة نظرا لاختلافهم لتفسير معنى التأويل في قوله تعالى: {وما يعلم تأويله إلا الله} [آل عمران: 7]. لمزيد من الاطلاع ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (68/2-77) الزرقاني، مناهل العرفان (274/2).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ما كان جليًا لأنه استوفى وجوه الظهور والخفاء استيفاءً تامًا في بيان تقسيمه الذي بناه على راجح ومرجوح والذي أعلن في كلامه منه أن الراجح ما كان واضحًا لا خفاء فيه وأن المرجوح ما كان خفيًا لا جلاء معه[597].

المسألة الثانية: كلام الإمامين في المحكم والمتشابه:

ذكر الإمام البغوي: "بأن المحكم هو المقصود مِن قوله تعالى: {آيات محكمات}، أي: مبينات مفصلات سميت محكمات من الإحكام لإحكامها فمنع الخلق مِن التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها....[598]". والمتشابه مِن قوله تعالى: {وأخر متشابهات} وعلل كون القرآن متشابهًا؛ لأن بعضه يشبه بعضًا في الحق والصدق....[599]".

ثم بعد ذلك ذكر اختلاف العلماء في المعنى المراد مِن المحكم والمعنى المراد مِن المتشابه: "فقال ابن عباس رضي الله عنهما: المحكمات هن الآيات الثلاث في سورة الأنعام: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم} [الأنعام: 151]، ونظيرها في بني إسرائيل: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه} [الإسراء: 23] وعنه أنه قال: المتشابهات حروف التهجي في أوائل السور. وقال مجاهد وعكرمة: المحكم ما فيه مِن الحلال والحرام، وما سوى ذلك متشابه يشبه بعضه بعضًا في الحق ويصدق بعضه بعضًا كقوله تعالى: {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} [البقرة: 26]، {وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} [يونس: 100] وقال قتادة والضحاك والسدي: المحكم الناسخ الذي يعمل به والمتشابه المنسوخ الذي يؤمن به ولا يعمل به. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: محكمات القرآن: ناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما يؤمن به، ويعمل به والمتشابهات: منسوخه، ومقدمه، ومؤخره، وأمثاله، وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به. وقيل:....[600]".

---

[597] المراجع نفسها.

[598] ينظر: البغوي، معالم التنزيل (409/1).

[599] المصدر نفسه.

[600] ينظر: البغوي، معالم التنزيل (409/1).

Prince of Songkla University Pattani Campus

والإمام ابن عادل نقل عن الإمام البغوي في اختلاف العلماء في المعنى المراد مِن المحكم والمتشابه مِن المفسرين المتقدمين، إلا أنه أورد قولًا ارتضاه للفخر الرازي، وهو التعريف الذي أثبته الباحث سابقًا في تعريف المحكم والمتشابه. قال الإمام ابن عادل: "قال ابن الخطيب: فهذا تحقيق القول في المحكم والمتشابه بحسب أصل اللغة، والناس قد أكثروا في تفسير المحكم والمتشابه، ونحن نذكر الوجه الملخص الذي عليه أكثر المحققين ثم نذكر عقيبه أقوال الناس فيه فنقول: إذا وضع اللفظ لمعنى فإما أن يحتمل غيره أو لا، فإن كان لا يحتمل غيره فهو النص، وإن احتمل غيره فإما أن يكون احتماله لأحدهما راجحًا على الآخر، فيكون بالنسبة إلى الراجح ظاهرًا، وبالنسبة إلى المرجوح مؤولًا، وإن كان احتماله لهما على السوية، فيكون اللفظ بالنسبة إليهما معًا مشتركًا، وبالنسبة إلى كل واحدٍ منهما على التعيين مجملًا، فحصل مِن هذا التقسيم أن اللفظ، إما أن يكون نصًا، أو ظاهرًا، أو مؤولًا، أو مشتركًا، والنص والظاهر يشتركان في حصول الترجيح، إلا أن النص راجحٌ مانعٌ مِن الغير، فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمحكم، أما المجمل والمؤول، فهما يشتركان في أن دلالة اللفظ عليه غير راجحة وإن لم يكن راجحا، أو غير مرجوح، والمؤول – مع أنه غير راجح – فهو مرجوح، لا بحسب الدليل المنفرد ، فهذا القدر المشترك هو المسمى المتشابه؛ لأن عدم الفهم حاصلٌ في القسمين جميعًا، وقد بينا أن ذلك يسمى متشابهًا، إما لأن الذي لا يعلم يكون النفي فيه مشابهًا للإثبات في الذهن، وإما لأجل أن الذي يحصل فيه التشابه يصير غير معلوم، فيطلق لفظ (المتشابه) على ما لا يعلم؛ إطلاقًا لاسم السبب على المسبب فهذا هو الكلام المحصل في المحكم والمتشابه[601]".

---

[601] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (32/5). وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (137/7).

فنتيجة المقارنة بين الإمامين في المحكم والمتشابه؛ أن الإمام البغوي ذهب إلى تعريف المحكم والمتشابه بما ذهب به المفسرين المتقدمين، وأن الإمام ابن عادل الدمشقي نظر إلى المحكم والمتشابه مِن خلال دلالتهما اللغوية.

المسألة الثالثة: موقفهما مِن الوقف والابتداء في قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا} [آل عمران: 7].

اختلف العلماء في قراءة الآية السابقة:

الأول: الوقف عند والراسخون في العلم ف(الواو) حينئذ عاطفة، والمعنى أن الراسخون يعلمون تأويل المتشابه. وهو قول ابن عباس، ومجاهد[602].

الثاني: الوقف عند (الله) فيكون (الواو) استئنافية، والمعنى أن الراسخون في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه ويكلون تأويله إلى الله سبحانه وتعالى. وأكثر العلماء على القول الثاني، وهو قول أبي بن كعب، وعائشة، وعروة بن الزبير، ورواية طاوس عن ابن عباس وبه قال الحسن، وأكثر التابعين، واختاره الكسائي، والفراء، والأخفش[603].

وكلا الإمامين ذكرا اختلاف العلماء في قراءة الآية السابقة، وكلاهما اتفقا على القول الثاني: وهو الوقف على (الله) والواو في (والراسخون) استئنافية. بَيْدَ أن الإمام ابن عادل الدمشقي علل ترجيحه للقول الثاني، فقال: "وهذا القول أقيس في العربية وأشبه بظاهر الآية، ويدل لهذا القول وجوه:

-ذم طالب المتشابه.

-مدح قول الراسخين في العلم بقولهم: (آمنا به) فلو كانوا عالمين بتأويل المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الإيمان به مدح؛ لأن كل مَن عرف شيئًا على سبيل التفصيل، فلا بد وأن يؤمن به.

---

602 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (32/5).

603 المصدر نفسه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

-قوله: (كل من عند ربنا) معناه أنهم آمنوا بما عرفوا تفصيله، وبما لا يعرفون تفصيله، ولو كانوا عالمين بالتفصيل في الكل، لم يبق لهذا الكلام فائدة.

-نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تفسير القرآن على اربعة أوجه: تفسير لا يسمع أحدا جهله، وتفسير تعرفه العرب بألسنتها، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى.

وسئل مالك بن أنس عن قوله تعالى: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه:5] فقال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[604]".

المبحث التاسع: موقف الإمام البغوي والإمام ابن عادل الدمشقي من مسائل علم الكلام

المطلب الأول: تعريف علم الكلام

يشير علم الكلام باختصارٍ إلى الكلام، وعلماء أهل الكلام يعرفونه: "بأنه عِلم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد[605]".

المطلب الثاني: نشأته وأهدافه

سبب نشأة عِلم الكلام هو الرد على المبتدعة، الذين أكثروا مِن الجدال مع علماء المسلمين، وأوردوا شُبها على ما قرره الأوائل، فاحتاج العلماء مِن أهل السنة إلى مقاومتهم ومجادلتهم ومناظرتهم حتى لا يلبسوا على الضعفاء أمر دينهم، وحتى لا يُدْخِلُوا في الدين ما ليس منه، ولو ترك العلماء هؤلاء الزنادقة وما يصنعون؛ لاستولوا على كثيرٍ مِن عقول الضعفاء وعوام المسلمين، والقاصرين مِن فقهائهم وعلمائهم، فأضلوهم وغَيَّروا ما عندهم مِن الاعتقادات الصحيحة.

وقبل تصدي هؤلاء العلماء لهم لم يكن أحد يقاومهم، وسكوتهم هذا أدى إلى نشر كلام هؤلاء الزنادقة حتى اعتقده بعض الجاهلين، فكان لِزَامًا على علماء المسلمين أن يقوموا بالرد على هؤلاء مِن

---

[604] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (5/40-41) وينظر: البغوي، معالم التنزيل (1/412).

[605] ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون. ص (429) وينظر: عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام. ص (7) الفارابي، إحصاء العلوم. ص (41).

Prince of Songkla University Pattani Campus

خلال تعلمهم هذا العلم ونبوغهم فيه؛ لأن إفحامهم بنفس أدلتهم أدعى لانقطاعهم، وإلزامهم الحق، فردوا عليهم وأبطلوا شبههم، وكانت طريقتهم في الرد هي إثبات العقائد الإسلامية، والاستدلال عليها بما هو مِن جنس حُجَجِ القرآن، مِن الكلمات المؤثرة في القلوب، المقنعة للنفوس، مِن الأدلة الجلِيَّة الظاهرة[606].

ويُعد عِلم الكلام مِن العلوم الخادمة لعلوم الدين والممهدة لإثبات المسائل الشرعية، والنافعة في إقامة الحجج ودفع الشبه، وقد درج العلماء على ذكر المقولات في كتب علم الكلام وأصول الفقه، مثل كتاب (أبكار الأفكار) للإمام سيف الدين الآمدي[607]، و(غاية الوصول) لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري[608]. بل إن عدداً مِن علماء الأصول افتتحوا كتبهم الأصولية بمباحث عقلية مِن عِلم المنطق وعِلم الكلام مثل (المستصفى) للإمام الغزالي[609]، و(مختصر ابن الحاجب)[610]" الأصولي. كما أن هذه العلوم العقلية تمكن العالم مِن المجادلة بالحكمة والحسنى، وهو أمر مطلوب؛ لقول الله تعالى: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ....} [النحل:125][611].

Prince of Songkla University Pattani Campus

606 ينظر: التفتازاني، شرح التوضيح على التلويح (8/1).

607 هو: سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم بن محمد العلامة الآمدي التغلبي الحنبلي ثم الشافعي. فقيه أصولي وباحث. ولد في آمد من ديار بكر ونُسب إليها، برع في مصر حتى حسدوه بعض الفقهاء وخرج إلى حماة ومن ثم إلى دمشق وتوفي بها سنة 631 هـ. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات (225/21).

608 هو: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي ثم القاهري الأزهري الشافعي. ولد سنة 826 هـ بسنيكة من الشرقية ونشأ بها وحفظ القرآن، وعمدة الأحكام، ومختصر التبريزي، ثم تحول إلى القاهرة، وقد أذن له غير واحد من شيوخه في الإفتاء والإقراء، منهم شيخ الإسلام ابن حجرالعسقلاني. توفي سنة 925 هـ. ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب (186/10-188).

609 هو: حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي الطوسي النيسابوري، ويُعرَف بـ "الغزّالي" نسبة إلى صناعة الغزل، حيث كان أبوه يعمل في تلك الصناعة، ويُنسب أيضاً إلى "الغَزَالي" نسبة إلى بلدة غزالة من قرى طوس. أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المُسلمين في القرن الخامس الهجري. صاحب كتاب إحياء علوم الدين. توفي سنة 505 هـ. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى (220/6-222).

610 هو: أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدويني الأسنائي الشهير بـ ابن الحاجب، الفقيه المالكي والأصولي النحوي والمقرئ، وكان أبوه جنديًا كرديًا، حاجبًا للأمير عز الدين موسك= =الصلاحي -وهو ابن خال السلطان صلاح الدين الأيوبي- قدم به أبوه إلى القاهرة فحفظ القرآن وبدأ الاشتغال بالعلم في صغره. توفي سنة 646 هـ. ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب (234/5).

611 ينظر: مكانة العقول الإسلامية حول الحضارة الإسلامية، دار الإفتاء الأردنية. رقم الفتوى (3021).

وقد ذكر الدكتور محمد الزحيلي في كتابه "الجويني[612]" ص. (94-96) في فصل إمام الحرمين وعلم الكلام ما نصه: "كان الدافع لدراسة أصول الدين أولا، وتأكيده بدراسة الفلسفات المتنوعة، هو الحرص على الإسلام والدعوة إليه، ورد شبهات الأعداء عنه، وتفنيد حجج الطاعنين به مِن الكفار والمشركين خارج الدعوة الإسلامية، والملحدين الذين انضووا تحت لواء المسلمين، وتستروا بالباطنية وغيرها مِن الفرق الضالة، للدس على الإسلام، والتشكيك فيه، وإثارة الشبه بين المسلمين...، فصار دراسة أصول الدين وعلم الكلام وتدريسه والتأليف فيه السبيل القويم أمام المسلمين، فانكب العلماء على دراسته وتدريسه والتصنيف فيه، وهو ما سلكه إمام الحرمين الجويني".

فعلم الكلام كان محاولة للتصدي للتحديات التي فرضتها الالتقاء بالديانات القديمة التي كانت موجودة في بلاد الرافدين أساسا (مثل المانوية، والزرادشتية، والحركات الشعوبية). حيث ظهرت فرق عديدة بعد وفاة نبي الإسلام، مثل: المعتزلة، والجهمية، والخوارج، والزنادقة، والمجسمة، والمشبهة. فكانت نشأة علم الكلام في التاريخ الإسلامي نتيجة ما اعتبره المسلمون ضرورة للرد على ما اعتبروه بدعة مِن قبل هذه الطوائف وكان الهدف الرئيسي هو إقامة الأدلة وإزالة الشبه. ويعتبر بعض العلماء أن جذور علم الكلام يرجع إلى الصحابة والتابعين ويورد البعض على سبيل المثال رد ابن عباس، وابن عمر، وعمر بن عبد العزيز على المعتزلة[613]، ورد علي بن أبي طالب على الخوارج[614]، ورد إياس بن معاوية المزني على القدرية[615] والتي كانت شبيهة بفرضية الحتمية[616].

---

612 يقصد به إمام الحرمين الجويني، وهو: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حَيُّويَه الجويني، نسبة لجوين من قرى نيسابور، فقيه شافعي وأحد أبرز علماء الدين من أهل السنة. توفي سنة 478 هـ. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى (5/173-174).

613 المعتزلة فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة في أواخر العصر الأموي، وقد ازدهرت في العصر العباسي. يغلب عليهم النزعة العقلية، فغلبوا العقل على النقل، ورفضوا جميع الأحاديث الصحيحة التي لا يقبلها العقل. ينظر: مدكور، في الفلسفة الإسلامية (2/37).

614 الخوارج هم فرقة خرجت على علي بن أبي طالب، وأبرز أفكارهم عدم الإكتفاء بالإيمان بالقلب بل لا بد من العمل الصالح، ولذلك الخوارج كفروا عليا لأنهم طلبوا إليه أن يتوب توبة مقرونة بالعمل, والعمل المطلوب منه أن يرفض وثيقة التحكيم ويعود إلى قتال معاوية فأبى. ينظر: البوطي، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة. ص (58-61).

615 فرقة كلامية تنسب لغيلان القدري لقوله: لا قدر والأمر أنف، أي: إن الله سبحانه وتعالى لا يعلم الأمر إلا بعد وقوعه، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. ينظر: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق (20/239-240).

616 ينظر: فودة، مباحث في علم الكلام. ص (22).

وأهداف هذا العلم هي:

1- معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله.

2- تقوية اليقين بالدين الإسلامي عن طريق إثبات العقائد الدينية بالبراهين القطعية ورد الشبه عنها.

3- أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية متقنا محكما.

4- الرقي بالمسلم مِن التقليد إلى اليقين.

وهذا العلم مستمد مِن الأدلة اليقينية، النقلية والعقلية:

الأدلة العقلية: وهي استخدام العقل عن طريق النظر في العالم الخارجي، للتعرف على وجود الله وعلى ما يجب له من الصفات وما يستحيل، وما يجوز عليه مِن الأفعال. وكذا ما يجب للأنبياء مِن الصفات وما يستحيل وما يجوز. وأهل السنة لم يختلفوا في الإقرار بأن العقل يمكنه معرفة بعض الأحكام العقائدية، وعلماء الكلام يقرون بأن العقل له حدودًا وجهات لا يمكنه أن يغوص فيها، فجعلوها له حدودا لا يتعداها، وهذا التحديد منهم جار على موازين العقل نفسه[617].

الأدلة النقلية: وهي ما ورد مِن صحيح الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

Prince of Songkla University Pattani Campus

المطلب الثالث: أقسام علم الكلام

ينقسم علم الكلام إلى قسمين:

الأول: علم الكلام المحمود: هو ما كان مِن أجل تقرير الحق وهو مهنة الأنبياء في الدفاع عن العقيدة: {وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ....} [النحل:125].

الثاني: علم الكلام المذموم: فهو ما يتعلق بالباطل وطلب المغالبة فيه، وقد أشار إليه القرآن في قوله تعالى: { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا....} [غافر: 4]، وقوله تعالى: {وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ....} [الكهف:56][618].

---

[617] المرجع نفسه.

[618] ينظر: ابن عساكر، تبيين كذب المفتري. ص (339). التفتازاني، شرح العقائد النسفية. ص (12).

المطلب الرابع: عناية الإمامين بمسائل علم الكلام

كما تبين فيما سبق: أهمية علم الكلام، وأن القرآن مصدر لجميع العلوم الشرعية، اهتم الإمام البغوي والإمام ابن عادل الدمشقي بمسائل علم الكلام، فهما يقرران عقيدة أهل السنة والجماعة في ذات الله وصفاته وأفعاله، بَيْد أن الإمام البغوي انتهج نهج أهل السلف في تقرير آيات الصفات وهو التفويض إلى الله سبحانه وتعالى مِن غير تكييف ولا تعطيل، أما الإمام ابن عادل الدمشقي، فقد سار خلاف ذلك وهو الاستعانة في آيات الصفات بدلائل اللغة والتأويل:

أمثلة تطبيقية على اهتمام الإمامين على مسائل علم الكلام

في قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ....} [الأعراف: 54]

ذكر الإمام البغوي قول المعتزلة في معنى الاستواء؛ وقالوا: إنها بمعنى الاستيلاء. ثم ذكر قول أهل السنة في معنى الاستواء: "الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل....ثم قال: ومنهج علماء السلف في آيات الصفات المتشابهات: أمروها بلا كيف[619]".

أما الإمام ابن عادل الدمشقي فإنه ذكر معاني الاستواء في اللغة، وهي قد تأتي بمعنى سرير الملك، أو بمعنى العز والسلطان، أو السقف، واستشهد على تلك الأقوال بشواهد شعرية، إلى أن قال: "بأن كلمة الاستواء مدارها على العلو والرفعة....[620]".

ثم إنه ذكر أيضا قول أهل السلف كما نقله الإمام البغوي بأن قال: "كما قال مالك – رحمه الله –: الاستواء معلوم – يعني في اللغة – والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة[621]".

ثم إن الإمام ابن عادل الدمشقي عقد فصلًا في تنزيه الله سبحانه عن أن يستوي على عرشه كاستواء المخلوقين، وأفاض فيه نقلا عن الفخر الرازي[622].

ولعل الباحث يرى بعلمه القاصر أن كلا المذهبين السلف ومن جاء بعدهم يدافعان عن عقيدة أهل السنة والجماعة في تنزيه الله سبحانه وتعالى، وأن السلف وإن لم ينطقوا بنفي الجهة والحيز، وإنما

---

619 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (197/2).

620 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (143/9-144).

621 المصدر نفسه..

622 المصدر نفسه.

نطقوا بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه العزيز، فإنهم يجهلون كيفية الاستواء فإنه لا يعرف حقيقته. وإن الذين جاؤوا من بعدهم لزم عليهم الخوض في آيات الصفات بالحدود المأمور به شرعًا مِن توافر شروط التفسير المذكورة سابقًا وأهمها المعرفة الواسعة مِن اللغة العربية وأساليب العرب في كلامهم وكون القرآن نزل بلغة العرب. وألزمهم ذلك هو إلجام أفواه المبتدعين بمزيدٍ مِن الأدلة التفصيلية، دون الاكتفاء (بأمروها بلا كيف) كما كان عليه أهل السلف وكان مراد المتقدمين والمتأخرين مِن مثل آيات الصفات المتشابهات هو قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:11]. وهو ما قرره بذلك الإمام القرطبي رحمه الله تعالى[623].

هذا بالنسبة لآيات الصفات، أما موقفهما من الفرق المبتدعة فكلا الإمامين البغوي وابن عادل الدمشقي يدافعان عن معتقد أهل السنة والجماعة ويدحضان قول المبتدعة.

أمثلة تطبيقية على منهج الإمامين في مسائل علم الكلام

مثال: قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي....} [الأعراف: 143].

ذكر الإمام البغوي أن مذهب أهل السنة والجماعة هي إمكان رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة، وأن المعتزلة ينكرون ذلك ودليلهم في هذه الآية، وأن (لن تراني للتأبيد)، ثم يأخذ في تبيين فساد قول المعتزلة: "وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية، وقالوا: قال الله لن تراني، ولن تكون للتأبيد ، ولا حجة لهم فيها، ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا أو في الحال، لأنه كان يسأل الرؤية في الحال ولن لا تكون للتأبيد كقوله تعالى: ولن يتمنوه أبدا[البقرة:95]، إخبارا عن اليهود، ثم أخبر عنهم أنهم يتمنون الموت في الآخرة كما قال الله تعالى: { وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ...} [الزخرف: 77]، {وَيَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ} [الحاقة: 27]، والدليل عليه أنه لم ينسبه إلى الجهل بسؤال الرؤية وأنه لم يقل إني لا

---

623 قال القرطبي في تفسيره: "وقد بينا أقوال العلماء فيها في الكتاب (الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى) وذكرنا فيها هناك أربعة عشر قولا. والأكثر من المتقدمين والمتأخرين أنه إذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتحيز فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرين تنزيهه= =تبارك وتعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم، لأنه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حيز، ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للمتحيز، والتغير والحدوث. هذا قول المتكلمين. وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته". القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (219/7).

أرى حتى تكون لهم حجة بل علق الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل عند التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة، والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا...[624]".

والإمام ابن عادل الدمشقي كان أكثر تفصيلًا مِن الإمام البغوي: قال:"فإن قيل: النظر إما أن يكون عبارة عن الرؤية، أو عن مقدمتها، وهي تقليب الحدقة إلى جانب المرئي التماسا لرؤيته، وعلى التقدير الأول: يكون المعنى: أرني حتى أراك، وهذا فاسد، وعلى التقدير الثاني: يكون المعنى: أرني حتى أقلب الحدقة إلى جانبك وهذا فاسد لوجهين: أحدهما: أنه يقتضي إثبات الجهة. والثاني: أن تقليب الحدقة إلى جهة المرئي مقدمة للرؤية؛ فجعله كالنتيجة عن الرؤية وذلك فاسد... فالجواب: أن معنى أرني: اجعلني متمكنا مِن رؤيتك حتى أنظر إليك وأراك[625]".

ثم نقل أدلة أهل السنة في إمكان رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة كما ذكره الإمام البغوي، إلا أنه زاد على تساؤل المعتزلة: "إن قيل: كيف قال: (لن تراني) ولم يقل: لن تنظر إلي، حتى يطابق قوله أنظر إليك؟ فالجواب أن النظر لما كان مقدمة للرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذي لا رؤية معه....[626]".

ثم قال: "والاستدراك في قوله: (ولكن انظر إلى الجبل) واضح، فإن قلت: كيف اتصل الاستدراك في قوله: (وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ) الجواب: المقصود مِن تعظيم أمر الرؤية، وأن أحدا لا يقوى على رؤية الله تعالى إلا إذا قواه الله بمعونته وتأييده؛ ألا ترى أنه لما.....[627]".

ومن المقارنة السابقة تأكد للباحث أن كلا الإمامين البغوي وابن عادل الدمشقي يعتقدان بمعتقد أهل السنة والجماعة وكلاهما يدافعان عن معتقد أهل السنة والجماعة ويدحضان أقوال الفرق مِن المبتدعة.

والفرق بينهما أن الإمام البغوي سار على نهج أهل المتقدمين من السلف، والإمام ابن عادل الدمشقي سار على منهج المتأخرين في تقرير مسائل الكلام مِن آيات الصفات والعقيدة، وهو ما يمتاز به التفسير بالرأي، والله تعالى أعلم فما كان صوابًا فمن الله وحده، وما كان خطأ فمني وفمن الشيطان وأستغفر الله العظيم مِن كل ذنبٍ عظيمٍ.

---

624 ينظر: البغوي، معالم التنزيل (229/2).

625 ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (300/9).

626 المصدر نفسه.

627 المصدر نفسه.